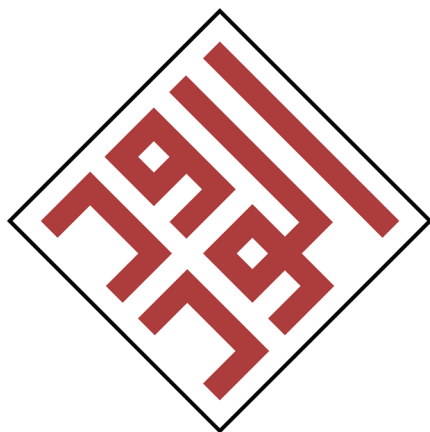


الحمد لله الذي قرأ القرآن الكريم

والذين آمنوا أشد حبا لله



تأليف
صاحب السمو الملكي الأمير
غازي بن محمد بن طلال الهاشمي

هذا الكتاب في الأصل رسالة الدكتوراه الثانية التي قدّمها الأستاذ الدكتور الأمير غازي بن محمد بن طلال لدرجة العالمية (الدكتوراه) في قسم الفلسفة في كلية أصول الدين في جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة عام ٢٠٠٩م.

هذه الرسالة هي: "رسالة متميزة، جديرة بالثناء والتقدير: منهجاً ومضموناً ولغة".
مشرف الرسالة في جامعة الأزهر الشريف،
فضيلة الإمام الأكبر أ.د. أحمد محمد الطيب، شيخ الأزهر

"هي رسالة ذات طابع... فلسفي، فَوَجَدْتُ فيها معاني ذوقية جميلة استنبطها المؤلف حفظه الله من أجمع بين الآيات في المواضيع التي طرقها لعله لم يسبق إليها، ولكنها لم تخالف ثوابت العقيدة الإسلامية".
المفتي العام للمملكة الأردنية الهاشمية، ساحة الشيخ أ.د. نوح علي سلمان القضاة

"فيه ما يجب على العالم أن يسمعه وهو يتلقى القرآن، فأجاد وأفاد".
مفتي الديار المصرية، فضيلة الشيخ أ.د. علي جمعة

"أخرج للناس ما كان عازباً عن أفهامهم... فقد أتيتم في مؤلفكم هذا بما لم يأت به أحداً من قبلكم".
مفتي عام سلطنة عُمان، معالي الشيخ أحمد بن حمد الخليلي

"رسالة لا مثيل لها في الماضي".
رئيس العلماء والمفتي العام في البوسنة والهرسك، فضيلة الشيخ د. مصطفى تسيريتش

لا سعادة من غير حب، لا في الدنيا ولا في الآخرة. فمن أراد أن يعرف أسرار الحب فعليه أن يغوص في هذا الكتاب، فإن مضمونه أهم موضوع في الكون من أعظم مصدر في الوجود، ألا وهو كتاب الله تعالى الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾

يُعالج الكاتب بأسلوب بسيط سهل الفهم حُبَّ الله والحُبَّ الإنساني، إضافة إلى مواضيع أخرى كثيرة منها الحُبَّ العائلي، والصدقة، ومراحل الوقوع في الحُبِّ، والحُبَّ الجنسي، والجمال، والذوق؛ كل ذلك يستعرضه الكاتب بوسائل ومزايا سهلة للقارئ والمعلم. وهذه الدراسة مبنية بشكل كامل على القرآن الكريم وتستشهد بآية على الأقل من كل سورة؛ فأكثر من خمس مادة القرآن الكريم مُقتبسة في الكتاب. و"الحُبَّ في القرآن الكريم" مكتوب ومنظم بحيث يمكن قراءة فصوله بالترتيب أو قراءة كل فصل على حدة حسب رغبة القارئ. فهذا عمل يجب قراءته ليس فقط من قِبَل المسلمين والمهتمين بالإسلام والقرآن الكريم فحسب بل هو متطلب لكل من لديه اهتمام بخفايا وأسرار الحب.

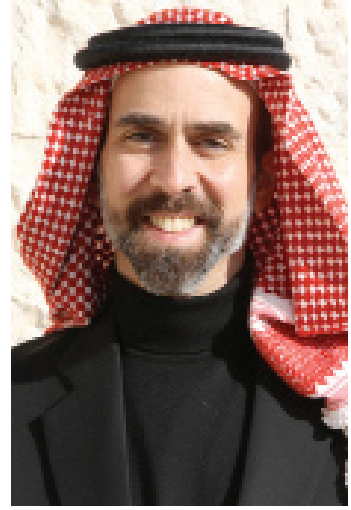
لجلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين المعظم؛ وكبير المستشارين لجلالة الملك للشؤون الدينية والثقافية والمبعوث الشخصي.

وأسس الأمير غازي جامعة البلقاء التطبيقية سنة ١٩٩٦م؛ وكذلك أسس جامعة العلوم الإسلامية العالمية سنة ٢٠٠٧م؛ وأنشأ سموه مشروع التفسير الكبير (www.altafsir.com) وهو أكبر مشروع لتفسير القرآن الكريم على الإنترنت، عام ٢٠٠١م. والأمير أيضاً رئيس مجلس أمناء مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي؛ وهو صاحب الرسالة التاريخية «كلمة سواء بيننا وبينكم» في عام ٢٠٠٧م؛ وهو كاتب قرار «أسبوع الوثام العالمي بين الأديان» الذي تبنته الجمعية العمومية للأمم المتحدة سنة ٢٠١٠م

وقد تقلد عدة جوائز وأوسمة من الأردن ومن دول أخرى. وله عدة مؤلفات قيمة منها كتاب «إجماع المسلمين على احترام مذاهب الدين»، الذي قال عنه الإمام الأكبر شيخ الأزهر الراحل الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي:

«إن هذا السفر الجليل هو خير مرجع لمن يريد أن يسير على الصراط المستقيم في قوله وفعله وفي سلوكه ونهجه».

الأمير غازي متزوج من د. الأميرة أريج (بنت معالي د. السيد عمر بن عبد المنعم الزواوي)، ولهما ثلاثة من الأولاد وهم: الأميرة تسنيم، والأمير عبد الله، والأميرة جنة، حفظهم الله تعالى.



المؤلف في سطور:

ولد صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد بن طلال في عمّان في ١٥/١٠/١٩٦٦م، وهو ابن أخ المرحوم بإذن الله تعالى الملك الحسين ابن طلال طيب الله ثراه. وقد حصل على درجة البكالوريوس من جامعة برنستون في أمريكا عام ١٩٨٨م بمرتبة الشرف الأولى، ثم حصل على درجة الدكتوراه من جامعة كمبردج في إنجلترا سنة ١٩٩٣م، ثم حصل على شهادة الدكتوراه الثانية (العالمية) من كلية أصول الدين في جامعة الأزهر الشريف في القاهرة سنة ٢٠١٠م.

وقد شغل سموه عدة مناصب منها: السكرتير الثقافي لجلالة الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه؛ والمستشار لشؤون العشائر لجلالة الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه؛ والمبعوث الشخصي والمستشار الخاص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحبُّ في القرآن الكريم

تأليف

أ. د. د. صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد بن طلال الهاشمي

المملكة الأردنية الهاشمية

١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م

(جميع الحقوق محفوظة للمؤلف)

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

٢٠٠٩/١١/٤٤٨٨

غازي بن محمد بن طلال (الأмир)

الحب في القرآن الكريم / غازي بن محمد بن طلال..

عمان: المؤلف، ٢٠٠٩.

(٥٠٨ ص).

ر.أ.: ٢٠٠٩/١١/٤٤٨٨.

الواصفات: / إعجاز القرآن // القرآن // العلاقات بين الأفراد/

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي

دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة أخرى حكومية

ISBN: 978-9957-8533-7-2

الطبعة السادسة

(مَزِيدَةٌ وَمُنْقَحَةٌ)

٢٠١٢هـ / ١٤٣٣م

عدد النسخ:

الطبعة الأولى: ٣٠٠٠ نسخة (غلاف عادي) (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)

الطبعة الثانية (مزيدة): ١٢٠ نسخة (غلاف مجلد) (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)

الطبعة الثالثة (مزيدة ومنقحة): ٨٨٠ نسخة (غلاف مجلد) (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)

الطبعة الرابعة (ب) (مزيدة ومنقحة): ١٠٠٠ نسخة (غلاف مجلد) (١٤٣٢هـ / ٢٠١١م)

الطبعة الخامسة (مزيدة ومنقحة): نشرت على الإنترنت (١٤٣٣هـ / ٢٠١١م)

الطبعة السادسة (مزيدة ومنقحة) (١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م)



See: www.LoveintheQuran.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾
أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

(آمين)

... وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ...

(البقرة، ٢: ١٦٥)

المؤلف في سطور:



ولد صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد بن طلال في عمان في ١٥/١٠/١٩٦٦م، وهو ابن أخ المرحوم بإذن الله تعالى الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه. وقد حصل على درجة البكالوريوس من جامعة برنستون في أمريكا عام ١٩٨٨م بمرتبة أعلى الشرف، ثم حصل على درجة الدكتوراه من جامعة كمبردج في إنجلترا سنة ١٩٩٣م، ثم حصل على شهادة الدكتوراه الثانية (العالمية) من كلية أصول الدين في جامعة الأزهر الشريف في القاهرة سنة ٢٠١٠م.

وقد شغل سموه عدة مناصب منها: السكرتير الثقافي لجلالة الملك الحسين ابن طلال طيب الله ثراه؛ والمستشار لشؤون العشائر لجلالة الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه؛ والمبعوث الشخصي والمستشار الخاص لجلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين المعظم؛ وكبير المستشارين لجلالة الملك للشؤون الدينية والثقافية والمبعوث الشخصي.

وأسس الأمير غازي جامعة البلقاء التطبيقية سنة ١٩٩٦م؛ وكذلك أسس جامعة العلوم الإسلامية العالمية سنة ٢٠٠٧م؛ وأنشأ سموه مشروع التفسير الكبير (www.Altafsir.com) وهو أكبر مشروع لتفسير القرآن الكريم على الإنترنت، عام ٢٠٠١م. والأمير أيضاً رئيس مجلس أمناء مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي؛ وهو صاحب الرسالة التاريخية "كلمة سواء بيننا وبينكم" في عام ٢٠٠٧م؛ وهو كاتب قرار "أسبوع الوثام العالمي بين الأديان" الذي تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ٢٠١٠م.

وقد تقلد عدة جوائز وأوسمة من الأردن ومن دول أخرى. وله عدة مؤلفات قيمة منها كتاب "إجماع المسلمين على احترام مذاهب الدين"، الذي قال عنه الإمام الأكبر شيخ الأزهر الراحل الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي:

"إن هذا السفر الجليل هو خير مرجع لمن يريد أن يسير على الصراط المستقيم في قوله وفعله وفي سلوكه ونهجه".

الأمير غازي متزوج من د. الأميرة أريج (بنت معالي د. السيد عمر بن عبد المنعم الزواوي)، ولهما ثلاثة من الأولاد وهم: الأميرة تسنيم، والأمير عبد الله، والأميرة جنة، حفظهم الله تعالى.

أقوال علماء الأمة في هذه الرسالة

قال العلماء في هذه الرسالة "الحب في القرآن الكريم" ما يلي:

"رسالة متميزة، جديرة بالثناء والتقدير: منهجاً ومضموناً ولغة".

مشرف الرسالة في جامعة الأزهر الشريف،

فضيلة الإمام الأكبر أ. د. أحمد محمد الطيب، شيخ الأزهر

"إن الحب هو الأساس المتفرّع من الرحمة التي بدأ الله بها كتابه، فهو العلاقة بين الخالق وخلقه، وبين الوالد وولده من بني الإنسان، وفي عالم الحيوان، وفي كل الأكوان، والحب في القرآن اسم لبحث جميل جليل خطه يراع الأمير الحبيب المحبوب غازي بن محمد جزاه الله خيراً، بين فيه ما يجب على العالم أن يسمعه وهو يتلقى القرآن، فأجاد وأفاد، نسأل الله تعالى أن ينفع به العالمين، آمين".

مفتي الديار المصرية، فضيلة الشيخ أ. د. علي جمعة

"فألفيته كتاباً غاص في أعماق الحقيقة واستخرج منها درها المكنون، إذ أخرج للناس ما كان عازباً عن إفهامهم من كون الحب له قداسة ومكانه في القرآن ... فقد أتيتم في مؤلفكم هذا بما لم يأت به من قبلكم، ولا غرو إذ الشيء من معدنه لا يُستغرب والدُّر إنما يجود به البحر الغزير، وحسبكم أنكم ارتقيتم بالحب إلى أوج الفضيلة، وقدّستموه من أن تدنسه الرذيلة بأدرانها، وهذا فضل يعترف به لكم من قرأ كتابكم وأجال فيه نظره".

مفتي عام سلطنة عمان،

معالي الشيخ أحمد بن حمد الخليلي

"رسالة الحب في القرآن الكريم، ... رسالة جاءت في وقتها، في هذه الظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية. وهي رسالة لا مثيل لها في الماضي، ومستقبلها خير ما يكون في الحب بين أبناء الأمة الواحدة من جهة، وبين الآخرين جاءت هذه الرسالة نتيجة فهم الحب في القرآن الكريم، ووجود الحب في قلب مؤلفها، الذي استطاع عرض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، كاشفاً سر حب الله للإنسان، وحب الإنسان لله، وحبه لجاره، وكل هذا جاء من قلب سليم محب للإنسانية، فلذا ينبغي لكل إنسان أن يقرأ هذا الكتاب، من أجل أن يتعرف على الحب في القرآن، ومن أجل المحبة التي في هذه الرسالة".

رئيس العلماء والمفتي العام في البوسنة والهرسك،

فضيلة الشيخ د. مصطفى تسيريتش

"هي رسالة ذات طابع ... فلسفي، فَوَجَدْتُ فيها معاني ذوقية جميلة استنبطها المؤلف حفظه الله من الجمع بين الآيات في المواضيع التي طرقتها لعله لم يُسبق إليها، ولكنها لم تُخالف ثوابت العقيدة الإسلامية".

المفتي العام للمملكة الأردنية الهاشمية،

سماحة الشيخ أ. د. نوح علي سلمان القضاة

"الحب كلمة من حرفين، الحاء في نطقها سعة، والباء في لفظها جمع، فبعد أن تعلق الفؤاد بالمحبوب، وأحاط به على قدر معرفته، ضمه إليه، وعندها ينمو كسنابل الخير يضاعف لمن يشاء، وما أعظمه عندما يكون الحب الدائم الذي لا يموت، والقائم الذي لا يفوت فالحب في القرآن هو منهج العلاقة بين الإنسان وبين خالقه، فلا ركن من أركان الإسلام يصل إلى الله إلا عن طريق القلب كما قال رسول الله ﷺ: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت

صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله"، وإذا كان القلب هو محل تجليات الله عز وجل فإن الحب هو إشراقة النور التابع من ذلك القلب. وبحثكم يا سمو الأمير عن الحب في القرآن قد جمع درر معاني الحب في سعتها، وضمها بسلك محبتكم، فكان الأُنْفَسَ في العقود، والأجمل على الجيد، والأرسخ في القلب، والأقرب إلى الفكر، والأكمل في التأثير. ولقد رأينا في بحثكم أفق العلم وقوته، وحب العالم وتواضعه، وجلال المعرفة وجمال الكلمة، وكمال الأسلوب، وحُسن الخطاب. بُورِكَتْ أعمالكم، وتكللت بالخير مساعيكم، ونفع الله بكم العباد، وأسبغ ربي عليكم نعمه ظاهرة وباطنه".

المفتي العام رئيس مجلس الإفتاء الأعلى في الجمهورية العربية السورية،
فضيلة الشيخ أ. د. أحمد بدر الدين حسون

"كتابكم "الحب في القرآن الكريم" ثمرة جهدكم الفكري المبارك، وخلاصة سياحتكم القلبية المنيرة، بإشراقات المعارف الوهية؛ وإنه لعمل مبارك مشكور ومأجور إن شاء الله، سينهل منه كل مؤمن صادق النية والعزم على إذكاء حبه لله ولرسوله ﷺ، فجزاكم الله عن كل من قرأ كتابكم المبارك هذا فانتعشت روحه واغتنى وجدانه بما حواه من كنوز المعارف ودقيق اللطائف والرقائق".

وزير الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية،
معالي أ. د. بو عبد الله غلام الله

"أنه رَحْبُ مناط سعادة الدارين، وكتاب الله دليل هذه السعادة وقائد مبتغيها، وإن المتصفح لإصداركم ليجد إيفاء لحق الموضوع، وتفصيلاً لكافة جوانبه بأسلوب يتسم بالسلاسة والقرب من القارئ".

وزير الأوقاف والشؤون الدينية في سلطنة عُمان،
معالي الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله السالمي

" في غمرة بحثي دون جدوى عنمن قد أهمه حديث الحب في كتاب الله فكتب فيه أو تحدث عنه، تلقيت البشرى. وافاني البريد بما أبحث عنه: "الحب في القرآن" تأليف سمو الأمير غازي بن محمد بن طلال الهاشمي. تركت عندئذ كل ما أنا بصدهه وباشرت بقراءته. إن قيمة هذا الكتاب بل الموضوع لكبيرة كتابكم رائع أهنتك بالحب الذي دعاك إلى ما كتبت، ذاك الذي اتخذته دليلاً إلى معرفة الله والكون، ثم استقر بك المقام في محرابه. وأسأله سبحانه أن يجعل قلوبنا أوعية لحبه، حتى نؤخذ من أنفسنا إليه ونستدل به عليه ".

عميد كلية الشريعة في جامعة دمشق،
فضيلة الشيخ أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ آدَمَ بِهَجَةٍ مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ (النمل، ٢٧: ٦٠)

﴿ فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿١٠﴾ وَالنَّخْلَ بَاسْقِنَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١١﴾ ﴾ (ق، ٥٠)

(٩-١٠)

" رحلة في أعماق النفس، ميدانها بستان الحب، سقيت أصوله بماء الحكمة، امتدت فروعها في سماء المعرفة، أزهارها معطرة بأنفاس الشريعة، ثماره الجنية السعادة. عمل نافع، ترتيب رائع ".

رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ورئيس ومؤسس المركز العالمي للتجديد والإرشاد، معالي الشيخ أ.د. عبد الله بن محفوظ بن بيّه

" فقد سعدت بمطالعة كتابكم الرائع (الحب في القرآن الكريم) بما فيه من تتبع جميل للآيات الشريفة التي يكمل بعضها البعض الآخر.... والجميل تركيزه على الحب المتبادل بين الله جل وعلا وعباده وبين المخلوقين أنفسهم، بل بين كل المخلوقات، ورائع ما طرحته آية البسملة من أن الكون كله ينطلق بسم الله، وله الأسماء الحسنی، وبمقتضى رحمته الواسعة " .

سماحة آية الله محمد علي التسخيري،

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

" إن من دواعي سعادتني أن الأستاذ الفاضل غازي بن محمد بن طلال، ذلك الرجل الذي تتجلى أسمى مفاخره في الحداد نسبه إلى أهل بيت رسول الله ﷺ، قد شمر عن ساعد الجهد للبحث في هذا الموضوع في القرآن الكريم وخصص أطروحته في الدكتوراه في الأزهر الشريف بالقيام بدراسة حول هذا الموضوع. وقد تصدى لهذه المهمة بكل نجاح وجدارة وأضاف معطىً قيماً إلى تراث الأدب الإسلامي من خلال إمعان النظر والاهتمام بأسس الحكمة في الإسلام " .

سماحة آية الله أ.د. السيد مصطفى محقق الداماد،

الأستاذ في فرع القانون والفلسفة الإسلامية، جامعة الشهيد بهشتي، طهران؛
رئيس قسم الدراسات الإسلامية في مجمع العلوم، إيران

" لقد اعتبرته من الذخائر النفيسة لما تضمنه من معالجة دقيقة لواحدة من أهم القيم والمشاعر الإنسانية المشتركة بين الأفراد والشعوب ... لقد جمعت دراستكم القيمة الأبعاد الأخلاقية والفلسفية والروحية، وهي في الغالب غير

متناولة فيما صدر من أبحاث لقضية حياتية معاصرة تشكل محوراً مهماً في حياتنا العامة، فقد احتوى الكتاب على منارات وضوءات من البيان جاءت بشكل ترابطي يسهل على القارئ فهم الموضوع والتفاعل معه وجدانياً. عند تأمل التعبيرات والتأويلات للآيات القرآنية الحكيمة يستكشف القارئ المخزون الوجداني والعمق العاطفي والفهم الفلسفي الذي تحتويه تلك الآيات المباركة، مجسدة لبني البشر أهمية هذا المركز الإنساني مما يعمق العلاقة الترابطية بينهم وما هو موجود حولهم من مخلوقات المولى عزّ وجلّ ولتضيف تأصيلاً جمالياً لرسالة الإسلام ... يجد فيه ما يغني الباحث ويقنع الحائر ويزيد من إيمان المؤمن، ويشعر الجميع بأهمية التذوق الوجداني للحب وللمشاعر الإنسانية العليا".

سماحة المرجع الديني آية الله الفقيه السيد حسين إسماعيل الصدر

"هي بحمد الله وفضله دراسة مشرقة بأنوار القرآن الكريم ومصابيح السنة المطهرة في موضوع حيوي هام يعتبر من أمهات المسائل، قائمة على تأصيل قرآني شامل واستقصاء دقيق للأحاديث النبوية الشريفة، لتثبت أن الحب كما بين معناه وأوضح آفاقه وحدد أبعاده الوحي الإلهي العظيم يعتبر أهم المحاور الناظمة لمختلف العلاقات في الوجود بما يشمل العلاقات بين الله تعالى وخلقه ومخلوقاته، وبين الخلق بعضهم مع بعض، وقد وظفت كل ذلك أوفى توظيف بيان آثار هذا الحب وفق المنهج القرآني على وجود الإنسان وسلوكه في كل آفاق حياته. فهي بحق رسالة فريدة في بابها، أصيلة في منهجها وأسلوبها، عظيمة في فوائدها وآثارها، جديرة بكل إشادة وتقدير".

أمين عام مجمع الفقه الإسلامي الدولي، معالي أ.د. عبدالسلام العبادي

" هذه الرسالة التي اتسمت بالعمق والتحليل والتوثيق يزيدنا جمالاً ذلك الأسلوب السلس الجذاب فما أن شرعت في قراءتها حتى شدتني، فاسترسلت فيها حتى الخاتمة. وحرري بهذه الرسالة القيمة أن يتداولها الإعلام والناس، جميع الناس حتى تنتشر المحبة فيما بينهم، وحتى تقوى صلاتهم بالله الرحمن الرحيم، ويا حبذا لو قامت مؤسسة معنية بنشر هذه الرسالة بعد ترجمتها إلى اللغات الإنسانية الحية لما تحويه من معانٍ سامية تستحق أن يطلع الآخرون عليها".

إمام وخطيب المسجد الأقصى المبارك، رئيس الهيئة الإسلامية العليا،
رئيس هيئة العلماء والدعاة - القدس، سماحة الدكتور عكرمة سعيد صبري

" هذا الكتاب احتوى على وجه من أوجه الخطاب الرباني تحتاجه الأمة في هذا العصر يهدي إلى كريم التعامل ويمد جسور التواصل و يمهّد سبيل التكامل بمقتضى توجيهه علويٍّ ومنهج سويٍّ".

عميد دار المصطفى للدراسات الإسلامية، اليمن،

فضيلة الحبيب عمر بن محمد بن حفيظ

" إضافة هامة للفكر الإسلامي في الواقع المعاصر لأنها تعالج قضية الحب والجمال بعمق شديد في ضوء القرآن الكريم وبما لا يصادم احتياجات الإنسان المعاصر، وبالتالي فالرسالة تساهم في إزالة إشكالية الصدام بين الدين والحب وبين الإيمان وتذوق الجمال".

رئيس مجلس أمناء مؤسسة رايت ستارت الدولية،

الداعية الإسلامي د. عمرو خالد

"وجدت أنه تأليف مبتكر أوضح معاني الحب وأنواعه وجزئياته وأسراره المستنبطة من القرآن الكريم وما يُمدح منه وما يُذمّ، ودرجات الحب بالنظر إلى من يتعلق به، والمآلات التي يؤدي إليها الحب، وكل ذلك بأسلوب بديع رائع. ونسأل الله سبحانه أن يقبل منه هذا الجهد ويقدر فيه النفع للبلاد والعباد".

نائب رئيس دار العلوم، كراتشي، باكستان،

فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني

"إن هناك فراغاً فلسفياً واسعاً في الدرس القرآني؛ فلقد ظل علماء المسلمين يتنافسون على مدى قرون في بحث النص القرآني، قراءةً وعقيدةً وفقهاً وتفسيراً وقصصاً ونعم التنافس هذا، لكنهم وأسفاه ضربوا صفحاً عن كثير من المفاهيم والمعاني والقيم والحقائق والأدلة التي قد تكون محلّ استشكالات واستدلالات فلسفية غاية في الأهمية، على الرغم من أن هذا الجانب المهمل يشكل الجزء الأكبر من هذا النص المنزل؛ فإني أقول: يتجلى فضلُ هذه الرسالة في كونها اقتحمت مجال الموضوعات القرآنية الفلسفية المسكوت عنها، إذ تناولت، بترتيب دقيق، مفهوماً جليلاً في الفلسفة الأخلاقية، مُركّزة على منزلته الخاصة في القرآن الكريم، رفعةً وسعةً، وفاتحةً لأفاق غير مرتادة في الاستشكال الفلسفي الإسلامي تستنهض الهمم إلى تجديد قراءة كتاب الله، استناداً إلى هذا المفهوم الأخلاقي الأساسي".

رئيس منتدى الحكمة للمفكرين والباحثين في المغرب؛ مدير مجلة الأمة،

الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، فضيلة أ.د. طه عبدالرحمن

"هذا الكتاب الأول من نوعه فريد في أسلوبه ومنهجته دقيق في تفاصيله ملتزم بفكره يجب أن يكون مرجعاً لكل دارس على المستوى الجامعي

والبحثي في موضوع الحب بكل جوانبه ومعانيه وقيمه المستقاة من كتاب الله .

صاحب كتاب "الجنس في اليهودية والمسيحية والإسلام، المرأة والرجل وعلاقتهما"، معالي أ.د. كامل العجلوني

"رسالة "الحب في القرآن الكريم" رسالة موضوعية قيّمة جامعة نافعة لكل قارئ مزجّت بين الأصالة والحداثة بعقيدة راسخة صافية وفكر ثاقب مستنير ووسطية سديدة، لذا أدعو كل مؤمن بل كل إنسان لقراءتها لأنها تُهمُّه وتفيده حقاً".

المفتي السابق للمملكة الأردنية الهاشمية،
سماحة الشيخ سعيد عبدالحفيظ حجاوي

الحب في القرآن الكريم

المحتويات

- المؤلف في سطور ص ٥
أقوال علماء الأمة في هذه الرسالة ص ٧

باب المقدمات

١. الفصل الأول: تمهيد: أهداف ومنهج هذه الرسالة ص ٢٣
المطلب الأول: الأهداف ص ٢٣
المطلب الثاني: المنهج في هذه الرسالة ص ٣٠
٢. الفصل الثاني: مقدمة: سر الحب ص ٣٣
٣. الفصل الثالث: تعريف الحب ص ٣٥

الباب الأول: الحب الإلهي

٤. الفصل الأول: الله ﷻ والحب ص ٤٥
٥. الفصل الثاني: الحب أصل الخلق ص ٥٥
٦. الفصل الثالث: الكون والحب ص ٦٥
٧. الفصل الرابع: حب الله ﷻ للناس ص ٧١
٨. الفصل الخامس: حب الله ﷻ لرسله وأنبيائه ص ٨٩
٩. الفصل السادس: الذين لا يحبهم الله ﷻ ص ١٠٥

الباب الثاني: حب الرسول ﷺ

١٠. الفصل الأول: حب الرسول ﷺ لله ﷻ ص ١١٧
١١. الفصل الثاني: حب الرسول ﷺ للمؤمنين ص ١١٩

الباب الثالث: حب الإنسان

١٢. الفصل الأول: حب الإنسان ﷺ ص ١٢٣
- المطلب الأول: لِمَ يجب على الإنسان أن يحب الله ﷻ ص ١٢٣
- المطلب الثاني: كيف يجب على الإنسان ان يحب الله ﷻ ص ١٢٨
- المطلب الثالث: النوايا والدوافع التي يجب ان تكون لدى الانسان في حب الله ﷻ ص ١٣٥
- المطلب الرابع: حب ما يذكرُ بالله ﷻ ص ١٤٣
١٣. الفصل الثاني: حب المؤمن للرسول ﷺ ص ١٤٧
١٤. الفصل الثالث: حب قربي الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار ص ١٥٥
١٥. الفصل الرابع: أثر حب الله ﷻ على الإنسان ص ١٦٧
١٦. الفصل الخامس: الحب العائلي ص ١٨٥
١٧. الفصل السادس: حب الآخرين (الناس جميعاً، وأهل الكتاب، والمؤمنين، والأصدقاء) ص ١٩٧
- المطلب الأول: حب الناس جميعاً ص ١٩٧
- المطلب الثاني: حب أهل الكتاب ص ٢٠٥
- المطلب الثالث: حب المؤمنين ص ٢٠٩
- المطلب الرابع: حب الأصدقاء ص ٢١٠
١٨. الفصل السابع: الحب الزوجي والحب الجنسي ص ٢١٥
- المطلب الأول: حاجة الزوجين لبعض في النسل ص ٢١٨
- المطلب الثاني: الحب الزوجي غير الجسماني ص ٢١٩
- المطلب الثالث: الحب الزوجي الجنسي ص ٢٢٣

١٩. الفصل الثامن: الحب والزنا ص ٢٣٣
٢٠. الفصل التاسع: الحب والنظر ص ٢٣٧

الباب الرابع: الحب

٢١. الفصل الأول: أنواع الحب ص ٢٤١
٢٢. الفصل الثاني: مراحل الحب ص ٢٨١
- المطلب الأول: مراحل حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس ص ٢٨١
- المطلب الثاني: مراحل حب الناس لله ﷻ ص ٣٠٠
- المطلب الثالث: مراحل حب الناس للناس ص ٣١٥
٢٣. الفصل الثالث: الوقوع في الحب ص ٣٢٧
- المطلب الأول: مكونات الإنسان وملكاته ص ٣٢٧
- المطلب الثاني: سر الوقوع في الحب ص ٣٣٥
٢٤. الفصل الرابع: نمو الحب ص ٣٤١
- المطلب الأول: كيف ينمو الحب؟ ص ٣٤١
- المطلب الثاني: كيف نتحكم في حينا؟ ص ٣٤٥
٢٥. الفصل الخامس: دائرتا الحب ص ٣٥٣
٢٦. الفصل السادس: مثلث الحب ص ٣٦٣
- المطلب الأول: لِمَ يحتاج الحب الى تزئین مُسبق؟ ص ٣٦٣
- المطلب الثاني: كيف يصل الإنسان لمعرفة ربه؟ ص ٣٧٠
٢٧. الفصل السابع: مراتب الجمال والحب ص ٣٧٩
- المطلب الأول: مواطن ومراتب الجمال ص ٣٧٩
- المطلب الثاني: مراتب الحب ص ٣٨٥

٢٨. الفصل الثامن: نقيضا الجمال والحب ص ٣٩١
- المطلب الأول: نقيض الجمال (البشاعة والقبح) ص ٣٩١
- المطلب الثاني: نقيض الحب (الكره والبغض) ص ٣٩٢
٢٩. الفصل التاسع: انتهاء الحب ص ٣٩٧
- المطلب الأول: حب الله ﷻ للناس ص ٣٩٧
- المطلب الثاني: حب الناس لله ﷻ ص ٣٩٨
- المطلب الثالث: حب الناس لغير الله ﷻ ص ٤٠٢
٣٠. الفصل العاشر: طبيعة الحب ص ٤٠٧
- المطلب الأول: الحب في تغير دائم ص ٤٠٧
- المطلب الثاني: حاجة الحب ص ٤٠٩
- المطلب الثالث: خصوصية الحب ص ٤٠٩
- المطلب الرابع: قدرة الحب ص ٤١٠
٣١. الفصل الحادي عشر: الحب والسعادة ص ٤١٣
٣٢. الفصل الثاني عشر: الحب والجمال في الجنة ص ٤١٩
- الباب الخامس: المحبوب (الجمال واللِّقاء والرضوان)**
٣٣. الفصل الأول: الجمال والحُسن ومكوناتهما ص ٤٢٥
- المطلب الأول: معنى "الجمال" ومعنى "الحُسن" ص ٤٢٥
- المطلب الثاني: مكونات الجمال والحُسن ص ٤٢٦
٣٤. الفصل الثاني: الذوق ص ٤٣١
٣٥. الفصل الثالث: طبيعة الجمال ص ٤٣٥
- المطلب الأول: موضوعية الجمال ص ٤٣٥
- المطلب الثاني: قدرة الجمال ص ٤٣٥

الحب في القرآن الكريم

- ص ٤٣٦ المطلب الثالث: طريقة تأثير الجمال
- ص ٤٣٩ المطلب الرابع: فائدة الجمال (والحب)
- ص ٤٤٣ الفصل الرابع: الحب والموت .٣٦
- ص ٤٤٣ المطلب الأول: موت " النفس الأمارة بالسوء "
- ص ٤٤٨ المطلب الثاني: موت " النفس الأمارة بالسوء " من
خلال حب الله ﷻ
- ص ٤٤٩ المطلب الثالث: عذاب النفس التي تُحب ولا
تموت بالله ﷻ
- ص ٤٥٠ المطلب الرابع: الحياة بالله ﷻ بعد موت النفس
- ص ٤٥٥ الفصل الخامس: اللقاء والرضوان .٣٧
- ص ٤٦١ الفصل السادس: المقصود الحقيقي وراء كل حب .٣٨

باب خاتمة الرسالة

- ص ٤٦٧ خاتمة واستنتاج .٣٩
- ص ٤٦٩ ملخص الفصول .٤٠
- ص ٤٨٥ المراجع .٤١
- ص ٤٨٥ القرآن الكريم
- ص ٤٨٥ كتب التفسير
- ص ٤٩٠ كتب السنة
- ص ٤٩٢ كتب السيرة
- ص ٤٩٣ كتب علوم القرآن
- ص ٤٩٣ كتب المعاجم اللغوية
- ص ٤٩٤ كتب أخرى لعلماء المسلمين

- ص ٤٩٨ مراجع أخرى
- ص ٤٩٩ مراجع أولية باللغتين الإنجليزية والفرنسية
- ص ٥٠١ مراجع ثانوية باللغتين الإنجليزية والفرنسية

١. باب المقدمات؛ الفصل الأول:

تمهيد: أهداف ومنهج هذه الرسالة

المطلب الأول: الأهداف

لنا في هذه الرسالة إن شاء الله ﷻ خمسة أهداف، والله المستعان.

(١) الهدف الأول:

القرآن الكريم حق. يقول الله ﷻ:

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٤٧﴾ (البقرة، ٢: ١٤٧)

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ... (الكهف، ١٨: ٢٩)

والذي أنزل القرآن الكريم أنزله بالحق:

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ

(البقرة، ٢: ١٧٦) ﴿٦٦﴾

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ (الإسراء، ١٧: ١٠٥)

وبكونه الحق فهو الحق الكامل:

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨١﴾

(الإسراء، ١٧: ٨٩)

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ

جَدَلًا ﴿٨١﴾ (الكهف، ١٨: ٥٤)

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ (الروم، ٣٠: ٥٨)

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ (الزمر، ٢٧-٢٨)

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ ۗ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٢٨﴾ (النحل، ١٦: ٨٩)

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ (يونس، ١٠: ٣٧)

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ (الأعراف، ٧: ٥٢)

لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٨﴾ (يوسف، ١٢: ١١١)

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ۗ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٢٨﴾ (الأنعام، ٦: ٣٨)

وهكذا يوضح الله ﷻ لنا أن القرآن الكريم هو الحق الكامل. بل أكثر من ذلك، إذ يخبرنا الله ﷻ أنه ضرب في القرآن الكريم " مِنْ كُلِّ مَثَلٍ "، وأنه قال ﷻ " وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ "، وقال ﷻ إن القرآن الكريم هو " بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ "، " وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ "، وأن الله ﷻ قال: " مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ " . وقد اختلف العلماء والمفسرون في معنى هذه الآيات. فيفهم الطبري من " وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ " التالي:

" تفصيل كل ما بالعباد إليه حاجة من بيان أمر الله ونهيه، وحلاله

وفهم الفخر الرازي من " **تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ** " أن المقصود جميع أصول علوم الدين:

" من الناس من قال: القرآن تبيان لكل شيء وذلك لأن العلوم إما دينية أو غير دينية، أما العلوم التي ليست دينية فلا تعلق لها بهذه الآية، لأن من المعلوم بالضرورة أن الله تعالى إنما مدح القرآن بكونه مشتملاً على علوم الدين فأما ما لا يكون من علوم الدين فلا التفات إليه، وأما علوم الدين فإما الأصول، وإما الفروع، أما علم الأصول فهو بتمامه موجود في القرآن، وأما علم الفروع فالأصل براءة الذمة إلا ما ورد على سبيل التفصيل في هذا الكتاب، وذلك يدل على أنه لا تكليف من الله تعالى إلا ما ورد في هذا القرآن، وإذا كان كذلك كان القول بالقياس باطلاً، وكان القرآن وافياً ببيان كل الأحكام، وأما الفقهاء فإنهم قالوا: القرآن إنما كان تبيناً لكل شيء، لأنه يدل على أن الإجماع وخبر الواحد والقياس حجة، فإذا حكم بحكم من الأحكام بأحد هذه الأصول كان ذلك الحكم ثابتاً بالقرآن^٢.

١ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ٣٢٥/٧.

وربما يكون هنالك فرق لطيف بين معنى العبارة الكريمة **"وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ"** كما جاء في القرآن الكريم في سورة يوسف (١٢: ١١١) عن القرآن الكريم والعبارة الكريمة **"وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ"** كما جاء في القرآن الكريم عن ألواح سيدنا موسى ﷺ في سورة الأنعام (٦: ١٥٤) وفي سورة الأعراف (٧: ١٤٥). وربما قوله ﷺ: **"وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ"** يعني أن الله ﷻ جعل صورة كاملة للأشياء في القرآن الكريم، بينما قوله ﷺ: **"وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ"** يعني أن الله ﷻ جعل وصف الأشياء بأكملها في ألواح سيدنا موسى ﷺ، والله أعلم.

٢ الإمام الرازي، التفسير الكبير، ٢٥٨/٧. ويقول الفخر الرازي أيضاً:

" قال تعالى: ... **مَا كَرَّرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ...** (الأنعام: ٦: ٣٨) وفي المراد بالكتاب قولان: القول الأول: المراد منه الكتاب المحفوظ في العرش وعالم السماوات المشتمل على جميع أحوال

وَيَفْهَمُ الزَّمْخَشَرِي فِي الْكَشَافِ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ " تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ " أَنْ

المقصود جميع العلوم الدينية حيث يقول:

" المعنى أنه بين كل شيء من أمور الدين، حيث كان نصاً على بعضها وإحالة على السنة في البعض الآخر، حيث أمر فيه باتباع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطاعته " ٣ .

ولكننا نقول إن في كتاب الله جميع علوم ومبادئ الفلسفة أيضاً. وهذا

المخلوقات على التفصيل التام، كما قال عليه السلام: «جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة». والقول الثاني: أن المراد منه القرآن، وهذا أظهر لأن الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد انصرف إلى المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن، فوجب أن يكون المراد من الكتاب في هذه الآية القرآن ". (الإمام الرازي، التفسير الكبير، ٤/٥٢٦).

ويقول الفخر الرازي كذلك:

" وفيه قولان: الأول: المراد وتفصيل كل شيء من واقعة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أبيه وإخوته، والثاني: أنه عائد إلى القرآن، كقوله: ... مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ... فإن جعل هذا الوصف وصفاً لكل القرآن أليق من جعله وصفاً لقصة يوسف وحدها، ويكون المراد: ما يتضمن من الحلال والحرام وسائر ما يتصل بالدين ". (الإمام الرازي، التفسير الكبير، ٦/٥٢٣).

٣ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف، ص ٥٨٦.

٤ كلمة "فلسفة" أصلها من اللغة اليونانية، وهي مركبة من كلمتين: "فيلو"، وهي تعني "الحب"؛ و"سوفيا"، وسوفيا تعني "الحكمة". فـ"الفلسفة" حسب أصلها اللغوي تعني "حب الحكمة". وعلما المسلمين عرفوا الفلسفة بعدة تعاريف. ولكننا نقصد نحن هنا من كلمة "الفلسفة" التالي: "الحكمة التي هي دون العقيدة ودون التشريع"، وبمعنى آخر كل حكمة ومعرفة باستثناء العقيدة (والكلام) والفقه. فعلى سبيل المثال الحب موضوع فلسفي، وعلم المنطق موضوع فلسفي، وعلم النفس موضوع فلسفي إلى آخره. وربما يكون جانب تشريعي في هذه المواضيع أو جانب عقائدي، ولكن الفهم الذي هو محايد بالنسبة للعقيدة أو الشريعة يعتبر علماً فلسفياً، شريطة أن لا يدخل الإنسان في الكفر أو في المعصية. ولذلك

من إعجاز القرآن الكريم؛ فلا يمكن لأي كتاب بشري أن يحتوي على جميع العلوم الفلسفية في كتاب واحد مثل ما هو الحال مع القرآن الكريم. فكما يوجد في القرآن الكريم إعجاز لغوي وبلاغي وربما أيضاً إعجاز علمي، فإنه يوجد في القرآن الكريم إعجاز فلسفي كذلك:

أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلُهُمْ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾
 (الطور، ٥٢: ٣٣-٣٤)

قُلْ لِيَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴿٨٨﴾ (الإسراء، ١٧: ٨٨)

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ فَلَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ (هود، ١١: ١٣-١٤)

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ (البقرة، ٢: ٢٣-٢٤)

وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنْ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ

عُرِفَت الفلسفة في الغرب قديماً بتعريف في اللاتيني "انسلا ثيولوجيا"، وتعني هذه "خادمة العقيدة أو علم الكلام".

عَنْبِقَةَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٦﴾ (يونس، ١٠: ٣٦-٣٩)

أَمْ يَقُولُونَ تَقْوَلُهُمْ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾

(الطور، ٥٢: ٣٣-٣٤)

ولذلك هدفنا الأول في هذه الرسالة أن نبيّن أن كل ما يمكن أن يقال بالنسبة للحب هو في كتاب الله، وأنه مفصل وليس مجملاً، ولذلك تقتصر هذه الرسالة فقط على الحب في القرآن وليس الحب في الحديث الشريف، أو في السنة، أو عند العلماء، والعارفين بالله، والفلاسفة.

(ب) الهدف الثاني:

إن الهدف الثاني هو الاستفادة مما قيل قبلنا عن الحب في القرآن الكريم في كتاب واحد - بقدر الاستطاعة - مع إضافة ما يهبه الله ﷻ لكشف بعض الأسرار التي عُرفَتْ من قبل ولكن لم تكتب - حسب علمنا - في مرجع واحد عن موضوع الحب في القرآن الكريم. ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من الفلاسفة عندما ناقشوا الحب لم يستشهدوا بآية واحدة من القرآن الكريم ومنهم - مع الأسف - ابن سينا في رسالته (رسالة في العشق). وبعض علماء المسلمين الآخرين كالإمام الغزالي في كتابه: (إحياء علوم الدين/ كتاب المحبة، والشوق، والأنس، والرضا) الباب رقم ٣٦، ومحيي الدين بن عربي في كتابه: (الفتوحات المكية) الفصل ١٧٨ (رسالة في الحب)، وابن حزم في (طوق الحمامة)، فإنهم أحياناً كانوا يستدلون من القرآن والحديث معاً، وأحياناً من القرآن وحده، وأحياناً من الحديث وحده. ونحن في هذه الرسالة الفلسفية الحية بمشيئة الله ﷻ نأمل أن نعطي شرحاً كافياً عن الحب ومنهجنا هنا الاستدلال بالقرآن وحده دائماً، حيث نجعله الأساس في بناء النقاط. وأما الأحاديث فإذا أوردناها فإنما هي لتعزيز المعنى وزيادة الإيضاح.

(ج) الهدف الثالث:

الهدف الثالث هو الشرح الكافي والوافي للحب وأساره من القرآن الكريم فقط. ولا يمكن لنا أو لغيرنا أن نقول كل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع وهو: الحب في القرآن الكريم. فكيف نستنفد كلام الله الذي يقول:

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا

بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٣﴾ (الكهف، ١٨، ١٠٩)

والذي يقول ﷺ:

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أُنْحُرٍ مَا نَفِدَتْ

كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ (لقمان، ٣١، ٢٧)

(د) الهدف الرابع:

إن الهدف الرابع في هذه الرسالة هو أن نفيد - بإذن الله تعالى - القارئ في بعض أسرار وعجائب الحب، لأن الحب ربما يكون أكبر سر في عالمنا المعاصر، فمعظم أفعال الناس وأمانيتهم من أجل الحب والسعادة. والسعادة هي وليدة الحب - كما سنرى إن شاء الله تعالى - ولكن معظم الناس لا يعلمون شيئاً عن الحب وبالتالي لا يعلمون شيئاً عمّا يعملون. لكن الذي يعلم عن الحب بإمكانه أن يُنمّي حباً معيناً، أو يوقفه. ولذلك يمكن لهذه الرسالة إن شاء الله أن تعود بالفائدة الكبيرة على الناس في مساعدة أنفسهم في حب الخير، والابتعاد عن حب الشهوات. وقد سعينا أن نبسط هذا الموضوع في فصول قصيرة ومستقلة، عسى أن تنفع هذه الفصول لتكون مواد صالحة للتعليم في الجامعات أو دونها، ... **وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ**

أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ (هود، ١١، ٨٨)

(هـ) الهدف الخامس:

يوجد عند كثير من غير المسلمين لبس شائع عن موضوع الحب في الإسلام وفي القرآن الكريم: فكثير من غير المسلمين - مفكرهم وعامتهم - يظنون أنه لا يوجد ذكراً للحب أو اعتناء به في القرآن الكريم، وإن وُجد اهتمام في الإسلام بالحب، فهذا الاهتمام إنما يأتي من المتصوفين أو أحياناً من بعض الأحاديث الشريفة (التي يُشككون أصلاً في صحتها)، وليس من القرآن الكريم. فالهدف الخامس في هذه الرسالة هو أن نبين أن القرآن الكريم ذكّر وأوضح كل ما يمكن للإنسان أن يعرفه أو يفهمه عن الحب فهو موجود في كتاب الله ﷻ - القرآن الكريم.

المطلب الثاني: المنهج في هذه الرسالة

إن المنهج في هذه الرسالة استدلالي يستند إلى قاعدتين في تفسير كتاب الله ﷻ.

القاعدة الأولى هي: القرآن يفسر بعضه بعضاً،

والقاعدة الثانية هي: لا ترادف في القرآن.

وفي القاعدة الأولى جاء في الدر المنثور للسيوطي ما يلي:

"أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (مثنائي)

قال: القرآن يشبه بعضه بعضاً، ويُرد بعضه إلى بعض. واخرج عن جرير وابن

المنذر عن سعيد بن جبيرة رضي الله عنه في قوله: (متشابهاً) قال: يفسر بعضه بعضاً،

ويدل بعضه على بعض" °.

والقاعدة الثانية وهي أن لا ترادف في القرآن مُستنبطة من قول الله ﷻ:

° السيوطي، الدر المنثور، مجلد ٥، ص ٦١٠.

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٥٧﴾

(النساء، ٤: ٨٢)

كَتَبُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١١﴾ (هود، ١: ١١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١٨﴾ (الكهف، ١٨: ١٨)

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٣٩﴾ (الزمر، ٣٩: ٢٨)

٢. باب المقدمات؛ الفصل الثاني:

مقدمة: سِرُّ الحُبِّ

يقول الحق ﷻ:

زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالتَّبِينِ وَالتَّقَنُّطِ الْمَقْتَضِرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالتَّخِيلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالتَّنَعْمِ وَالتَّحَرِّثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ

عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَقَابِلِ ﴿١٤﴾ (آل عمران: ١٤)

إن معظم ما يتعلق بحياة الإنسان المذكور في هذه الآية الكريمة، فالناس العاديون يقضون حياتهم إما طالبين للجنس، أو الذرية، أو العز، أو المال، أو الأملاك، وإما طالبين لحب الله، والآخر. فمعظم الموسيقى والأفلام الحديثة موضوعها الحب الجنسي، ومعظم عمل الإنسان هو لكسب المال، وسد حاجة أسرته، ومعظم العلاقات الاجتماعية هدفها طلب العز. وكل العبادة هدفها الجنة ووجه الله ﷻ. يُضاف إلى هذا أن معظم الذي نقوله أو نفكر فيه هو من أجل شيء نريده، وبالتالي من أجل شيء نحب، وهذا ينطبق حتى على الطعام والشراب، وينطبق على طلب الانبساط، والراحة، وعلى السعي في الفلاح في العمل، وعلى التعبير عن أحوالنا وعواطفنا. والمقصود في معظم ما نقوله ونفعله شيء نريده، وبالتالي نحب، أو شيء لا نريده فنفر منه وبالتالي لا نحب. فكم منا يدرك أن وراء كل نية يقصدها الإنسان إما حب النفس وإما حب الجسم وإما حب الشهوة وإما حب الآخر وإما حب الله ﷻ. حتى السعادة التي نبحث عنها ما هي إلا الرضا بامتلاك شيء نحب - كما سنرى إن شاء الله تعالى- فالحب هو القصد وراء معظم الأشياء إن لم يكن وراءها كلها. ولكن ما هو الحب؟ ولماذا نحن كبشر ملزمون، بل محكومون، بالحب؟ ومن أين يأتي الحب؟ وإلى أين يذهب؟ وما هو هدفه؟

وكيف يصل إلى هذا الهدف؟ كم من شاب بكى، أو انتحر نتيجة الحب؟ كم من مُسن بكى أو تألم نتيجة الخوف من مفارقة من يُحب؟ وكم من إنسان قادر على أن يرى ويصف ماذا يحدث له في الحب؟ وكم من إنسان يمتلك أو يسيطر بعقله على الذي يجب أن يجبه؟ لا مبالغة إن قلنا إنَّ معظم نشاط وجهود الحياة هو طلب للحب من غير أن ندرك ماذا نعمل ولم؟ فالיום ليس على وجه الأرض - حسب علمنا - مدرسة أو جامعة تقدم مادة في الحب، وبالتالي تُعلم الناس بماذا سيقضون حياتهم مما يجعلهم:

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي

ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ (البقرة، ٢٠: ١٧-١٨)

وبمشيئة الله ﷻ من خلال هذه الرسالة سننقل ما جاء في كلام الله ﷻ عن الحب وهو أكبر سر في الحياة، التي تشغل الكل فيها والقليل هم الذين يعلمون عنها شيئاً:

يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم، ٣٠: ٧)

٣. باب المقدمات؛ الفصل الثالث:

تعريف الحب

بطبيعة الحال لا يمكن تعريف الحب بشكل قطعي، لأن الحب مثل الألم فيه شيء لا يُحدد ولا يُعرف من خلال وصفه، فالحب يختلف عن الشيء الملموس، فمن الممكن أن أعرف كرسياً، أو أسداً من خلال اسمه، ولكن لا يمكن أن أعرف حقيقة الحب عن طريق وصفه، ولهذا قال البعض إن الحب لا يُعرَف. ومع هذا يمكن لنا أن نستنبط تعريفاً معيناً يصف الحب وصفاً قريباً من الحقيقة من كلام الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا
كَالْمُعَلَّقَةِ ... (النساء: ٤: ١٢٩)

ويقول الله ﷻ:

لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعَجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ...
(الأحزاب، ٣٣: ٥٢)

فنفهم من هاتين الآيتين معاً أن الحب "ميل، من بعد الإعجاب، إلى الحسن". وهذا التعريف الذي استنبطناه من كلام الله ﷻ مباشرة لا يختلف في جوهره عما قاله كثيرٌ من العلماء في تعريف الحب^٦.

٦ تعريف العلماء للحب والمحبة

أقوال علماء المسلمين في الحب عموماً على قسمين. فأما القسم الأول فهم الذين يقولون إنه ليس للحب تعريف دقيق لكونه لا يوصف ولكن توصف آثاره فقط. أما القسم الثاني من العلماء فهم يصفون الحب كنوع من أنواع الميل إلى شيء جميل أو مُراد، علماً بأن الميل مُحال على الله ﷻ فالحب عند الله ﷻ هو نوع من تفضيله لبعض عباده. وأحياناً يخلط بعض العلماء بين هذين النوعين من التعريف.

قال الجاحظ (توفي سنة ٢٥٥هـ) منشداً قول أحد الشعراء:

"العين تُبدي الذي في نفس صاحبها ... من المحبة أو بغض إذا كانا
والعين تنطق والأفواه صامتة ... حتى ترى من ضمير القلب بيّانا"
(الجاحظ، كتاب البيان والتبيين، مجلد ١، ص ٦٢).

قال الإمام **الكلاباذي** (توفي سنة ٣٨٠هـ): "قال **الجنيد**: المحبة ميل القلوب. معناه: أن يميل قلبه إلى الله وإلى ما لله من غير تكلف. وقال غيره: المحبة: هي الموافقة، معناه: الطاعة له فيما أمر، والانتهاه عما زجر، والرضا بما حكم وقدر. قال محمد بن علي الكتاني: **المحبة**: الإيثار للمحجوب. قال غيره: المحبة: إيثار لمن تحبّ ... فمحبة العبد لله تعظيم يحل الأسرار، فلا يستجيز تعظيم سواه، ومحبة الله للعبد: هو أن يُبليه به فلا يصلح لغيره. وهو معنى قوله تعالى: **وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنُقْسِي** ﴿٤١: ٢٠٠﴾. ومعنى لا يصلح لغيره: أن لا يكون فيه فضل لمراقبة الأغيار ومراعاة الأحوال ... إن للقوم عبارات تفرّدوا بها، واصطلاحات فيما بينهم لا يكاد يستعملها غيرهم، نخبر ببعض ما يحضر، ونكشف معانيها بقول وجيز. وإنما نقصد في ذلك إلى معنى العبارة دون ما تتضمنه العبارة، فإن مضمونها لا يدخل تحت الإشارة فضلاً عن الكشف، وأمّا كنه أحوالهم فإن العبارة عنها مقصورة وهي لأربابها مشهورة."
(الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص ١٠٩-١١١)

وقال ابن سينا (توفي سنة ٤٢٨هـ): "لأن العشق ليس في الحقيقة إلا استحسان الحسن والملائم جداً". (ابن سينا، رسالة في العشق، ص ٥٢).

وقال ابن حزم (توفي سنة ٤٥٦هـ) في تعريف الحب: "الذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ٧). وقال ابن حزم في تعريفه أيضاً: "الحب اتصال بين النفوس في أصل عالمها العلوي". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ٢٧).

وقال **القشيري** (توفي سنة ٤٦٥هـ): "المحبة حالة شريفة، شهد الحق سبحانه بها للعبد، وأخبر عن محبته للعبد، فالحق سبحانه يُوصف بأنه يُحب العبد، والعبد يُوصف بأنه يحب الحق سبحانه، والمحبة على لسان العلماء هي الإرادة، وليس مراد القوم بالمحبة الإرادة، فإن الإرادة لا تتعلق بالقديم، اللهم إلا أن يُحمل على إرادة التقرب إليه والتعظيم له، ونحن نذكر من تحقيق هذه المسألة طرفين إن شاء الله تعالى، فمحبة الحق سبحانه للعبد إرادته لإنعام بخصوص عليه، كما أن رحمته له إرادة الإنعام، فالرحمة خاص من الإرادة، والمحبة أخص من الرحمة، فإرادة الله تعالى لأن يوصل إلى العبد الثواب والإنعام، وتسمى رحمة، وإرادته لأن

يُخصَّهُ بالقربية والأحوال العَلِيَّةُ وتسمى محبة، فأرادته سبحانه صفة واحدة، فيحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماءها، فإذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضباً، وإذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة، وإذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة ... وقال قوم من السلف: محبته من الصفات الخبرية فأطلقوا اللفظ وتوقفوا عن التفسير، فأما ما عدا هذه الجملة مما هو في المعقول من صفات محبة الخلق الكامل إلى الشيء والاستئناس بالشيء، وكحالة يجدها المحب مع محبوبه من المخلوقين، فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك، وأما محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها من قلبه تَلَطُّفٌ عن العبارة، وقد تحمله تلك الحالة على تعظيمه، وإثارة رضاه، وقلة الصبر عنه، والاهتياج إليه، وعدم القرار من دونه، ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه وعبارات الناس عن المحبة كثيرة، وقد تكلموا في أصلها في اللغة، فبعضهم قال: الحب اسم لصفاء المودة ... وأما أقول الشيوخ فيه: فقال بعضهم: المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم. وقيل: المحبة إثارة المحبوب على جميع المصحوب. وقيل: موافقة الحبيب في المشهد والمغيب. وقيل: محو المحب لصفاته، وإثبات المحبوب بذاته. وقيل: مواطاة القلب لمرادات الرب. وقيل: خوف ترك الحرمة مع إقامة الخدمة. وقال أبو يزيد البسطامي: المحبة استقلال الكثير من نفسك، واستكثار القليل من حبيبك. وقال سهل بن عبد الله: الحب معانقة الطاعة، ومباينة المخالفة. وسئل الجنيدي عن المحبة فقال: دخول صفات المحبوب على البديل من صفات المحب. أشار بهذا إلى استيلاء ذكر المحبوب حتى لا يكون الغالب على قلب المحب إلا ذكر صفات المحبوب، والتغافل بالكلية عن صفات نفسه والإحساس بها. وقال أبو علي أحمد الروذباري: المحبة الموافقة. وقال أبو عبد الله القرشي: حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شيء. وقال دلف الشبلي: سُميت المحبة محبة لأنها تحو من القلب ما سوى المحبوب ... " إلى آخره. (أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٣١٧-٣٢٧).

وقال الغزالي (توفي سنة ٥٠٥هـ): "بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى ... لم يُتصوَّر أن يتصف بالحب جماد بل هو خاصية الحي المدرك ... فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء المُلذِّذ، فإن تأكد ذلك الميل وقوي سُمي عشقاً ... والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائمتهم، وهذا إنما يُتصوَّر في نفس ناقصة فإنها تميل إلى ما لا يوافقها فتستفيد بنيله كما لا فتلتذ بنيله وهذا مُحال على الله تعالى ... فإذا محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه، وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه. وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك

هذا الكمال الذي هو مُفلس عنه فاقد له، فلا جَرَم يشتاقي إلى ما فاته، وإذا أدرك منه شيئاً يَلْتَدُّ به، والشوق والمحبة بهذا المعنى مُحالٌّ على الله تعالى". (الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، مجلد ٤، ص ٣٧٨-٤٥٤).

وقال **ابن العريف** (توفي سنة ٥٣٦هـ): "وأما المحبة فهي أول أودية الفناء، والعقبة التي يُتَحَدَّرُ منها على منازل المحو، وهو آخر منزل تلتقي فيه مقدمة العامة بساقية الخاصة". (ابن العريف، النفائس ومحاسن المجالس، ص ٦٩٥).

وقال **ابن الجوزي** (توفي سنة ٥٩٧هـ): "اعلم أن الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهذا الميل قد خُلِقَ في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل، وإلى المشرب ما شرب، وإلى المنكح ما نكح، وكذلك كل ما يشتهي، فالهوى مستجلب له ما يفيد، كما أن الغضب يدفع عنه ما يؤذي، فلا يصلح ذمُّ الهوى على الإطلاق، وإنما يُذَمُّ المفرط من ذلك، وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار". (ابن الجوزي، ذم الهوى، ص ١٨).

وقال الشيخ الأكبر **محمي الدين ابن عربي** (توفي سنة ٦٣٨هـ) في الباب الثامن والسبعين ومئة في معرفة مقام المحبة: "إعلم وفقك الله أن الحب مقام إلهي فإنه وصف به نفسه وتسمى بالودود.... ولهذا المقام أربعة ألقاب: منها الحب وهو خلوصه إلى القلب وصفائه عن كدورات العوارض فلا غرض له ولا إرادة مع محبوبه. واللقب الثاني: الودّ وله اسم إلهي وهو الودود، والودّ من نعوته وهو الثابت فيه، وبه سمي الودّ ودأً لثبوته في الأرض. واللقب الثالث: العشق وهو إفراط المحبة، وكنى عنه في القرآن بشدة الحب في قوله: (... وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ...) (البقرة: ١٦٥) وهو قوله: (... قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ...) (يوسف: ١٢: ٣٠)

أي صار حبها يوسف على قلبها كالشغاف وهي الجلد الرقيقة التي تحتوي على القلب فهي ظرف له محيطة، وقد وصف الحق نفسه في الخبر بشدة الحب غير أنه لا يطلق على الحق اسم العشق، والعاشق والعشوق التفاف الحب على المحب حتى خالط جميع أجزائه، واشتمل عليه اشتمال الصماء مشتق من العشقة. واللقب الرابع: الهوى وهو استفراغ الإرادة في المحبوب والتعلق به في أول ما يحصل في القلب وليس لله منه اسم، ولخصوله سبب، نظرة أو خبر أو إحسان، وأسبابه كثيرة، ومعناه في الخبر الإلهي الصحيح حب الله عبده إذا أكثر نوافل الخيرات، وكذلك اتباع الرسول فيما شرع، وهذا منزلته فينا مسمى الهوى.... واختلف الناس في حدّه فما رأيت أحداً حدّه بالحدّ الذاتي بل لا يتصور ذلك، فما حدّه من حدّه إلاّ بنتائج وآثاره ولوازمه، ولا سيما وقد اتصف به الجناب العزيز وهو الله. وأحسن ما سمعت

وهذا الوصف ينطبق على الإنسان لأنه ينطبق على رسول الله ﷺ. ولكن لا نعلم هل يجوز لفظ "الإعجاب" ولفظ "الميل" على حب الله ﷻ. يقول الإمام الغزالي - كما ذكرنا بعضه في الحاشية السابقة - :

"والحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائم ، وهذا إنما يُتَّصَرُّ في نفس ناقصة فإنها تميل إلى ما لا يوافقها فتستفيد بنيله كمالاً فتلتدُّ بنيله، وهذا مُحال على الله تعالى فإذا حبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه، وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه. وأما حبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مُفلس عنه فاقد له، فلا جَرَمَ يشتاق إلى ما

فيه ما حدثنا به غير واحد عن أبي العباس ابن العريف الصنهاجي قالوا: سمعناه يقول وقد سئل عن الحبة فقال: الغيرة من صفات المحبة والغيرة تأتي إلاَّ السَّتر فلا تحدُّ. واعلم أن الأمور المعلومات على قسمين: منها ما يحد، ومنها ما لا يحد، والمحبة عند العلماء بها، المتكلمين فيها، من الأمور التي لا تحد، فَيَعْرِفُهَا من قامت به ومن كانت صفته ولا يعرف ما هي ولا ينكر وجودها إن الحب تعلق خاص من تعلقات الإرادة". (الشيخ ابن عربي، الفتوحات المكية، مجلد ٢، ص ٣١٧-٣٢٢).

وقال ابن قيم الجوزية (توفي سنة ٧٥١هـ): "فصل: لا تُحدُّ المحبة بحدٍ أوْضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً وجفاءً، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصفٍ أظهر من المحبة. وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدا وثمراتها وأحكامها، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة، وتنوعت بهم العبارات، وكثرت الإشارات، بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله، ومُلكه للعبارة. وهذه المادة تدور في اللغة على خمسة أشياء: أحدها: الصفاء والبياض الثاني: العلو والظهور الثالث: اللزوم والثبات الرابع: اللب وهو أصل الشيء ومادته وقوامه. الخامس: الحفظ والإمسك ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة". (ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، مجلد ٣، ص ١٠).

فاته، وإذا أدرك منه شيئاً يلتذُّ به، والشوق والمحبة بهذا المعنى مُحالٌ على الله تعالى^٧.

فالإمام الغزالي يصف محبة الله للعبد بأنها "تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه"....". والغزالي هنا يستعمل كلمة "المحبة"، وقد يكون هنالك فرق بين كلمتي "المحبة" و"الحب" كما سنرى لاحقاً إن شاء الله. ولكن كيف نصل إلى فهم حب الله ﷻ من القرآن الكريم؟ كما سنرى لاحقاً (في فصل "حب الله ﷻ للناس") فإن الله ﷻ يجب – وبالتالي يعطي – كل الناس بل كل الخلق أفضالاً لا حصر لها وذلك من رحمة الله وحبه. ولكن الله ﷻ يحدد ثمانية أو تسعة أصناف من الناس يجبههم بشكل خاص (منهم "الصابرين" و"المتقين" و"المحسنين"، إلخ). والقاسم المشترك بين هؤلاء الناس هو الجمال الخلقي وحلية النفس. ولهذا يمكن القول أنه في حين أن الله ﷻ يجب كل شيء خلقه بشكل عام، إلا أنه يجب الجمال الخلقي وحلية النفس بشكل خاص. والله ﷻ وضع الجمال في كل ما خلقه، يقول الله ﷻ:

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ^٨ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ^٩ (السجدة، ٢٢: ٧)

إذاً، يمكن القول إن الله ﷻ يجب الجمال الخلقي وحلية النفس بشكل خاص ويجب الجمال العام بشكل عام. أي أن الله ﷻ يجب الجمال أو الجمال بحسب درجته.

ولكن بما أن الله ﷻ خلق كل شيء – بما في ذلك كل الجمال الذي في الوجود – فإن ذلك يعني أنه أعطى كل شيء خلقه كهديّة منه ﷻ. وحين سأل فرعونُ سيدنا موسى عليه السلام عن الله ﷻ، حدث النقاش التالي:

قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى^{١٠} قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى^{١١}

٧ الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، مجلد٤، ص ٣٧٨-٤٥٤.

إِذَا قَالَ اللَّهُ ﷻ هُوَ الَّذِي يُعْطِي كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ يَهْدِي كُلَّ شَيْءٍ (وفي حالة الإنسان فهي هدية الجمال الخلقي وحلية النفس). إِذَا فَإِنَّ حُبَّ اللَّهِ ﷻ بِالنِّسْبَةِ لِلنَّاسِ هُوَ أَوْلَىٰ أَنَّهُ أُعْطِيَ الوجودَ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ وَأَفْضَالٌ كَثِيرَةٌ أُخْرَى (من بينها الجمال بأنواعه المختلفة)، وثانياً حُبُّ الجَمالِ. ويمكن اختصار كل هذا في الحديث الشريف التالي:

«إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»^٨.

إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ - أو بالأحرى: هو "الجميل" في حديث شريف آخر^٩ -
يعني أن الجمال كله هدية من عند الله ﷻ وبالتالي فإن الله ﷻ هو معطي^{١٠}

٨ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر، رقم ٩١.

٩ عن أبي هريرة ؓ، أن رسول الله ﷺ قال: "إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً إنه وتر يحب الوتر من حفظها دخل الجنة، وهي: الله، الواحد، الصمد، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الخالق، البارئ، المصور، الملك، الحق، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الرحمن، الرحيم، اللطيف، الخبير، السميع، البصير، العليم، العظيم، البار، المتعال، الجليل، الجميل، الحي، القيوم، القادر، القاهر، العلي، الحكيم، القريب، المحبب، الغني، الوهاب، الودود، الشكور، الماجد، الواجد، الوالي، الراشد، العفو، الغفور، الخليم، الكريم، التواب، الرب، المجيد، الولي، الشهيد، المين، البرهان، الرؤوف، الرحيم، المبدئ، المعيد، الباعث، الوارث، القوي، الشديد، الضار، النافع، الباقي، الواقي، الخافض، الرافع، القابض، الباسط، المعز، المذل، المقسط، الرزاق، ذو القوة، المتين، القائم، الدائم، الحافظ، الوكيل، الفاطر، السامع، المعطي، المحيي، المميت، المانع، الجامع، الهادي، الكافي، الأبد، العالم، الصادق، النور، المنير، التام، القديم، الوتر، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد". رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب أسماء الله عز وجل، رقم ٣٨٦١؛ وهناك حديث مشابه - ولعله معروف بشكل أوسع - يذكر فيه سيدنا محمد ﷺ مجموعة مختلفة قليلاً من أسماء الله الحسنى، رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب أسماء الله الحسنى، رقم ٣٥٠٧؛ ولكن هذه المجموعة لا تتضمن اسم "الجميل".

١٠ "المعطي" من أسماء الله الحسنى.

الوجود ومعطي أفضالاً لا تحصى لكل مخلوق. أن الله "يحب الجمال" يعني أن حب الله ﷺ هو حب الجمال (دون أن ننسى أن كل الجمال المخلوق من عنده ﷺ). وهذا يؤكد وصفنا السابق لحب الله ﷺ. ويمكن أن نستنتج تعريفاً مشابهاً لرحمة الله ﷻ.

تعريف الحب الإلهي على أنه: "أولاً، أنه أعطى الوجود وأفضالاً أخرى لا تحصى (من ضمنها الجمال بأنواعه المختلفة) إلى كل مخلوق، وثانياً،

١١ خلق الله ﷺ البشرية والكون من رحمته، فكما سنرى في تفصيل أكبر في فصل "الحب أصل الخلق" يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: **الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۙ عَلَّمَهُ آتِينَانَ ۙ** (الرحمن، ٥٥: ١-٤)، ويقول ﷻ: **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۗ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ...** (هود، ١١٨-١١٩).

ولكن يجب الالتفات إلى أنه في حين أن رحمة الله ﷻ "وسعت كل شيء"، إلا أنها "مكتوبة" فقط "للَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ":

وَأَكْتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا أَلَيْكَ قَالَ عَدَايَ أُصِيبَ بِهِ مَن أَشَاءُ ۗ وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (الأعراف، ٧: ١٥٦)

وهكذا فإن رحمة الله ﷻ تتجلى أولاً في خلق كل شيء وإعطاء كل شيء خلقه (وأفضال أخرى لا تحصى)، وثانياً، نرى رحمة الله ﷻ تجاه الذين **يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**. فيمكننا القول إن رحمة الله ﷻ هي أولاً أنه أعطى الوجود لكل شيء في الخلق ومن ثم رحمة الله ﷻ التي يكتبها للبشر الذين يقبلون رحمة الله ويهتدون اليه ﷻ.

وهكذا يمكن تعريف رحمة الله ﷻ - أو على الأقل معرفتها - بشكل مشابه لحب الله ﷻ (كما ناقشنا أعلاه). وبالطبع فإن هذا أمر متوقع لأن الحب الإلهي هو صفة إلهية لا يمكن فصلها عن الرحمة الإلهية، كما سنرى لاحقاً في فصل "الله ﷻ والحب". يقول الله ﷻ: **وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ** (هود، ١١: ٩٠)

وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (البروج، ٨٥: ١٤)

حب الجمال، وهو تعريف لا يتعارض في معناه مع تعريف الحب البشري على أنه "الميل إلى الحسن" أو الجمال، إلا أنه يجب ان نتذكر أن الله ﷻ خلق كل شيء وأن كل الجمال هو هدية من الله ﷻ ولا يمكن القول إن الله ﷻ "يميل" والله أعلم.



ويؤكد وصفنا السابق للحب الأصل اللغوي للكلمة فالحب من الحب، والحب هو الذي يقع في الأرض، ثم ينمو، ثم يأتي بنبتة جميلة جديدة. فقد أوضح الله ﷻ في كتابه الكريم هذا الأمر في قوله ﷻ:

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ (البقرة، ٢: ٢٦١)

فالحب مثل الحب، يأتي بنبتة يضاعفها الله كيف يشاء، لمن يشاء. وقد أكد العلماء هذا الأصل اللغوي لكلمة "الحب"، وذكروا أصولاً أخرى لكلمة الحب قد تكون مشتقة منها أيضاً^{١٢}.

١٢ قال القشيري: "وعبارات الناس عن المحبة كثيرة، وقد تكلموا في أصلها في اللغة، فبعضهم قال: الحب اسم لصفاء المودة، لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان. وقيل الحباب ما يعلو الماء عند المطر الشديد، فعلى هذه المحبة غليان القلب وثورانه عند العطش، والاهتياج إلى لقاء المحبوب. وقيل: إنه مشتق من حباب الماء بفتح الحاء وهو معظمه، فسمي بذلك: لأن المحبة غاية معظم ما في القلب من المهمات. وقيل: اشتقاقه من اللزوم والثبات، يقال: أحب البعير وهو أن يبرك فلا يقوم، فكأن المحب لا يبرح بقلبه عن ذكر محبوبه. وقيل: الحب مأخوذ من الحب وهو القَرَط، قال الشاعر:

تبيت الحية النضناض منه مكان الحب يستمع السرار

وسمي القَرَط حَباً: إما للزومه للأذن أو لقلقه، وكلا المعنيين صحيح في الحب. وقيل: هو مأخوذ من الحب، والحب جمع حَبَّة، وحَبَّة القلب ما به قوامه، فسمي الحب حُباً باسم

محلّه. وقيل: هو مأخوذ من الحَبَّة بكسر الحاء، وهي بزور الصحراء، فسمي الحُب حَباً لأنه لباب الحياة، كما أن الحَب لباب النبات. وقيل: الحَب هي الخشبات الأربع التي توضع عليها الجرة، فسميت المحبة حَباً لأنه يتحمل عن محبوه كل عز وذل. وقيل: هو من الحَب الذي فيه الماء، لأنه يمسك ما فيه فلا يسع فيه غير ما امتلأ به، كذلك إذا امتلأ القلب بالحَب فلا مساع فيه لغير محبوه". (القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٣٢٠).

الباب الأول: الحب الإلهي

٤. الباب الأول؛ الفصل الأول:

الله ﷻ والحب

من الواضح أن الحب حقيقة، لأن الله ﷻ ذكر في القرآن الكريم أنه يجب بعض الأنواع من الناس ومنهم المتوكلون: **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ** **اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴿١٥٩﴾ (آل عمران ٣: ١٥٩)

ويؤكد أيضاً أن الحب من صفات الله ﷻ وليس فقط من أفعاله كثير من أسمائه الحسنى (مثل اسمه ﷻ: " اللطيف"، و "الرؤوف"، و "الكريم"، و "الحليم"، و "الوكيل"، و "الولي" و "البر"، و "الغفور"، و "الغفار"، و "التواب"، و "العفو") وبالذات اسمه "الودود" الذي جاء في القرآن الكريم مرتين:

وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ (هود، ١١: ٩٠)

وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ (البروج، ٨٥: ١٤)

فاسم الله ﷻ الودود يدل على علاقة الحب بالرحمة لأن معنى ^{١٣} اسم

١٣ قال الإمام الغزالي (توفي سنة ٥٠٥هـ) في اسم الله الودود: " الودود هو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم ويثني عليهم. وهو قريب من معنى الرحيم، لكن الرحمة إضافة إلى مرحوم، والمرحوم هو المحتاج والمضطر. وأفعال الرحيم تستدعي مرحوماً ضعيفاً، وأفعال الودود لا تستدعي ذلك، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود". (الإمام الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ص ١٢٢).

وقال الإمام الرازي (توفي سنة ٦٠٦هـ) في اسم الله الودود: " قال تعالى (وهو الغفور الودود) والود هو الحب، وفيه وجهان. الأول أنه فعول بمعنى فاعل، بالودود بمعنى الود،

"الودود" يحتوي على فكرتين: الحب والرحمة - كما نرى في اقتران اسم "الودود" باسم "الرحيم" واسم "الغفور" في الآيتين الكريميتين أعلاه - وبالتالي فإن الحب يأتي مع الرحمة، وإن الرحمة تأتي مع الحب.

وأيضاً يمكننا أن نقول إن أسماء الله الحسنى الأخرى التي تدل على "الإكرام" أو "الجمال" - مثل "الرؤوف" الذي أتى في القرآن الكريم عشر مرات^{١٤} وغيره من الأسماء - تشير إلى حب ورحمة الله ﷻ معاً. بل أكثر من ذلك فبالإمكان أن نقول: إن الرحمة تُؤلِّد الحب. فالرحمة من الرحم، ويقول الله ﷻ في الحديث القدسي:

«أَنَا اللَّهُ وَأَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّئُهُ»^{١٥}.

وإذا تفكرنا في الرحم نستنتج أن الرحم تلد الحب كما يلد الطفل، لأن الطفل يولد من الرحم ومعه حُب أمه، وهذه قاعدة طبيعية: الرحمة تولد الحب ولكن للحب خصوصية على الرحمة.

أي يجبهم كما قال " ... نُجِبُهُمْ وَنُحْيُونَهُمْ ... " (المائدة: ٥٤) ومعنى قولنا: أنه تعالى يحب عبده أي يريد إيصال الخيرات إليه. واعلم أن الود بهذا التفسير قريب من الرحمة، لكن الفرق بينهما أن الرحمة تستدعي مرحوماً ضعيفاً، والود لا يستدعي ذلك، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود. الثاني: أن يكون معنى كونه ودوداً أن يوددهم إلى خلقه، كما قال: " ... سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا " (مريم: ٩٦) الثالث: أن يكون فعول بمعنى المفعول، كما قيل: رجل هيبوب بمعنى مهيب، وفرس ركوب، بمعنى مركوب، فالله سبحانه وتعالى مودود في قلوب أوليائه، لكثرة وصول إحسانه إليهم". (الرازي، شرح أسماء الله الحسنى، ص ٢٧٣-٢٧٤).

١٤ البقرة ٢: ١٤٣، والبقرة ٢: ٢٠٧، وآل عمران ٣: ٣٠، والتوبة ٩: ١١٧، والنحل ١٦: ٧، والنحل ١٦: ٤٧، والمؤمنون ٢٣: ٦٥، والنور ٢٤: ٢٠، والحديد ٥٧: ٩، والحشر ٥٩: ١٠.

١٥ رواه الترمذي، رقم ١٩٠٧، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في قطيعة الرحم.

ولا تقتصر العلاقة الطبيعية بين الحب والرحمة على صلة الرحم. فالله ﷻ وضع علاقة المودة - التي هي نوع من أنواع الحب كما سنرى لاحقاً إن شاء الله - بالرحمة في الآية التالية:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم: ٣٠)



قد اقترن اسمه ﷻ " الرَّحْمَن " باسم الجلالة " اللَّهُ " في قوله سبحانه:

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿١٧﴾ ... (الإسراء: ١٧)

فهذا يعني أن الرحمة من الذات الإلهية من غير تشبيه. ويؤكد هذا الطرح قول الله ﷻ:

... كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ... (الأنعام: ٦)

وقوله ﷻ:

... كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ... (الأنعام: ٥٤)

وهذا يعني أيضاً أن الله ﷻ ألزم نفسه الرحمة؛ أي أن الرحمة الإلهية هي من الذات الإلهية وبالتالي إنها تسع كل شيء. ويؤكد ذلك قوله ﷻ:

... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ... (الأعراف: ٧)

وهذا ما أكدته الملائكة وهم يستغفرون للذين آمنوا:

... رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ... (غافر، ٤٠)

ولا يفوتنا أيضاً أن نذكر أن جميع سور القرآن الكريم تبدأ بـ "بسم الله الرحمن الرحيم"، باستثناء سورة التوبة وأن العلماء قالوا بأن "البسملة" التي لم تذكر في أولها موجودة في سورة النمل في قوله ﷻ:

فبما أن كل شيء في القرآن يبدأ بـ "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" فهذا يدل أيضاً على الاقتران بين اسم "الله" والرحمة^{١٦}.

فكل ذلك لنقول إن الرحمة ومعها الحب من صفات الله ﷻ ومن أسماء الذات الإلهية. ونرى هذا في آية الكرسي التي تتحدث عن الذات الإلهية وصفات الله ﷻ. وقال سيدنا محمد ﷺ عن آية الكرسي إنها أعظم آية في القرآن الكريم^{١٧}. يقول الله ﷻ:

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۗ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۗ وَلَا يَئُودُهُ

١٦ يشير العالم عبد الكريم الجلي (توفي سنة ٨٠٥هـ) إلى أن الرحمة أصل أسماء وصفات الله ﷻ وأن أسماء الله تنبثق من صفة الرحمانية، وهذا نصه من كتابه الإنسان الكامل: "الرحمانية: هي الظهور بمقتات الأسماء والصفات، وهي بين ما يختص به في ذاته كالأسماء الذاتية، وبين ما لها وجه إلى المخلوقات كالعالم والقادر والسميع وما أشبه ذلك مما له تعلق بالحقائق الوجودية والاسم الظاهر في المرتبة الرحمانية هو الرحمن، وهو اسم يرجع إلى أسمائه الذاتية وأوصافه النفسية، وهي سبعة: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر واختصاص هذه المرتبة بهذا الاسم للرحمة الشاملة لكل المراتب الحقيقية والخلقية، فإن بظهوره في المراتب الحقيقية ظهرت المراتب الخلقية، فصارت الرحمة عامة في جميع الموجودات من الحضرة الرحمانية". (الشيخ الجلي، الإنسان الكامل، ص ٧٣).

١٧ عن أبي بن كعب؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم. قال: فضرب في صدري وقال: «والله ليَهْنِكُ العلم أبا المنذر». رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم ٨١٠.

بعد ذكر اسمين من أسماء الله الحسنى ("الحي" و"القيوم") وبعض الصفات الإلهية، يقول الله ﷻ: **مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**. الشفاعة وظيفة من وظائف الرحمة وانعكاساً لها، فنفهم من هذه الآية الكريمة أن الرحمة الإلهية هي من الذات الإلهية وأن الرحمة كلها - حتى رحمة مخلوقات الله ﷻ تجاه بعضها بعضاً - هي من عند الله ﷻ بكونها **"بِإِذْنِهِ"**. يقول الله ﷻ:

﴿ **وَمَنْ مِّنْ مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾

﴿٢١﴾ (النجم، ٥٣: ٢٦)

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وِليٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ

يَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ (الأنعام، ٦: ٥١)

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا

لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وِليٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١٠٦﴾ (السجدة، ٣٢: ٤)

أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَآ يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ

لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٠٨﴾ (الزمر، ٣٩: ٤٣-٤٤)



واختلف العلماء والمفسرون في الفرق بين "الرحمن" و"الرحيم" لكنهم أكدوا جميعاً أن اسم "الرحمن" لا يحتاج مفعولاً به، بينما اسم "الرحيم" يحتاج إلى مفعول به لكي يرحمهم. فهذا يعني أن الرحمن رحمن بذاته، وأن الرحيم رحيم بفعله. بما أن الحب يأتي مع الرحمة، وبما أن الرحمة

تأتي في كلٍ من الاسمين الكريمين: "الرحمن" و "الرحيم" ^{١٨} فالحب إذاً

اسمًا لله "الرَّحْمَنُ" و "الرَّحِيمُ"

١٨

إن أقوال العلماء في بيان معنى اسمي الله تعالى "الرَّحْمَنُ" و "الرَّحِيمُ" كثيرة، اخترنا منها ما يلي:

قال ابن كثير: "الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم ... عن عيسى عليه السلام أنه قال: والرحمن رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة ... قال أبو علي الفارسي: الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى، والرحيم إنما هو في جهة المؤمنين، قال الله تعالى: ... وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ (الأحزاب: ٣٣-٤٣)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، أي أكثر رحمة ... وقال ابن المبارك: الرحمن إذا سنل أعطى، والرحيم إذا لم يسأل يغضب، وهذا كما جاء في الحديث ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من لم يسأل الله يغضب عليه»، ... سمعت العزومي يقول: الرحمن الرحيم، قال: الرحمن لجميع الخلق، الرحيم قال: بالمؤمنين، قالوا: ولهذا قال: ... ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ ... (الفرقان: ٢٥-٥٩) وقال: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴿٤٣﴾ (طه: ٥٠) فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته، وقال: ... وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ (الأحزاب: ٣٣-٤٣) فخصَّهم باسمه الرحيم، قالوا: فدل على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه، والرحيم خاصة بالمؤمنين ... واسمه تعالى الرحمن خاص به لم يُسمَّ به غيره ... وأما الرحيم فإنه تعالى وصف به غيره، حيث قال: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ (التوبة: ٩١) (١٢٨) . (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص ٦٥-٦٦).

وقال الغزالي: "الرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمة تستدعي مرحوماً، ولا مرحوم إلا وهو محتاج، والذي ينقضي بسببه حاجة المحتاج من غير قصد وإرادة وعناية للمحتاج لا يسمى رحيماً، والذي يريد قضاء حاجة المحتاج ولا يقضيها فإن كان قادراً على قضائها لم يسمَّ رحيماً، إذ لو تمت الإرادة لوفى بها، وإن كان عاجزاً فقد يسمى رحيماً باعتبار ما اعتوره من الرقة، ولكنه ناقص، وإنما الرحمة التامة إفاضة الخير على المحتاجين وإرادته لهم عناية بهم، والرحمة العامة هي التي تتناول المستحق وغير المستحق، ورحمة الله عز وجل تامة وعامة. أما تمامها، فمن حيث أنه أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها. وأما عمومها فمن حيث شمولها المستحق وغير المستحق، وعمَّ الدنيا والآخرة، وتناول

مفهوم ضمناً في الاسمين الكريمين بالإضافة إلى ذكر الرحمة الإلهية مرتين في بداية كل سورة من سور القرآن باستثناء سورة التوبة (والتي عُوِّصَتْ في سورة النمل. في قوله ﷻ: **إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴿٣٠﴾)

(النمل، ٢٧، ٣٠)



الضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنهما. فهو الرحيم المطلق حقاً". (الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ص ٦٢).

وقال **الرازي**: "أيهما أكثر مبالغة: الرحمن أم الرحيم: روى أبو صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنه قال: الرحمن الرحيم اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر؛ ولم يبين أيهما أرق. وقال الحسين بن الفضل البلخي: هذا وهم من الراوي، لأن الرقة ليست من صفات الله تعالى، قال النبي ﷺ: **«إن الله رقيق يجب الرفق، ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف»**، واعلم: أنه لا شك أن الرحمن الرحيم كل واحد منهما مشتق من الرحمة وإن لم يكن أحدهما أشد مبالغة من الآخر، كانا لفظين مترادفين من جميع الوجوه من غير تفاوت في المعنى، وذلك بعيد، فوجب القطع بكون أحدهما أكثر مبالغة من الآخر، ثم اختلفوا فقال الأكثرون: الرحمن أكثر مبالغة من الرحيم، واحتجوا عليه بوجوه". (الرازي، شرح أسماء الله الحسنى، ص ١٦٢).

والقاسم المشترك لكل هذه التعريفات هو: أولاً: أن الرحمن يطلق على الله ﷻ فقط بينما الرحيم يطلق على الله وعلى البشر؛ ثانياً: أن اسم الرحمن لغوياً يدل على زيادة المعنى؛ وثالثاً: أن الرحيم يحتاج إلى مرحوم بينما الرحمن لا يحتاج إلى مرحوم؛ ورابعاً: أن الرحمن يأتي قبل الرحيم كما هو الحال في كل ما ذكر في الاسمين؛ وسادساً: أن الرحمن شبه مرادف لاسم الله ﷻ: **"قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى"** (الإسراء، ١٧: ١١٠)؛ وسابعاً وأخيراً: بما أنه **"كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ... (الأنعام، ٦٢: ١٢)**، وبما أن الرحمن أشد مبالغة من الرحيم ولا يحتاج لمرحوم، فالرحمن اسم من أسماء ذات الله، بينما الرحيم من أسماء صفاته، والله أعلم.

مسألة: إذا كانت رحمة الله ﷻ وسعت كل شيء (" **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ**

شَيْءٍ ")، وإذا كان الله ﷻ " **كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** "، وإن كانت رحمة الله ﷻ

سبقت غضبه (كما جاء في الحديث الشريف "إن رحمتي سبقت غضبي")،

فكيف يعذب الله ﷻ المذنبين بذنوبهم عذاباً أليماً وغلظاً؟ يقول الله ﷻ:

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُوَ ۗ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنتُمْ

بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

بَيْنَهُمَا ۗ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ (المائدة: ١٨)

وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ

لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ (النساء: ٩٣)

قال الفخر الرازي عن هذه الآية:

"وقوله (" **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ") فيه أقوال كثيرة. قيل المراد من قوله

(" **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ") هو أن رحمته في الدنيا عمّت الكل وأما في

الآخرة فهي مختصة بالمؤمنين وإليه الإشارة بقوله: (" **فَسَأَلْتُنَّهَا لِلَّذِينَ**

يَتَّقُونَ ")^{١٩}.

وكذلك قال القرطبي في تفسيره عن هذه الآية:

"قوله (" **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ") عموم، أي لا نهاية لها، أي من دخل

فيها لم تعجز عنه، وقيل: وسعت كل شيء من الخلق، حتى أن البهيمة لها

رحمة وعطف على ولدها، قال بعض المفسرين: طمع في هذه الآية كل شيء

حتى إبليس وقال: أنا شيء، فقال الله تعالى: (" **فَسَأَلْتُنَّهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ** ")^{٢٠}.

١٩ الفخر الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، المجلد ٥، ص ٣٧٩.

٢٠ القرطبي، تفسير القرطبي، المجلد ٧، ص ٢٦١.

وعلى أية حال، فإن الله ﷻ قال: " **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** "، ولم يقل "ولطفي وسع كل شيء"، بل قال: " **اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ **الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ**** " (الشورى، ٤٢: ١٩). فيلطف الله ﷻ بعباده بشكل عام، و" **يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ** " وليس الكل، فهذا لا يعني أن لطفه وسع كل شيء. وهنالك فرق شاسع بين الرحمة واللطف: فيمكن لنا أن نرحم شيئاً بفعل قاسٍ نحوه لكي نجنبه شيئاً آخر أشق (على سبيل المثال، الطبيب أو البيطري الذي يؤدي عملية جراحية) ولكن ربما لا تكون هذه الرحمة (وبالتالي هذه العملية) لطيفة أو فيها لطف من جميع النواحي. فرحمة الله ﷻ التي " **وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** " لا تعني أن الخلق أو بعضهم لن يعانون شيئاً من الألم أو العذاب أبداً وإنما الله ﷻ يهدي كل شيء في الوجود إلى الطريق الذي سيقوده إلى أقل مقدار من المعاناة، والله أعلم.



٥. الباب الأول؛ الفصل الثاني:

الحب أصل الخلق

خلق الله ﷻ الإنسان من رحمته، فالله ﷻ يقول:

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ (الرحمن: ٥٥-١-٤)

ويقول الله ﷻ:

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٥٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۗ

وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ... (هود: ١١-١١٨-١١٩)

يقول الإمام فخر الدين الرازي في تفسير قوله ﷻ "وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ":

" وفيه ثلاثة أقوال: القول الأول: قال ابن عباس رضي الله عنهما: وللرحمة خلقهم، وهذا اختيار جمهور المعتزلة. قالوا: ولا يجوز أن يقال: وللاختلاف خلقهم ويدل عليه وجوه: الأول: أن عود الضمير إلى أقرب المذكورين أولى من عوده إلى بعدهما، وأقرب المذكورين ههنا هو الرحمة، والاختلاف بعدهما. والثاني: أنه تعالى لو خلقهم للاختلاف وأراد منهم ذلك الإيمان لكان لا يجوز أن يعذبهم عليه، إذ كانوا مطيعين له بذلك الاختلاف. الثالث: إذا فسرنا الآية بهذا المعنى، كان مطابقاً لقوله ﷻ: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾ (الذاريات: ٥١-٥٦).

فإن قيل: لو كان المراد وللرحمة خلقهم لقال: ولتلك خلقهم ولم يقل: ولذلك خلقهم. قلنا إن تأنيث الرحمة ليس تأنيثاً حقيقياً فكان محمولاً على الفضل والغفران كقوله: قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي... (التكوير: ١٨-٩٨)

وقوله: ... إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥١﴾ (الأعراف: ٧-٥٦). والقول الثاني: إن المراد للاختلاف خلقهم. والقول الثالث: وهو المختار أنه خلق أهل الرحمة

للرحمة وأهل الاختلاف للاختلاف" ٢١ .

ونحن نقول إن قول ابن عباس رضي الله عنهما هنا هو الموافق لظاهر الآية، لأنه لا يمكن لنا أن نتجاهل رأي ابن عباس رضي الله عنهما - الذي تعلم القرآن الكريم من ابن عمه سيدنا محمد ﷺ - ولو اختار الرازي خلافه، ولأن القول الثالث الذي ذكره الرازي صحيح من ناحية اللغة، لأنه يصح تأنيث وتذكير الرحمة. يمكن القول - لاستيعاب رأي الفخر الرازي - إن الله ﷻ خلق أهل الرحمة للرحمة وأهل الاختلاف للاختلاف - أي أن الله ﷻ يريد الرحمة للجميع ولكنه خلق الجميع أحراراً وبالتالي سمح لهم أن يختاروا رحمة ﷻ أو لا. ولكن يبدو أن هذا جدال معقد مع تفسير ابن عباس ولا داعي له. وإضافة إلى ذلك فإن الله ﷻ كتب على نفسه الرحمة:

... كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ... (الأنعام: ٦: ٥٤)

وهذه الرحمة مرتبطة أصلاً بمخلق السموات والأرض ومن فيهن:

قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ قُلْ لِلّٰهِ كَتَبَ عَلٰى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِيْنَ خَسِرُوْا اَنْفُسِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ ﴿٢١﴾ (الأنعام: ٦: ١٢)

وقال رسول الله ﷺ:

«لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه "إن رحمتي سبقت غضبي"» ٢٢ .

فكيف يُقال إن الله خلق "أهل الاختلاف للاختلاف"، أي للبعد عن الرحمة؟ فالله ﷻ خلق الناس للرحمة حسب ما كتبه على نفسه، ولكن بعضهم اختلفوا وبسبب اختلافهم أغلقوا باب الرحمة عن أنفسهم، وهذا بالرغم من

٢١ الرازي، التفسير الكبير، مجلد ٦، ص ٤١٢ .

٢٢ رواه البخاري، رقم ٧٤٥٣، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا

المرسلين" .

أن رحمته واسعة (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) (الأعراف: ٧: ٢٣)

وإضافة إلى ذلك، كيف نقول إن الله ﷻ خلق أهل الاختلاف للاختلاف وقد ذكر الله ﷻ لنا سبب الخلق بقوله:

"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾" (الذاريات، ٥١: ٥٦)

فعبادة الله ﷻ رحمة تؤدي إلى الرحمة، ولم يذكر الله ﷻ أنه خلق بعض الإنس والجن للعبادة وبعضهم الآخر لغير ذلك (أي للاختلاف). وفي القرآن الكريم أكثر من خمس وعشرين آية تدل على أن الله ﷻ خلقنا للرحمة ولما

٢٣ ولا يفوتنا هنا أيضاً أن نذكر حديث:

«كنت كنزاً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرّفت إليهم فعرفوني».

قال العلامة المحدث العجلوني:

"قال ابن تيمية ليس من كلام النبي ﷺ ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في اللآلئ والسيوطي وغيرهم، وقال القاري: لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى: {وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون} أي: ليعرفوني، كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما، والمشهور على الألسنة: (كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً في عرفوني) وهو واقع كثيراً من كلام الصوفية واعتمده وبنوا عليه أصولاً لهم". (العلامة المحدث العجلوني، كشف الخفاء، المجلد: ١، ص ١٣٢).

لكن قال الشيخ ابن عربي إن الحديث "صحيح كشافاً"، وهذا نصه من كتاب

الفتوحات المكية:

"ورد في الحديث الصحيح كشافاً الغير الثابت نقلاً عن رسول الله ﷺ عن ربه ﷻ أنه

قال ما هذا معناه:

«كنت كنزاً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرّفت إليهم فعرفوني».

(الشيخ ابن عربي، الفتوحات المكية، المجلد: ٢، ص ٣٩٣).

ونحن هنا لا نود الخوض في صحة الحديث أو ضعفه، وإنما نقول بأن الحديث صحيح المعنى كما قال المحدث علي القاري. فهذا يعني أن الله خلق الإنسان أولاً من حبه ("فأحببت أن أعرف") وثانياً من رحمته كما ذكرنا أعلاه، ولا تناقض هنا بين حبه ورحمته لأن الحب يقتضي الرحمة كما سنرى لاحقاً إن شاء الله، والله أعلم.

يؤدي إلى الرحمة.

فالله ﷻ: "خلقنا لتتقيه"، قال الله ﷻ:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ (البقرة، ٢: ٢١)

والله ﷻ: "خلقنا لأنه يمكن لنا أن نعلم الأسماء كلها"، قال الله ﷻ:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾
وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٢﴾ (البقرة، ٢: ٣١-٣٢)

ولكي "يجزينا بالحسنى"؛ قال الله ﷻ:

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ الَّذِينَ اسْتَوُوا بِمَا وَعَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ
أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٥٣﴾ (النجم، ٥٣: ٣١)

ولكي "يلونا أننا أحسن عملاً"؛ قال الله ﷻ:

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٧﴾ (الملك، ٦٧: ٢١)
ولكي "يجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط"؛ قال الله ﷻ:
إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ سَيَنْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا
كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ (يونس، ١٠: ٤)

وكذلك "لعلنا نوقن ببقاء الله ﷻ"؛ قال الله ﷻ:

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۗ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ لِّأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ
تُوقِنُونَ ﴿١٣﴾ (الرعد، ١٣: ٢)

وكذلك " لنبتغي من فضله ونشكره ونتفكر بآياته ونعقلها ونهتدي "؛ قال الله ﷻ:

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٤﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ وَاللَّا تَعْمَرَ خَلْقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَكُمْ فِيهَا حَمَالُ حِينٍ تَرْجَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَيْغِهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ۗ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ وَالنَّخِيلَ وَالْأَيْغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَابِرٌ وَلَوْ شَاءَ هَدَانَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٠﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجْرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿٣١﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لِّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٣٦﴾ وَعَلَّمَتِ وَيَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ (النحل: ١٦-٣-١٦)

وكذلك " لنذكّر ونشكر "؛ قال الله ﷻ:

هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٢٢﴾ (الفرقان،

٦٢: ٢٥)

وكذلك " لندعوه "؛ قال الله ﷻ:

قُلْ مَا يَدْعُوا بِكُم رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ لَفَقَدَ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ (الفرقان، ٢٥

(٧٧):

وكذلك " ليتوب على المؤمنين والمؤمنات " ؛ قال الله ﷻ:

لِيَعْدِبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٧٢)

وكذلك " لنبلغ أجلاً مسمى ولنعقل " ؛ قال الله ﷻ:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا ^{٦٧} وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ ^{٦٨} وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى ^{٦٩} وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾ (غافر، ٤٠: ٦٧)

وكذلك " لنبغى من فضل الله ﷻ ونشكره ونتفكر في آياته ونكون ممن يتفكرون " ؛ قال الله ﷻ:

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٥﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ^{٤٦} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٧﴾ (الجاثية، ٤٥: ١٢-١٣)

و " لتجزى كل نفس بما كسبت " ، قال الله ﷻ:

وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ (الجاثية، ٤٥: ٢٢)

وكذلك " لتعارف " ؛ قال الله ﷻ:

يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ^{٤٨} إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَانَكُمْ ^{٤٩} إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٤٨﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٣)

وكذلك " لتبصّر ونكون من أصحاب الذكرى والإنابة " ؛ قال الله ﷻ:

تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنبِئٍ ﴿٨٠﴾ (ق، ٥٠: ٨٠)

وكذلك " لتقيم الوزن بالقسط ولا تطغى أو نخسر في الميزان " ؛ قال الله ﷻ:

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

يُحْسِبَانِ ﴿١٠﴾ وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ ﴿١١﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿١٢﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿١٣﴾ وَأَقِيمُوا الزُّنْتَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿١٤﴾ (الرهم، ٥٥: ١-٩)

وكذلك "لنهندي للسبيل ونكون شاكرين لله ﷻ"؛ قال الله ﷻ:

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٥﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿١٦﴾ (الإنسان، ٢٠-٣)

وكذلك "خلق الأرض وجعلها لنا متاعاً"؛ قال الله ﷻ:

ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَيْنَاهَا ﴿١٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿١٨﴾ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿١٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٢٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٢١﴾ وَأَجْبَالَ أَرْضَهَا ﴿٢٢﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَعْمَلِكُمْ ﴿٢٣﴾ (النازعات، ٧٩: ٢٧-٣٣)

والقاسم المشترك بين هذه الآيات كلها هو أن الله ﷻ خلقنا وأعطانا الحرية وابتلانا في هذه الحياة لكي ننال رحمته، ولو أنه سيعذب بعضنا على عدم الوفاء في سبب خلقه.

وإضافة إلى ذلك كله فإنه يوجد في القرآن الكريم خمس وعشرون آية أخرى يصف الله ﷻ فيها تفصيل حكمته في خلق أجزاء من الخلق (وليس الخلق كله) لخدمة الإنسان في الغاية من حياته وهي نيل رحمة الله ﷻ من خلال عبادته، وعلى سبيل المثال قوله ﷻ:

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿٢٤﴾ (الملك، ٦٧: ١٥)

٢٤ وانظر أيضاً إلى: (البقرة، ٢: ١٨٥-١٨٧؛ والأنعام، ٦: ١٦٥؛ والأعراف، ٧: ١٥٦؛ ويونس، ١٠: ٥؛ ١٤ و ٦٧؛ وإبراهيم، ١٤: ٣٢-٣٤؛ والحجر، ١٥: ١٦-٥٠؛ والنحل، ١٦: ٧٨-٨١؛ وطه، ٢٠: ١٥؛ والحج، ٢٢: ٦٥؛ والمؤمنون، ٢٣: ٧٨-٨٠؛ والفرقان، ٢٥: ١٠؛ والنمل، ٢٧: ٦٠-٦٤ و ٨٦؛ والقصاص، ٢٨: ٧٠-٧٣؛ والروم، ٣٠

فهذا كله دليل على أن خلق العالم والإنسان من أجل الرحمة، وبما أن الحب من الرحمة (كما رأينا سابقاً في فصل "الله ﷻ والحب") فخلق العالم والإنسان من الحب أيضاً.



مسألة: إذا كان الخلق من الرحمة وبالتالي من الحب، فما حال الخلق

الذين لا يحبهم الله ﷻ؟

سنرى لاحقاً إن شاء الله، أن الله ﷻ لم يذكر في القرآن الكريم أنه لا يحب شيئاً من خلقه إلا بعض الفئات كالظالمين والكافرين وبعض الأعمال السيئة، فجواب هذا السؤال يقتصر على ما هو حال هذه الفئات كالظالمين والكافرين وبعض الأعمال السيئة بالنسبة لرب الله ﷻ ورحمته.

أما بالنسبة لبعض الفئات كالظالمين والكافرين فنقول إن الله ﷻ خلقهم من رحمته على الفطرة، وفي أحسن تقويم وفي أحسن صورة^{٢٥}. يقول الله ﷻ:

وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ ﴿١٠﴾ وَطُورِ سَيْنِينَ ﴿١١﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿١٢﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿١٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿١٥﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ﴿١٦﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿١٧﴾

(التين، ٩٥: ١-٨)

٤٦؛ ولقمان، ٣١-١٠ و ٣١-٣٢؛ والسجدة، ٣٢-٧-٩؛ وفاطر، ٥٣-١٢-١٣؛ ويس، ٣٦، ٨٠؛ وغافر، ٤٠، ٦٤ و ٧٩-٨٠؛ والفتح، ٤٨، ٤-٩؛ والطلاق، ٦٥، ١٢ و ٢٣-٢٤؛ ونوح، ٧١، ١٤-٢٠).

٢٥ سنشرح لاحقاً ما أنعم الله به على الإنسان في فصل "حب الله ﷻ للناس" وفي فصل "ما هو الوقوع في الحب؟" بزيادة من التوسع والتفصيل.

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ
وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ (طاف، ٤٠،

(٦٤:

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ۗ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٦٥﴾ (التغابن، ٦٤: ٣٠)
يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ رِبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٦٧﴾ فِي أَيِّ
صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٦٨﴾ (الانفطار، ٨٢: ٦-٨)

ولكن هذا لا يعني أن الله ﷻ الذي خلق الإنسان " فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ " يُحِبُّهُ بعدما يصبح " أَسْفَلَ سَفَلَيْنِ "، عن أبي هريرة ؓ قال رسول الله ﷺ:
«كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...»^{٢٦}.
وعن عياض الجاشعي قال رسول الله ﷺ:

«يقول الله تعالى: ... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم
الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ...»^{٢٧}.
فهذا يعني أن الله ﷻ خلق الإنسان من الرحمة ولكن جعله حراً، يختار
ما يشاء من الخير أو من الشر. يقول الله ﷻ:

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٦٩﴾ (الإنسان، ٧٦: ٣)

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿٧٠﴾ (البالد، ٩٠: ١٠)

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٧١﴾ (فضلت، ٤١، ١٧٠)

٢٦ رواه البخاري، رقم ١٣٨٥، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ورواه مسلم،
رقم ٢٦٥٨، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

٢٧ رواه مسلم، رقم ٢٨٦٥، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة
وأهل النار.

فإذا اختار الإنسان طريق الخير وكان من المحسنين أو ما شابه ذلك، فإن الله ﷻ سيحبه. وإذا اختار الإنسان طريق الشر والسوء وأغلق نفسه عن باب هداية الله، فإنه لا ينال رحمة ورضا الله ﷻ. فالله ﷻ خلق الإنسان حراً وذلك من حبّ الله ورحمته ﷻ ولكن بعض الناس يستعملون هذه الحرية ليختاروا عدم قبول رحمة الله ﷻ وحبّه. لكي يكون الإنسان حراً يجب أن يكون حراً لاختياره للشر الذي سيؤدي إلى رفض رحمة الله ﷻ. يقول الله ﷻ عن سيدنا نوح عليه السلام:

قَالَ يَنْقَوْمِ آرَاءَ يَتَّبِعُونَ إِن كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كِرِهُونَ ﴿٢٨﴾ (هود، ٢٨: ١١)

فالمسألة ليست أن الله ﷻ لا يحب الظالمين والكافرين والأفعال الشريرة، بل هي أنّ الظالمين والكافرين استعملوا حريتهم ليرفضوا حب الله ﷻ، والله أعلم.



٦. الباب الأول؛ الفصل الثالث:

الكون والحب

ما الفرق بين التسبيح والحمد؟ التسبيح يدرك الإنسان فيه عظمة الله ﷻ وصفاته الجلالية لأن التسبيح هو تنزيه الله ﷻ، والحمد - وهو الشكر العام^{٢٨} - يدرك فيه صفاته الجمالية، أو "الإكرامية"، ويحمده عليها. وكل ما في السماوات وما في الأرض يَسْبِحُ بحمد الله تسييحاً وحمداً فطرياً:

تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١٧﴾ (الإسراء، ٤٤)

فهذا الحمد يضم حب المخلوقات الفطري الطبيعي لله ﷻ. فالكون كله يحب الله ﷻ. نحن لا نرى أثر هذا الحب ولا نفقه تسييح الكون لله ﷻ؛ كما قال الله ﷻ: **"وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ"**. لكن رسول الله ﷺ كان يفقه ويسمع حب الجماد - الذي ليس له قلب - لله ﷻ وحبه أيضاً له ﷻ. وهذا واضح في أحاديث "حنين الجذع" التي جاءت في صحيح البخاري:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ - أَوْ رَجُلٌ - يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِئْبَرًا قَالَ: «إِنْ شِئْتُمْ» فَجَعَلُوا لَهُ مِئْبَرًا. فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَيَّ الْمِئْبَرِ فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيحَاً صَبِيًّا ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ؛ تَبَّيْنُ أَيْنَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكِّنُ قَالَ: «كَأَنَّ تَبْكِي عَلَى مَا كَأَنَّ

٢٨ قال ابن كثير في تفسيره، ص ٦٧: "وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (الحمد لله) كلمة كل شاعر وقد استدل القرطبي لابن جرير بصحة قول القائل: (الحمد لله) شكراً... فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه."

تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا»^{٢٩}.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما:

«كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع فاتاه فمسح يده عليه»^{٣٠}.

ويؤكد هذه الحقيقة ملكية الخالق ﷻ للخلق، فهو الملك والمالك:

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَنْ يُكَفِّرَهُمْ لَأَن يَعْلَمُونَ

(يونس، ١٠، ٥٥)

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ۗ ... (يونس، ١٠، ٦٦)

ويؤكد هذه الحقيقة أيضاً قنوت الخلق لله:

... وَأَهُم مَّن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿٦٦﴾ (الروم، ٣٠، ٢٦)

كما يؤكد هذه الحقيقة تسليم الخلق لله:

أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ ۗ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ

يَرْجِعُونَ ﴿٢١٢﴾ (آل عمران، ٣، ٨٣)

وكذلك يؤكد هذه الحقيقة سجود الخلق - باستثناء الإنسان العاصي -

لله ﷻ:

قال الله ﷻ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن

يُنِ اللّٰهَ فَمَا لَهُ مِن مَّكْرِمٍ ۗ إِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٢٠﴾ (الحج، ٢٢، ١٨)

وقال الله ﷻ:

وَاللّٰهُ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلُّهُمُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٢٢١﴾

٢٩ رواه البخاري رقم ٣٥٨٤، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

٣٠ رواه البخاري رقم ٣٥٨٣، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

وأخيراً، نرى تأكيد هذه الحقيقة في أن كل شيء في الوجود يسأل ويرجو الله ﷻ بطريقته. وهذا معنى اسمه ﷻ: "الصمد".

قال الله ﷻ:

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ (الإخلاص، ١١٢: ١-٢)

ويؤكد هذا ما جاء في تفسير الجلالين أن معنى هاتين الآيتين هو أن الله ﷻ "هو المقصود في الحوائج على الدوام".

وقال ﷻ:

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٢﴾ (الرحمن، ٥٥: ٢٩).

في كل الخلق، وبين جميع المخلوقات، فقط الإنسان العاصي لا يجب الله ﷻ في نفسه العاصية لكن كل أجزائه المُسَبَّحة تحمد الله ﷻ وبالتالي تحبه، أي أن عدم حبه لله ليس بكيانه - لأن كيانه يجب الله ﷻ - وهذا معنى من معاني قول الله ﷻ:

... وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ... (الإسراء، ١٧: ٤٤)

ودليلنا على أن الإنسان يجب الله سبحانه بكيانه حتى لو كانت نفسه عاصية هو أن جلود البشر وحواسهم تشهد عليهم.

قال الله ﷻ:

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ (النور، ٢٤: ٢٤)

وقال الله ﷻ:

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٤﴾ (يس،

٣٦: ٦٥)

وقال الله ﷻ:

حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٠﴾
وَقَالُوا لَاجِلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ

أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ (فصلت، ٤١: ٢٠-٢١)

فالكون كله يجب الله ﷻ، وكيف لا؟ وهو خالقه، وبارؤه ومصوره.

قال الله ﷻ:

هُوَ اللَّهُ الَّذِي تَخْلِيقُ الْبَارِي الْمَصُورُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢١﴾ (الحشر، ٥٩: ٢٤).

أما بالنسبة لحب الله خلقه فقد ذكرنا سابقاً أن الله ﷻ قال:

... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ ... (الأعراف، ٧: ١٥٦).

ومع أن الله سبحانه لا يجب فئات الظالمين والكافرين والمشركين والمنافقين - كما سنرى إن شاء الله - وباستثناء هذه الفئات فالله ﷻ يجب كل شيء وهذا لا يعني بطبيعة الحال أنه سيطُف بكل شيء دوماً، فقال: " وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ " ولم يقل ولطفي وسع كل شيء، ولكن قال:

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٢١﴾ (الشورى ٤٢: ١٩) .

فالله يرزق اللطيف لمن يشاء، ولكن رحمته أوسع. والدليل على أن الله يجب كل شيء خلقه (باستثناء الكافرين والظالمين والمشركين والمنافقين) هو أن الجمال موجود في كل شيء خلقه، قال ﷻ:

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۗ ... (السجدة ٣٢: ٧)

فالله ﷻ يجب الجمال الموجود في الخلق الذي أحسنه والذي هو من جماله، لأنه «يجب الجمال».

ولا يعني هذا أن حب الله مثل الحب الإنساني لأنه قال:

... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢١﴾ (الشورى ٤٢: ١١)

فالخلاصة هي أن الله ﷻ يجب الكون والإنسان لما وضعه فيهما من جمال. إذاً فالله يجب جماله ﷻ في الكون، وبالتالي يجب الكون لما وضعه هو

الحب في القرآن الكريم

فيه من جمال. ولكن البشر يحبون الله (أو يجب أن يحبوا الله ﷻ) ليس لذاتهم وإنما لذات الله ﷻ وحده، فالله ﷻ يقول:

... وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ... (محمد، ٤٧: ٣٨)

ويقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ (فاطر، ٣٥: ١٥)

فالخلق يحبون الله ﷻ لذاته وجماله، وجمال الكون والإنسان - وهذا الجمال لا يعود لهم إنما هو من الله ﷻ - والله أعلم.

٧. الباب الأول؛ الفصل الرابع:

حب الله ﷻ للناس

فضل الله شيء من رحمته، والرحمة - كما رأينا سابقاً - تأتي مع الحب، فينبغي لنا هنا أن نذكر أن فضل الله ﷻ الذي يعطيه للإنسان من غير شروط هو شيء من عموم حبه.

فبعد أن خلق الله ﷻ الإنسان من تراب، نفخ فيه من روحه:

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ^١ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ^٢ سَاجِدِينَ^٣ (ص: ٣٨، ٧٢)

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ^٤ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ^٥ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ^٦ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ^٧ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ^٨ (السجدة، ٧-٩)

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ^٩ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ^{١٠} وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ^{١١} سَاجِدِينَ^{١٢} فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ^{١٣} إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ^{١٤} قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ^{١٥} قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ^{١٦} قَالَ فَاحْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ^{١٧} (الحجر، ١٥-٢٨، ٣٤)

وخلق الله ﷻ الإنسان في أحسن صورة:

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ^{١٨} وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ^{١٩} ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ^{٢٠} (غافر، ٤٠)

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ^{٢١} وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ^{٢٢} (التغابن، ٦٤، ٣)

يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَمَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦٠﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٦١﴾ فِي أَيِّ
صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٦٢﴾ (الانفطار، ٨٢: ٦-٨)

وخلق الله ﷻ الإنسان أيضاً في أحسن تقويم:

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿٦٣﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٦٤﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٦٥﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٦٧﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦٨﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴿٦٩﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٧٠﴾
(التين، ٩٥: ١-٨)

وخلق الإنسان على فطرة حنيفة:

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ
نَّصِيرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ
لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٢﴾ (الروم، ٢٩: ٣٠-٣١)

فبروح الله، وبأحسن صورة، وبأحسن تقويم، وبالفطرة الحنيفة، فضل
الله ﷻ الإنسان تفضيلاً على كثير من الخلق:

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ
عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٣﴾ (الإسراء، ٧٠: ٧٠)

فبهذا الفضل، كرم الله ﷻ الإنسان حتى على الملائكة وجعله خليفته
في الأرض:

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ

لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ (الأعراف، ٧: ١١)

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٥﴾ قَالَ يَتَّخِذُ أَسْمَاءَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۗ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١٦﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ (البقرة، ٢: ٢٩-٣٤) ٣١

فيهذا كله تسلّم الإنسان أمانة أكبر من أن تحملها السماوات والأرض والجبال:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۗ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٧٢)

وأخيراً لا يفوتنا أن نذكر أنه بالإضافة إلى الفضل غير المشروط الذي كرّم الله ﷺ به كل إنسان بشكل عام، فإنه أيضاً كرّم كل إنسان كفرّد. يقول الله ﷻ:

٣١ انظر أيضاً إلى: الأعراف، ٧: ١٢-٢٧؛ الإسراء، ١٧: ٦١-٦٥؛ الكهف، ١٨: ٥٠؛ طه، ٢٠: ١١٥-١١٦؛ ص، ٣٨: ٧١-٨٥؛ يونس، ١٠: ١٤؛ الأنعام، ٦: ١٦٥؛ فاطر، ٣٥: ٣٩؛ الأحزاب، ٣٣: ٧٣.

وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ (النحل، ١٦، ١٨)

وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿١٨﴾ (النحل، ١٦، ١٧)

وَأَتَّكُم مِّن كُلِّ مَّا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿١٩﴾ (إبراهيم، ١٤، ٢٤)

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً

وَبَاطِنَةً ﴿٢٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ (لقمان، ٣١، ٢٠)

كُلًّا نُّمِدُّ هُنُوًّا وَهَنْؤًا وَمِنَ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٢﴾ (الإسراء، ١٧، ٢٠)



كما رأينا، فضل الله ﷻ للإنسان بشكل عام وبشكل فردي تفضيلاً عظيماً على باقي المخلوقات. والفضل من الرحمة، ولا يمكن فصل الرحمة عن الحب. ففضل الله الكبير ﷻ على الإنسان هو نتيجة حب الله للإنسان بشكل عام.

إضافة إلى ذلك، أشار الله ﷻ إلى محبته للناس في حالة اتباعهم للرسول ﷺ:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣، ٣١)

وذكر الله ﷻ قوماً قد يأتون في المستقبل، ويتحلون بصفات معينة:

يَتَّيِبُهُمُ اللَّهُ لِيَأْتَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرُوبًا وَسَوْفَ يُجِيبُهُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرٌ وَسَوْفَ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ بِقُرُونٍ سَعِيدَةٍ ﴿٣٢﴾ (آل عمران، ٣، ٣٢)

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴿٣٣﴾ (آل عمران، ٣، ٣٣)

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة: ٥٤)

لكن ذكر الله ﷻ ثمانية أصناف من الناس يحبهم ويفعل مضارع، كما يلي:

١. " المتوكلين " :

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنت لَهُمْ ۗ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِن حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۗ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٥١﴾ (آل عمران، ٣: ١٥٩)

٢. " المتطهرين " أو " المطهرين " :

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۗ قُلْ هُوَ أذى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۗ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ ۗ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ ۗ مِن حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٣٢﴾ (البقرة، ٢: ٢٢٢)

لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۗ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِن أَوَّلِ يَوْمٍ ۗ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۗ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴿٣٣﴾ (التوبة، ٩: ١٠٨)

٣. " التوابين " :

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۗ قُلْ هُوَ أذى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۗ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ ۗ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ ۗ مِن حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٣٣﴾ (البقرة، ٢: ٢٢٢)

٤. "المقسطين":

سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ
وَإِنْ تَعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُقْسِطِينَ ﴿٥٥﴾ (المائدة: ٤٢)

وَإِنْ طَافَتَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى
الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَتَّبِعَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ

وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٥٦﴾ (الحجرات، ٤٩: ٩)

لَا يَتَّخِذُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوهُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ

وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٥٧﴾ (المتحة، ٦٠: ٨)

٥. "الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص" ٣٢:

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ ﴿٥٨﴾ (الصف، ٦١: ٤)

٣٢ للوهلة الأولى قد يبدو شمول "الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ" في قائمة
الذين يجبههم الله ﷺ أمراً محيراً؛ خاصة حين نتفكر في الفضائل الواضحة للفتات السبع الأخرى. ولكن
الأمر يتضح حين نتذكر الآيتين اللتين سبقتا هذه الآية. يقول الله ﷻ:

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٥٩﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٦٠﴾ إِنَّ اللَّهَ

يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ ﴿٦١﴾ (الصف، ٢-٤)

فالقتال في سبيل الله صفاً كالبنيان المرصوص متصل بوفاء والتزام الإنسان بعمل ما قال إنه
سيفعله، كما جاء في الآية الكريمة؛ أي أنه متصل بالصدق والإخلاص دون تردد أو نفاق وبالتالي
كأنهم نفس واحدة. فالـ"صف" و"البنيان المرصوص" حاضران أولاً في نفوسهم. يقول الله ﷻ:

• أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ (البقرة، ٢: ٤٤)

٦. " الصابرين "

وَكَايِنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ (آل عمران، ٣: ١٤٦)

٧. " المتقين "

بَلَىٰ مَن أَوفَىٰ بِعَهْدِهِ ۖ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٤٧﴾ (آل عمران، ٣: ١٤٧)

إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٤٨﴾ (التوبة، ٩: ٤)

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ ۖ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۗ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٤٩﴾ (التوبة، ٩: ٧)

٨. " المحسنين "

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٠﴾ (البقرة، ٢: ١٩٥)

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥١﴾ (آل عمران، ٣: ١٣٤)

فَقَاتَلَهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٢﴾ (آل عمران، ٣: ١٤٨)

فِيمَا نَقَضَهُمْ مِمَّنَّفَقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۗ يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۗ وَدَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ ۗ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ فَاعْفُ عَنَّهُمْ وَأَصْفَحْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٣﴾ (المائدة، ٥: ١٣٠)

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا
وَأَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ

(المائدة: ٩٣) ﴿٣٢﴾

ما هو القاسم المشترك بين هذه الأصناف الثمانية من الناس؟ الجواب أنهم جميعاً يتحلّون بأنواع من فضائل النفس. فالتوكل، والطهارة، والتوبة، والقسط، والقتال في سبيل الله، والصبر، والتقوى، والإحسان، كلها فضائل وبالتالي كلها من جمال النفس، الجمال "الداخلي" في الإنسان^{٣٣}. ولذلك ذكرنا سابقاً (في فصل "تعريف الحب") أن حب الله ﷻ هو "حب الجمال" كما جاء في الحديث الشريف:

«إن الله جميل يحب الجمال»^{٣٤}.

لكن "الإحسان" أكثر من فضيلة واحدة: بل يشمل جميع الفضائل. وهذا واضح من حديث جبريل عليه السلام:

«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^{٣٥}.

العبادة المخلصة - "كأننا نرى الله ﷻ" - تحتاج إلى جميع فضائل النفس؛ فالإنسان لا يمكن أن يعبد الله ﷻ كأنه يراه من دون أن يسخر قلبه وعقله ونفسه لله. فالوصول إلى معرفة وحدانية الله ﷻ وحقيقته المطلقة يستلزم حضور النفس بكليتها وجميع فضائلها. وهذا هو أصل معنى كلمة

٣٣ ولذلك فإن الله ﷻ يحب الإتيان. قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه». (رواه الطبراني في المعجم الأوسط، ١/٢٧٥).

فإن الإتيان هو عمل النفس الجميلة، أو العمل الجميل من قِبَلِ نفسٍ جميلة، والله أعلم.

٣٤ صحيح مسلم، رقم ٩٩، كتاب الإيمان.

٣٥ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم ١.

"الإحسان"، ف "الإحسان" من "الحسن"، والحسن جمال، وهو "نقيض القبح"^{٣٦}. فالإحسان جمال النفس، أو الجمال الداخلي للإنسان. وهذا يتفق مع وصف حب الله الذي استنبطناه من الحديث الشريف أن حب الله هو "حب الجمال". ففي كل الآيات المذكورة آنفاً كأن الله ﷻ يقول إنه يجبُ الذين يتحلَّون بالنفوس الجميلة بدرجات معينة، والله أعلم.

هذا هو ما نفهمه أيضاً من الآية الكريمة التالية:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

٣٧
(آل عمران، ٣: ٣١)

فالله ﷻ "يُحِبُّ" - أي يحبهم "يحبُّ" أي مزيداً من الحب^{٣٨} - الذين اتبعوا سنة رسول الله ﷺ، والذين يتبعون سنة رسول الله ﷺ هم الفاضلون والمحسنون بالضرورة لأن الرسول ﷺ كان على "خلق عظيم":

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (القلوب، ٦٨: ٤)

وقد أفاد قوله ﷻ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) أن الله ما وعد أحداً بحبه الأعظم والأشد إلا رسول الله ﷺ، أما بقية الناس فإنه وعدهم بحبه إذا اتبعوا السنة وذلك من غير أن يعدهم بالنجاح الكامل في هذا. وربما يكون هنالك - والله أعلم - سرٌّ عظيمٌ وهو أن الوحيد الذي يحب الله، والله يحبه، بشكل تام، هو رسول الله ﷺ. والذي يؤكد هذا الأمر أنه

٣٦ الزبيدي، تاج العروس، مجلد ١٨، ص ١٤٠.

٣٧ والأصناف الثمانية الذين يحبهم الله ﷻ هم المتبعون لسيدنا رسول الله ﷺ وهم مجموعون بالإجمال في هذه الآية الكريمة.

٣٨ قال الإمام الراغب الاصفهاني:

"وحببت فلاناً يُقال في الأصل بمعنى أصبت حَبَّةً قلبه نحو شغفته وكبدته وفأدُّهُ". (المفردات في غريب القرآن، ص ١١٢).

لا يوجد ذكر لإنسان " يحب الله والله يحبه " في القرآن الكريم بصيغة الحاضر، وإنما الحالة الوحيدة التي جاءت بهذا الوصف إنما تُخبر عن المستقبل، وهو في الآية الكريمة التالية (وقد ذكرناها سابقاً):

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ؕ أَدْلَةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَءٌ عَلَى الْكَافِرِينَ تَجهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ؕ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة: ٥٤)

وسياقي الكلام - إن شاء الله - في موضوع حب الله لرسوله ﷺ في الفصل القادم فيكفي الإشارة لهذا الموضوع هنا.



يبدو أنه يوجد بين أصناف المؤمنين المذكورين أعلاه تفاوت في الدرجات والتفضيل: فقد ذكر الله ﷻ المحسنين في كتابه العزيز (خمس مرات)، ثم المتقين والمقسطين (ثلاث مرات)، ثم الأصناف الخمسة الأخرى (مرة واحدة).

ومن ناحية أخرى فإن المحسنين والمتقين والصابرين هم الذين يخصهم الله ﷻ بمعيته^{٣٩}، و" معية الله " أمر شائك اختلف العلماء في معناه، وقد ذكر

٣٩ طبيعة الحال هذه المعية تعتبر نوعاً خاصاً من أنواع الحب. فرسول الله ﷺ وضع علاقة الحب بالمعية في قوله:

«المرء مع من أحب». (رواه البخاري، ٦١٦٨ في كتاب الأدب، باب علامة حب الله).

وقوله: لمن قال له ما أعددت للساعة من شيء إلا أنني أحب الله ورسوله، فقال له:

«أنت مع من أحببت». (رواه البخاري، ٣٦٨٨ في كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب).

العلماء أن المعية في القرآن الكريم نوعان^٤:

١. "المعية العامة" وهي أن الله ﷻ مع كل شيء:

فَلْتَقْصِّنْ عَلَيْهِمْ بِعِلْمِهِ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ (الأعراف: ٧)

ومع كل مجموعة من الناس:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦﴾ (المجادلة: ٥٨)

وحتى مع المذنبين:

يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ (النساء: ١٠٨)

٢. "المعية الخاصة" وهي أن الله ﷻ مع الأنبياء والمرسلين والمؤمنين:

إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ (الأنفال: ١٩)

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ

٤٠ قال الإمام القشيري في كتابه الرسالة القشيرية، ص ٤٦: "وسأل ابن شاهين الإمام الجنيد عن معنى: (مع) - أي المعية - ، فقال: (مع) على معنيين: مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة، قال الله تعالى: {إِنِّي مَعَكُمْ أَتَمَّعًا أَسْمَعُ وَأَرْؤى} . ومع العامة بالعلم والإحاطة، قال الله تعالى: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} ، فقال ابن شاهين: مثلك يصلح أن يكون دالاً للامة على الله تعالى.

اللَّهُ قَرَضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٣﴾ (المائدة، ٥: ١٧)

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ
 فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ
 وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤١﴾ (الحديد، ٥٧: ٤)

فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرِكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٤٧﴾
 (محمد، ٤٧: ٣٥)

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ
 إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ
 لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ
 عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ (التوبة، ٩: ٤٠)

ومع موسى وهارون:

قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِبَايِنَتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿٢٦﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٥)

قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٢٧﴾ (طه، ٢٠: ٤٦)

ومع موسى بشكل خاص:

قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَشْهَدُنِي ﴿٢٦﴾ (الشعراء، ٢٦: ٦٢)

فكذلك نُمَيِّزُ درجتين من "المعية"، وإلا ما معنى قول رسول الله ﷺ
 " لا تحزن إن الله معنا" إذا كان المقصود أن لا فرق بين معية الله ﷻ لرسوله
 ولأبي بكر ﷺ في غار ثور وبين معية الله ﷻ للكفار الذين كانوا يحاولون أن
 يقتلوهما عند غار ثور؟ وما معنى كلمة سيدنا موسى ﷺ "كلا" إذا كان
 المقصود هنا أنه لا فرق بين معية الله ﷻ لسيدنا موسى ﷺ ولفرعون

وجنوده؟

ولهذا فإننا نُميّز بين الأصناف الخمسة الذين يحبهم الله ﷺ المذكورين آنفاً من غير ذكر معية (وهم الذين وصفوا بـ "المتوكلين"، "المتطهرين" أو "المطهرين"، "التوايين"، "المقسطين"، "والذين يقاتلون في سبيل الله صفاء كأنهم بنيان مرصوص") والأصناف الثلاثة الذين يحبهم الله والله معهم، وهم:

١. "الصابرين" ٤١:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤١﴾ (البقرة: ٢، ١٥٣)

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۖ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٢﴾ (البقرة: ٢، ٢٤٩)

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتزَعَرُوا فَيَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِجَالُكُمْ وَأَصْبِرُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٣﴾ (الأفقال: ٨، ٤٦)

أَلْقِن حَفَفَ اللَّهِ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ صَعْفًا ۖ فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۗ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٤﴾ (الأفقال: ٨، ٦٦)

٤١ ربما يكون في ذكر معية الله ﷺ للصابرين أربع مرات في القرآن الكريم إشارة إلى أن الصبر يحتاج إلى جلد قبل أن يصل الصابر إلى درجة المحسن، والله أعلم.

٢. " المتقين " :

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ
بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٦﴾ (البقرة، ٢: ١٩٤)

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ۚ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ۚ وَقَتِلُوا
الْمُشْرِكِينَ ۚ كَافَّةً ۚ كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ (التوبة، ٩:

٣٦:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَتِيلُوا الَّذِينَ يَُلُونَكُمْ مِنْ الكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٨﴾ (التوبة، ٩: ١٢٣)

٣. " المحسنين " :

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٩﴾ (المنكوت، ٢٩: ٦٩)

والله ﷻ ذكر المحسنين والمتقين، وأشار إلى الصابرين معاً في الآيات

التالية :

وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٣٠﴾
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿٣١﴾ (الحل، ١٦: ١٢٧-١٢٨)

قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ۚ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۚ إِنَّهُ مَن
يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٢﴾ (يوسف، ١٢: ٩٠)

فهذا يعني - والله أعلم - أن ثلاثة أصناف من المؤمنين الذين يجبهم
الله (" الصابرين " و " المتقين " و " المحسنين ") يتميَّزون على خمسة أصناف من
المؤمنين الذين يجبهم الله (" المتوكلين "، " المتطهرين " أو " المطهرين "،

"التوايين"، "المقسطين"، "والذين يقاتلون في سبيل الله صفاً كأنهم بنيان مرصوص".

والقرآن الكريم يؤكد هذا حين يذكر الله ﷻ الذين يكافئهم سبحانه "بغير حساب" - أي بلا حد ومن دون قياس الخير الذي قاموا به - ومن الواضح أن هذه المكافأة تدل دلالة مهمة على فضل الله ﷻ وحبه. والله ﷻ يذكر المكافأة "بغير حساب" ست مرات في القرآن الكريم:

رُزِقَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَسَخَّرْنَا مِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ (البقرة، ٢: ٢١٢)

تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ (آل عمران، ٣: ٢٧)

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْمَرِمُ أَيُّ لِكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ (آل عمران، ٣: ٣٧)

رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٨﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ (التور، ٢٤: ٣٧-٣٨)

قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ (الزمر، ٣٩: ١٠)

مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ۗ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ ۗ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ (غافر، ٤٠: ٤٠)

الآية الأولى تشير إلى "الذين اتقوا"؛ والآية الثانية لا تحدد الذين

يحظون بمكافأة "بِعَمْرِ حِسَابٍ"؛ والآية الثالثة تتحدث عن السيدة مريم العذراء عليها السلام؛ والآية الرابعة تشير إلى الذين يذكرون الله ﷻ بشكل مستمر؛ والآية الخامسة تشير إلى "الصابرين" و"المتقين" و"المحسنين" - الفضائل الثلاث التي ذُكرت سابقاً في آية واحدة؛ أما الآية السادسة فتشير إلى "من عمل صالحاً"، ولعل هذا يشير إلى "الصالحين" في أعمالهم. باختصار، فإن الفضائل التي يكافئها الله "بِعَمْرِ حِسَابٍ" والتي ذُكرت تحديداً هي الفضائل الثلاث نفسها التي سبق ذكرها وهي: "الصبر" و"التقوى" و"الإحسان"؛ فأصحاب هذه الفضائل ("الصابرين" و"المتقين" و"المحسنين") هم النخبة ممن يجبهم الله ﷻ.

ولكن توجد درجات حتى بين الصابرين والمتقين والمحسنين، حيث أن المتقين والمحسنين أعلى درجة من الصابرين. يمكننا أن نرى هذا في حقيقة أن الوعد الأخير الذي أخذه الله ﷻ على نفسه "وَعَدًا مَسْئُولًا" في القرآن الكريم هو وعد للمتقين، يقول الله ﷻ:

قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٦﴾ هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ﴿١٧﴾ كَارِبَ عَلَى رَبِّكَ وَعَدًّا مَسْئُولًا ﴿١٨﴾ (الفرقان، ١٥: ٢٥ - ١٦)

وهذا أمر مهم يذكرنا بقول الله ﷻ أنه "كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ" (الأنعام، ٦: ١٢؛ وانظر أيضاً الأنعام، ٦: ٥٤)؛ فكما رأينا في فصل "الله ﷻ والحب" فإن الرحمة من الذات الإلهية نفسها. وبعبارة أخرى فإن الله ﷻ يجب "المتقين" لدرجة أن مكافأتهم بـ"جَنَّةِ الْخُلْدِ" أمر تتطلبه الذات الإلهية^{٤٢}.

٤٢ يقول الفخر الرازي في "مفاتيح الغيب"، ٥٣/٢٤ إن وعد الله "وَعَدًّا مَسْئُولًا" ويعود إلى دعوة المؤمنين والملائكة:

رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتُنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا نَحْزَنُ يَوْمَ الْقَيْمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١٩٤﴾ (آل عمران، ٣: ١٩٤)

الحب في القرآن الكريم

ومن جهة أخرى، نرى أهمية الإحسان لأن الله ﷻ استعمل كلمة "مَعَ" في الآية الكريمة: "وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" (المعكوت، ٢٩: ٦٩)، والتي تؤكد أن الله مع المحسنين. ولا يفوتنا أن نذكر أن "الْمُحْسِنِينَ" انفردوا في القرآن الكريم بقربهم من رحمة الله ﷻ:

وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ
مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ (الأعراف، ٧: ٥٦)

وهذا يؤكد أصلاً تعريفنا "للإحسان" أنفاً كجامع لفضائل النفس. فالله ﷻ يحب من كانت نفسه جميلة وبحسب درجة جمال نفسه، فيقول الله ﷻ:

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ (الشعراء، ٢٦: ٨٨-٨٩)

✱

مع أن الله ﷻ يحب الصابرين والمتقين والمحسنين، فرحمته وسعت كل شيء، كما ذكرنا. يُضاف إلى ذلك أن عطاء الله ﷻ الكريم يصل إلى كل شيء بغض النظر عن هل تستحق ذلك أم لا، هبة منه ﷻ بلا مقابل:

كُلًّا نُمِدُّ هُنُوًا وَهَنُوًا مِنَّا وَمِنَ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠٠﴾ (الإسراء، ١٧٠: ٢٠٠)

... رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٨٠﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

﴿٨٠﴾ (غافر، ٤٠: ٧-٨)

والملفت في هذه الآيات الكريمة أن الله ﷻ يذكر وعده في القرآن الكريم وهذا يثبت أن الله ﷻ ألزم نفسه سبحانه بهذا الوعد، والله أعلم.

وحتى مع المؤمنين الفاضلين لا يوجد هناك ربط بين نعمة الله واستحقاق الناس لها:

وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٦١﴾ (إبراهيم، ١٤: ٣٤)

وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ (النحل، ١٦: ١٨)

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦٣﴾ (لقمان، ٣١: ٢٠)

وحتى الكفار والظالمين والمشركين والمنافقين فالله عَلِيمٌ خَبِيرٌ يعلمهم برحمته:

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِمَّا رَحِمْنَا وَإِن يَسْأَلُكَ اللَّهُ فِي شَيْءٍ قُلْ إِنِّي لَأَسْتَعِينُ ﴿٦٤﴾ (النحل، ١٦: ٦١)

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِمَّا رَحِمْنَا وَإِن يَسْأَلُكَ اللَّهُ فِي شَيْءٍ قُلْ إِنِّي لَأَسْتَعِينُ ﴿٦٥﴾ (فاطر، ٣٥: ٤٥)

فالحمد لله،

وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۗ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٦﴾ (القصاص، ٢٨: ٧٠)

٨. الباب الأول؛ الفصل الخامس:

حب الله ﷻ لرسله وأنبياؤه

فَضَّلَ اللهُ ﷻ أَنْبِيََاءَهُ وَرَسُولَهُ عَلَى كُلِّ الْخَلْقِ (بِمَا فِيهِمْ أَوْلِيَاؤُهُ):

وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٥﴾ (الأنعام: ٨٥)

وأرسل الله ﷻ إلى كل أمة رسولا أو نذيرا:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْضُصْ عَلَيْكَ

وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَيْرٌ

هُنَالِكَ الْمُبْتَلُونَ ﴿٧٨﴾ (غافر: ٧٨)

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ (فاطر: ٢٤)

وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرِيَةٍ إِلَّا هَا مُنذِرُونَ ﴿٢٨﴾ (الشعراء: ٢٨)

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَلَتْهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَهُمْ

عَذَابُ الْيَوْمِ ﴿٣٦﴾ (التحل: ١٦، ١٧)

مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَد قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤١﴾

(فصلت: ٤١)

قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِّن الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِن أَتَّبِع إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ

وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩٠﴾ (الحقاف: ٩٠)

وذكر الله ﷻ أسماء خمسة وعشرين من الأنبياء والمرسلين في القرآن

الكريم، ثمانية عشر منهم في الآيات التالية:

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ

عَلِيمٌ ﴿١٢٤﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن

ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

﴿٤٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَأُولَآئِكَ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٧﴾ (الأنعام: ٦١-٨٢-٨٧)

والسبعة الباقون الذين لم يذكروا في الآيات أعلاه ولكنهم ذُكروا بالاسم في القرآن الكريم هم: إدريس عليه السلام، ذو الكفل عليه السلام، شعيب عليه السلام، هود عليه السلام، صالح عليه السلام، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم. واختلف العلماء في الخضر - وهو المذكور مع موسى عليه السلام (في سورة الكهف، ١٨: ٦٠-٨٢) - هل كان نبياً أو ولياً.

إن كل رسول نبي ولكن ليس كل نبي رسولاً. قيل في الأحاديث المختلفة إنه كان عبر التاريخ أربعة وعشرون ومائة ألف نبي وخمسة عشر وثلاثمائة رسولاً^{٤٣}. والرسول هو الذي يأتي بشريعة جديدة والنبي هو الذي ينبي الناس نبأً من الله عن شريعة جاءت مع رسول^{٤٤}. نعلم أن الله تعالى أكد

٤٣ جاء في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

يا رسول الله: كم الأنبياء؟ فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» فقال: كم المرسلون منهم؟ قال: «ثلاثمائة وخمسة عشر، جماً غفيراً». (رواه أحمد في المسند، ٥/ ٢٦٥-٢٦٦، وابن حبان في صحيحه، ٢/ ٧٧).

٤٤ قال ابن أبي شريف: "وقد تحصل في معنى النبي والرسول ثلاثة أقوال: الفرق بينهما بالأمر بالتبليغ وعدمه وهو الأول المشهور، والفرق بأن الرسول مَنْ له شريعة وكتاب أو نسخ لبعض شريعة متقدمة على بعثته، وكونهما بمعنى واحد وهو الذي عزاه للمحققين، وهو يقتضي اتحاد عدد الأنبياء والرسول". (ابن أبي شريف، المسامرة في العقائد، ص ١٩٤). وقال الأستاذ عبد القاهر البغدادي أثناء سرده للأمور التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة في كتاب (الفرق بين الفرق) في تعريف الرسول والنبي: "أن كل مَنْ نزل عليه الوحي من الله تعالى على لسان مَلَك من الملائكة وكان مؤيداً بنوع من الكرامات الناقضة للعادات فهو نبي، ومن حصلت له هذه الصفة وخصَّ أيضاً بشرع جديد أو بنسخ بعض

أن اثني عشر من الأنبياء الذين سماهم في القرآن الكريم هم رسل أيضاً،
وخمسة منهم المذكورون في الآية الكريمة التالية:

سَرَّعَ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَّى بِهِمْ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ

أحكام شريعة كانت قبله فهو رسول". (الأستاذ عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق،
ص ٣٤٢).

فالتعريف الصحيح والدقيق في تعريف كل من النبي والرسول والفرق بينهما، أن
الرسول هو: "مَنْ أُوْحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ جَدِيدٍ وَأَمْرٍ بِتَبْلِيغِهِ"، والنبي هو: "مَنْ أُوْحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ
رَسُولٍ وَأَمْرٍ بِتَبْلِيغِهِ"، فكل منهما بُعِثَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ وَمَأْمُورٌ بِالتَّبْلِيغِ، لقوله ﷻ:

**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُخَوِّضُكُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** (الحج، ٢٢: ٥٢)

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قُرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالتَّبَاسُؤِ ۗ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ (الأعراف، ٧: ٩٤)

ولا أدل على ذلك أيضاً من قوله ﷻ:

وَأَذْكُرُ فِي التَّكْوِينِ مُوسَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (تندبته من جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْتَنِي نَجِيًّا
وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا) (٢١) **وَأَذْكُرُ فِي التَّكْوِينِ إِسْمَاعِيلَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا
نَبِيًّا** (مریم، ١٩: ٥٤-٥١)

بَيَّنَّ اللَّهُ ﷻ هُنَا الْفَرْقَ بَيْنَ وَظِيفَةِ الرَّسُولِ وَوِظِيفَةِ النَّبِيِّ: فَسَيَدُنَا مُوسَى ﷺ هُوَ
الرَّسُولُ الَّذِي أُرْسِلَ بِشَرِيعَةٍ جَدِيدَةٍ وَهِيَ فِي التَّوْرَةِ، وَسَيَدُنَا هَارُونَ ﷺ هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي أَمْرٌ
بِتَبْلِيغِ التَّوْرَةِ وَشَرِيعَةِ سَيَدُنَا مُوسَى ﷺ أَيْضًا، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ ﷻ أَكْرَمَ سَيَدُنَا هَارُونَ ﷺ بِشَيْءٍ
مِنْ وَظِيفَةِ الرَّسَالَةِ، وَذَلِكَ بِطَلْبِ أَخِيهِ مُوسَى ﷺ، فَاللَّهُ ﷻ يَقُولُ:

**وَيُضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ (٢٢) وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (٢٣) قَالَ كَلَّا ۗ
فَآذِهِمَا بِمَا نَبِئْتُنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (٢٤)** (الشعراء، ٢٦: ١٣-١٥)،

والدليل القاطع على أن سيدنا هارون ﷺ كان له شيء من الرسالة لما أرسل مع
سيدنا موسى ﷺ هو قول الله ﷻ:

**فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ ۗ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ
مَنْ أَتَّبَعَ الْهُدَىٰ (٢٥)** (طه، ٢٠: ٤٧).

وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقْبِئُوا الَّذِينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۗ

اللَّهُ يُجْتَنَىٰ إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣٠﴾ (الشورى: ٤٢، ١٣)

وهؤلاء هم - أولو العزم من الرسل - وهم خمسة (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام)، أخبرنا الله ﷻ أن الأنبياء المذكورين تالياً هم رسل أيضاً:

١. هود عليه السلام:

إِذْ قَالَ هُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ (الشعراء: ٢٦، ١٢٤-١٢٥)

٢. صالح عليه السلام:

إِذْ قَالَ هُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٤﴾ (الشعراء: ٢٦، ١٤٢-١٤٣)

٣. لوط عليه السلام:

إِذْ قَالَ هُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٧﴾ (الشعراء: ٢٦، ١٦٦-١٦٧)

٤. إسماعيل عليه السلام:

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ (مريم: ١٩، ٥٤)

٥. يوسف عليه السلام:

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَاكٍ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ

مُرْتَابٌ ﴿٤٠﴾ (غافر: ٤٠، ٣٤)

٦. شعيب عليه السلام:

إِذْ قَالَ هُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ (الشعراء: ٢٦، ١٧٧-١٧٨)

٧. إِيَّاسَ الطَّلْحَةَ^{٤٥} :

وَإِنَّ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ (الصافات، ٣٧: ١٢٣)

٨. يُونُسَ الطَّلْحَةَ :

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٨﴾ (الصافات، ٣٧: ١٣٩)

٩. هَارُونَ الطَّلْحَةَ :

فَأَتِيَاهُ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ^ط قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ (طه، ٢٠: ٤٧).

١٠. دَاوُدَ الطَّلْحَةَ^{٤٦} :

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ^ع وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ^ع وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴿٤١﴾ (النساء، ٤: ١٦٣)

وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^ط وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ^ط وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴿٥٥﴾ (الإسراء، ١٧: ٥٥)

٤٥ سيدنا إِيَّاس وسيدنا يونس عليهما السلام كانا من الرسل، لأن كلمة "الْمُرْسَلِينَ" تعني رسولا.

٤٦ ليس واضحاً لنا هل كان سيدنا داود الطَّلْحَةَ نبياً أم رسولاً، وهذا يعتمد على أنه هل كان كتابه "الزبور" مستقلاً عن شريعة سيدنا موسى الطَّلْحَةَ أم مقررراً ومؤكداً لها؟ وربما يُقال إن سيدنا داود الطَّلْحَةَ إذا كان نبياً فقط أنه هو النبي الوحيد الذي نعلم أن الله ﷻ آتاه كتاباً وهو "الزبور"، وربما يكون في الآية الكريمة التالية إشارة إلى هذا التفضيل الإلهي بين الأنبياء:

وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^ط وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ^ط وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴿٥٥﴾

(الإسراء، ١٧: ٥٥)



لا يجوز للمؤمنين أن يفرقوا بين أحد من رسل الله ﷺ:

ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
وَرُسُلِهِ ۚ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ

الْمَصِيرُ ﴿٢٤٥﴾ (البقرة، ٢: ٢٨٥)

قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

مِّنْهُمْ وَخَنَّا لَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٢٤٦﴾ (البقرة، ٢: ١٣٦)

قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ

وَنَحْنُ لَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٢٤٧﴾ (آل عمران، ٣: ٨٤)

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا
نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿٢٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ

الْكٰفِرُونَ حَقًّا ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٢٥١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَمْ
يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٥٢﴾

(النساء، ٤: ١٥٠ - ١٥٢)

مع ذلك لا بد أن يلاحظ الإنسان أن الله ﷻ فضل بعض الرسل على

بعض:

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ مِنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ
وَأَتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ

مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ (البقرة: ٢٥٣)

فإنه ﷺ ذكر "أولي العزم" من الرسل:

فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا
 يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ۚ بَلِّغْ ۚ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾
 (الأحزاب: ٤٦، ٤٧)

وقد ورد في حديث صحيح^{٤٧} أن "أولي العزم" من الرسل هم الرسل
 الخمس المذكورون في الآيتين التاليتين:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ
 وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ ۚ إِلَيْهِ
 اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ (الشورى: ٤٢، ١٣)

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
 وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ (الأحزاب: ٣٣، ٧)

فهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وهم صفوة صفوة البشر
 وصفوة صفوة الخلق. وذكر الله ﷻ ما يشير إلى حبه لكل واحد منهم بطريقة
 مختلفة كما سنبين فيما يلي:

١. سيدنا نوح عليه السلام:

ذكر الله ﷻ أن نوحاً عليه السلام بأعينه، كما أنه ﷻ ذكر أن نوحاً صنع
 الفلك بناءً على الوحي:

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَوَحَيْنَا . . . (المؤمنون، ٢٣، ٢٧)
 وَأَصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَوَحَيْنَا . . . (هود، ١١، ٣٧)

٤٧ رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحین (برقم ٤٠٠).

٢. سيدنا إبراهيم عليه السلام:

ذكر الله جل جلاله أنه أتى إبراهيم صحفًا:

إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١١٤﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١١٥﴾ (الأعلى، ٨٧: ١٨-١٩)

وذكر الله جل جلاله أن إبراهيم عليه السلام خليله:

... وَأَخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ (النساء، ٤٠: ١٢٥)

وكان إبراهيم عليه السلام بدوره أواه في حبه لله:

... إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ (التوبة، ٩: ١١٤)

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٦﴾ (هود، ١١: ٧٥)

٣. سيدنا موسى عليه السلام:

ذكر الله جل جلاله أنه أتى موسى صحفًا عليه السلام والواحًا وتوراةً:

إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١١٤﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١١٥﴾ (الأعلى، ٨٧: ١٨-١٩)

أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ (التجم، ٥٣: ٣٦)

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمُ
أَمْرَ رَبِّكُمْ ^ط وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ^ط قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ
اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْعِمِ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

﴿١١٥﴾ (الأعراف، ٧: ١٥٠)

وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ^ط وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ

لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١١٤﴾ (الأعراف، ٧: ١٥٤)

نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣٦﴾ (آل

عمران، ٣: ٣٦)

وذكر الله جل جلاله أن موسى عليه السلام نجَّيه:

... وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ (مریم، ١٩: ٥٢)

وأنه كان عند الله ﷻ وجيهاً:

يَتَّيِبُهُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ

وَجِيهًا ﴿٦١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٦٩)

وأن الله ﷻ ألقى عليه محبته وأنه اصطنعه على عينه:

... وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٦١﴾ (طه، ٢٠: ٣٩)

وأن الله ﷻ اصطفى موسى لنفسه:

وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي ﴿٦١﴾ (طه، ٢٠: ٤١)

ولهذا كان موسى ﷺ بدوره " أول المؤمنين ":

... وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦١﴾ (الأعراف، ٧: ١٤٣)

وكما رأينا سابقاً ذكر الله ﷻ أنه كان مع موسى وهارون عليهما

السلام، ومع موسى ﷺ بشكل خاص:

قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِبَايِعَتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿٦١﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٥٠)

قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ (الشعراء، ٢٦: ٦٢)

٤ . سيدنا عيسى ﷺ:

ذكر الله ﷻ أنه أتى سيدنا عيسى ﷺ الإنجيل، قال الله ﷻ:

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَآثَرِهِم بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۗ وَءَاتَيْنَاهُ

الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ

﴿٦٦﴾ (المائدة، ٥: ٤٤٦)

إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْنَاكَ بِرُوحِ

الْقُدْسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ
الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ
عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾

(المائدة، ٥: ١١٠)

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي
قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ
رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
فَسَقُوتٌ ﴿٧٧﴾ (الحديد، ٥٧: ٢٧)

وذكر الله ﷺ أنه جعل عيسى ﷺ مثلاً لبني إسرائيل:

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ (الزخرف، ٤٣: ٥٩)

وكذلك ذكر الله ﷺ أنه أعطى عيسى ﷺ آيات منه، كما أعطى بعض
الأنبياء والرسل من قبله^{٤٨}:

وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَإِلْحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ
وَجِئْتُمْكُم بِقَايَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٠﴾ (آل عمران، ٣: ٥٠)

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَادِنَا

٤٨ ذكر الله ﷺ أن بعض الرسل (والأنبياء) جاءوا بآيات ياذن الله ﷺ (انظر إلى: الرعد، ١٣: ٣٨؛ غافر، ٤٠: ٧٨)، فمهمهم صالح ﷺ (انظر إلى: الأعراف، ٧: ٤٣؛ هود، ١١: ٦٤)،
وزكريا ﷺ (انظر إلى: آل عمران، ٣: ٤١؛ مريم، ١٩: ١٠)، ونوح ﷺ (انظر إلى:
العنكبوت، ٢٩: ١٥)، وإبراهيم ﷺ (انظر إلى: آل عمران، ٣: ٩٧)، وموسى وهارون
عليهما السلام معاً (انظر إلى: طه، ٢٠: ٤٧). ولكن موسى ﷺ أعطى أكثر من آية (انظر
إلى: الإسراء، ١٧: ١٠١؛ طه، ٢٠: ٢٢؛ الأعراف، ٧: ١٣٣). وربما تكون أعظم آية هي التي
أعطيت لسيدنا محمد ﷺ وهي آية شق القمر (انظر إلى: القمر، ٥٤: ١-٢).

وَأَخْرَجْنَا بِآيَةٍ مِنْكَ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ (المائدة: ٥: ١١٤)

ولكن بينما أعطي بعض الرسل والأنبياء آية أو آيات، جعل الله ﷻ عيسى ﷺ نفسه آية، هو وأمه:

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ (الأنبياء: ٢١: ٩١)

وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ (المؤمنون: ٢٣: ٥٠)

وإضافة إلى ذلك، فإن الله ﷻ جعل عيسى ﷺ آية للناس ورحمة منه:

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿١٩٠﴾ (مريم: ١٩: ٢١)

وذكر الله ﷻ أيضاً أن عيسى ﷺ هو المسيح وكلمة الله وروح منه:

... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ... (النساء: ٤: ١٧١)

وذكر الله ﷻ أن عيسى ﷺ وحيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين (وهو الوحيد من البشر الذي سمي بالاسم كأحد من "المقربين" في القرآن الكريم):

إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُكُمْ إِنَّ اللَّهَ يَبْشِرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٠﴾ (آل عمران: ٣: ٤٥)

وذكر الله ﷻ أنه ﷺ حمي وأمه، من الشيطان الرجيم:

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٢٠﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ

وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُومُ أَيُّ لِكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٦﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٧﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصّٰلِحِيْنَ ﴿٣٨﴾ (آل عمران، ٣٦: ٣٩-٣٦)

وَذَكَرَ اللَّهُ ﷻ أَنَّهُ رَفَعَ عِيسَى النَّاصِرَةَ إِلَيْهِ:

بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥١﴾ (النساء، ٤٠: ٥١)

وربما نجد في الآية التالية إشارة إلى تفضيل عيسى ﷺ على الرسل من قبله:

تِلْكَ الْأَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۗ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ . . . (البقرة، ٢: ٢٥٣)

٥. سيدنا محمد ﷺ:

أما بالنسبة لسيدنا محمد ﷺ، فإن الله ﷻ آتاه القرآن الكريم:

وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٦﴾ (الحجر، ١٥: ٨٧)

فسيدنا محمد ﷺ، هو خاتم الأنبياء والمرسلين:

. . . وَلٰكِنْ رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ . . . (الأحزاب، ٣٣: ٤٠) (انظر إلى: الأنعام، ٦: ١٩؛

يوسف، ١٢: ٣؛ طه، ٢٠: ٢؛ ١١٤؛ القصص، ٢٨: ٨٥؛ الإنسان، ٧٦: ٢٥)

"الخاتم" يعني "الأخير" ولكن المقصود أيضاً "القمة"، لذلك فسيدنا محمد ﷺ هو الأول أيضاً - "أول من أسلم"، و"أول المسلمين"، و"أول العابدين":

. . . أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ . . . (الأنعام، ٦: ١٤)

... **أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ** ﴿٦٧﴾ (الزمر، ٣٩: ١٢)

... **أَوَّلَ الْعَبِيدِينَ** ﴿٨١﴾ (الزخرف، ٤٣: ٨١)

وهذا الفضل كله دليل على محبة الله ﷻ لسيدنا محمد ﷺ، فإذا كان الله ﷻ قد قال عن سيدنا موسى عليه السلام ﴿... **وَلَتُصَنِّعَ عَلَيَّ عَيْنِي**﴾ ﴿٢٠٠ طه﴾ ولسيدنا نوح عليه السلام ﴿... **وَأَصْنَعُ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾ (هود، ١١: ٣٧) فإنه قال لسيدنا محمد ﷺ ﴿... **فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾ (الطور، ٥٢: ٤٨) من غير تحديد^{٤٩}.

وأضاف إلى ذلك صلاة خاصة من الله وملائكته على سيدنا محمد ﷺ: **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴿٥٦﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٦)

وكان الله معه ومع صاحبه، كما رأينا سابقاً، بـ"المعية الخاصة" في غار ثور:

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٩٠﴾ (التوبة، ٩: ٤٠)

ورفع الله ﷻ ذكره:

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٩٤﴾ (الشرح، ٩٤: ٤)

وفضله الله ﷻ وأنزل عليه الكتاب والحكمة وعلمه علماً جديداً:

٤٩ وما يُبين التفاضل بينهما عليهما الصلاة والسلام قول سيدنا موسى لله ﷻ كما جاء في القرآن الكريم: **وَعَجَّلْتَ لَيْلِكَ رَبِّ لَتَرْضَىٰ** ﴿٨٤﴾ (طه، ٢٠: ٨٤) لكن سيدنا محمداً ﷺ قال له رب العزة سبحانه: **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ﴿٥٠﴾ (الضحى، ٩٣: ٥٠). فهذا يعني أنه كان على سيدنا موسى عليه السلام طلب الرضا، بينما كان الرضا وهب إلهي لسيدنا محمد ﷺ.

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ هَمَمْتَ طَافِقَةً مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ۗ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿٣١﴾ (النساء، ٤: ١١٣)

ووصفه ﷺ بأنه "كريم":

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤١﴾ (الحاقة، ٦٩: ٤٠)

ومدحه ﷺ لخلقه:

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤١﴾ (القلم، ٦٨: ٤)

لدرجة أن نوره ﷺ كان يسطع:

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤١﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤١﴾ (الأحزاب، ٣٣-٤٥: ٤٦)

وأنه ﷺ كان نوراً:

يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥٠﴾ (المائدة، ٥: ١٥٠)

ووصفه الله أنه "أسوة حسنة" لمن كان "يرجو الله" (والرجاء يتضمن معنى الحب):

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢١)

ويلاحظ أن الحالة الأخرى التي وصف الله ﷺ في القرآن الكريم غير سيدنا محمداً ﷺ بأنه "أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" هو سيدنا إبراهيم عليه السلام وأصحابه (ولكن سيدنا محمداً ﷺ انفرد بوصف "أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" لوحده):

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۗ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَعْفِفَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤١﴾ (المتحة، ٦٠: ٤)

وخصَّ سيدنا محمد ﷺ بتسميته " ذُكِرَ اللهُ " :

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿٤٢﴾ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿٤٣﴾ (الطلاق، ٦٥: ١١-١٠)

وفسر الراغب الأصفهاني هاتين الآيتين كالتالي:

" قوله: ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا ﴾ فقد قيل الذكر هاهنا وصف للنبي ﷺ كما أن الكلمة وصف لعيسى عليه السلام من حيث إنه بشر به في الكتب المتقدمة، فيكون قوله ﴿ رَسُولًا ﴾ بدلاً منه. وقيل ﴿ رَسُولًا ﴾ مُتَّصِبٌ بقوله ﴿ ذِكْرًا ﴾ كأنه قال قد أنزلنا إليكم كتابا ﴿ ذِكْرًا ﴾ رسولاً يتلوا.... " ٥٠ .

ومن ذلك فإن بيعته ﷺ هي بيعة الله ﷻ، ومن وضع يده بيده، فإن يد الله ﷻ فوق أيديهم:

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۗ فَمَنْ نَكَثَ فَاِنْمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَا لِيُبَدِّلَ أَعْرَاجًا عَظِيمًا ﴿٤٤﴾ (الفتح، ٤٨)

(١٠٠)

ولذلك فإن رسول الله ﷺ رحمة للعالمين:

غازي بن محمد بن طلال

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ (الأنبياء، ٢١: ١٠٧)

ولذلك كان وجوده بجد ذاته يحمي الكفار.

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ؕ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٠٨﴾

(الأنفال، ٨: ٣٣)

وأخيراً يبيّن الله حبه لرسوله محمد ﷺ في الآية التالية كما ذكرنا سابقاً:

قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾

(آل عمران، ٣: ٣١)

فمن هذه الآية نفهم أن سيدنا محمداً ﷺ هو "حبيب الله" وهو الوحيد الذي يوصف بوصف "الإحباب" - وهو "الحب" أو شدة الحب كما رأينا سابقاً - بشكل قطعي دون أن يكون مشروطاً بشيء. وهذا التفسير يشبه الحديث الشريف المعروف:

«أنا حبيب الله ولا فخر»^١.

فإنه ﷺ فضل الرسل والأنبياء على العالمين، وفضل الرسل على الأنبياء وفضل أولي العزم من الرسل في محبته الخاصة على سائر الرسل، وجعل سيدنا محمداً ﷺ حبيبه.

٥١ رواه الدارمي في سننه رقم ٤٧ في المقدمة، والترمذي في سننه رقم ٣٦١٦ في كتاب المناقب.

٩. الباب الأول؛ الفصل السادس:

الذين لا يحبهم الله ﷻ

خلق الله ﷻ الإنسان من رحمته ومن أجل رحمته ﷻ. وعلى الرغم من ذلك ومن فضل الله ﷻ على الإنسان بشكل عام، فإنه يوجد في القرآن الكريم ذكر اثني عشر صنفاً من الناس لا يحبهم الله ﷻ. ولكن يُلاحظ أن الله ﷻ لا يقول أبداً إنه لا يجب هؤلاء كأشخاص بحد ذاتهم، وإنما لا يحبهم كأشخاص يتمثلون بخصال سيئة. والاثنا عشر صنفاً من الناس الذين لا يحبهم الله ﷻ هم:

١. " الكافرين " :

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ (آل عمران، ٣: ٣٢)

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ (الروم، ٣٠)

(٤٥):

٢. " كل كفار أثيم " :

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿١٧٦﴾ (البقرة، ٢: ٢٧٦)

٣. " المعتدين " :

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

(البقرة، ٢: ١٩٠)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٧﴾ (المائدة، ٥: ٥٧)

أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ (الأعراف، ٥٥)

٤. "المختال الفخور" أو "كل مختال فخور":

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۗ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ (النساء، ٣٦)

وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ
فَخُورٍ ﴿٣٧﴾ (لقمان، ٣٦، ٣٧)

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ
﴿٣٨﴾ (الحديد، ٥٧، ٥٨)

٥. "الخوآن الأثيم":

وَلَا تُجَدِّدْ عَنَ الَّذِينَ تَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿٧٧﴾
(النساء، ٤، ١٠٧)

٦. "كل خوآن كفور":

إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٢٨﴾ (الحج، ٢٢، ٢٣)

٧. "الخائنين":

وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٥٨﴾
(الأفقال، ٨، ٥٨)

٨. "المفسدين":

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلْيَرْيَدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ (المائدة: ٦٤)

وَأَتَّبِعْ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ (القصاص: ٧٨، ٧٧)

٩. "المسرفين":

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ (الأعراف: ٣١، ٣٠)

يَسْبِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ (الأعراف: ٣١، ٣٠)

١٠. "الفرحين":

إِنَّ قُرُونَ كَاتِبٍ مِّن قَوْمٍ مُّوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ مِّنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاحِجَهُ لَسَتُّوهُ بِأَلْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٣٦﴾ (القصاص: ٢٨، ٢٧)

١١. "الظالمين":

وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

﴿٥٧﴾ (آل عمران، ٣: ٥٧)

إِن يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۗ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ

اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ (آل عمران، ٣: ١٤٠)

وَحَزَبًا سَيِّفَةً سِيفَةٌ مِثْلُهَا ۗ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

﴿٥٨﴾ (التورى، ٤٢: ٤٠)

١٢. "المستكبرين":

لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ ۗ وَمَا يُعْلِنُونَ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٣٢﴾

(النحل، ١٦: ٢٣)

وإضافة إلى ذلك لا يجب الله الأعمال السيئة:

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوْءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٢٨﴾ (النساء، ٤٨: ١٤٨)

٥٢ ... وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٤﴾ (البقرة، ٢: ٢٠٥)

فالله ﷻ لا يحب اثني عشر صنفاً من الناس الذين يتمثلون بخصال سيئة وهو يجب ثمانية أصناف من الناس الذين يتمثلون بالفضائل. والقاسم المشترك بين الأصناف الاثني عشر هو قبح النفس المتمثل في ارتكاب المعاصي وعدم الانقياد لله ﷻ ومخالفة أمره. والقاسم المشترك بين الأصناف الثمانية

٥٢ ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الله لا يرضى بعض الأمور مثل الكفر:

... إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۗ ... (النساء، ٤: ١٠٨)

... وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۗ ... (الزمر، ٣٩: ٧)

... فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١١١﴾ (التوبة، ٩: ٩٦)

من المؤمنين هو جمال النفس. فهل هذا يعني أن الله ﷻ يكره أكثر مما يجب؟ أو هل هذا يعني أنه يوجد تماثل بين حب الله للمؤمنين وكرهه للظالمين؟ كلا! لأن انعدام الحب شيء محايد، ونقيض الحب هو الكره، فعدم الحب للكافرين والظالمين على اختلاف أنواعهم لا يعني أن الله يكرههم ولا يعني أنه يوجد أي تماثل بين محبة الله للمؤمنين الفاضلين وعدم حبه للكافرين والظالمين. فإله ﷻ لم يذكر مرة واحدة في القرآن الكريم أنه يكره أحداً أو أي صنف من الكافرين. الله ﷻ يكره فقط العمل السيء، أو شره. وأقرب ما يصل إلى كره الله ﷻ هو فعل معين ويخص المنافقين الذين هم ... **فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**

... (النساء: ١٤٥)

وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ. ﴿٤٦﴾ (التوبة: ٩٠: ٤٦)

وكذلك ذكر الله ﷻ أن "سيئة" بعض الأعمال هي "مكروهة" عنده.

يقول الله ﷻ:

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعَدَ مَذْمُومًا مَحْدُولًا ﴿١٦﴾ * **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴿١٧﴾ **وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴿١٨﴾ **رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا** ﴿١٩﴾ **وَأَتَتْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينُ وَآبَنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا** ﴿٢٠﴾ **إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا** ﴿٢١﴾ **وَأَمَّا تُعْرَضُونَ عَنْهُمْ أُتْبِعَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا** ﴿٢٢﴾ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعَدَ مَلُومًا مَحْسُورًا** ﴿٢٣﴾ **إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**

﴿٣٩﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣٩﴾
 ﴿٤٠﴾ وَلَا تَقْرَبُوا أَرْزَاقَ الَّذِينَ هُمْ كَانُوا فِي حَيْثُ فَحِشَةٍ وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٤٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ
 اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَيْهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ۗ
 إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٤١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ
 وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۗ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٤٢﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ
 الَّتِي سَوَّيْتُمْ ۗ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٤٣﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۗ إِنَّ السَّمْعَ
 وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٤٤﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۗ إِنَّكَ لَنْ
 تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَا السَّمَاءَ ۗ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٤٥﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا
 ﴿٤٦﴾ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي
 جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٤٧﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٢-٣٩)

ويلاحظ أن في نص الآية الكريمة: "كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا" ﴿٤٦﴾ درجتين من البعد عن فكرة كره الله ﷻ للظالمين والكافرين بأعينهم: الدرجة الأولى هي أن سيئة المعاصي هي المكروهة عند الله ﷻ وليست المعاصي بعينها، والدرجة الثانية هي أن الله ﷻ قال إن سيئة المعاصي "مكروهة" عنده ولم يقل إنه يكره المعاصي، والله أعلم.

فالله ﷻ بيّن في القرآن الكريم أنه لا يكره أحداً بل ويجب كل شيء باستثناء الكافرين والظالمين والمشرّكين والمنافقين وبعض أعمالهم، وهذا صحيح حتى في شدة إنكار الله ﷻ لأسوء أعمال الكافرين، وعند لعنه لهم:

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٤٧﴾ (النساء، ٤: ٩٣)

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَٰلِكَ مُثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ ۗ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ

الْقِرْدَةَ وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّنْفُوتَ ۗ أُولَئِكَ سَرُّ مَكَانًا وَأَصْلٌ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾

(المائدة: ٦٠)

وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَرْبٌ
السَّوَاءِ ۗ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوَاءِ ۗ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ

مَصِيرًا ﴿٤٨﴾ (الفتح: ٤٨)

فإنه يوجد في كل هذا لعن إلهي، وغضب إلهي، وعذاب شديد، وعدم
حُب لهم من قِبَل الله ﷻ، ولكن لا يوجد كُرهُ من الله ﷻ للكافرين بذواتهم.
فبما أن الله ﷻ لم يذكر أنه يكره الكافرين، فلا يجوز لنا أن نقول ذلك^{٥٣}.

٥٣ بعض العلماء خالفوا هذا الرأي، وقالوا إن الله يكره الكافرين. ومنهم مفتي الديار
المصرية الأسبق الشيخ حسين محمد مخلوف رحمه الله، حيث يقول في كتابه: " كراهة الله
تعالى لعبده: ومعنى كراهة الله تعالى لعبده غضبه عليه ومقته له وسخطه عليه وعدم رضاه
عنه والختم على قلبه وسمعه وبصره، والطبع عليه، ولعنته ونقمته، وإذلاله وإهانته، وتعذيبه
في الآخرة وعقوبته، وحرمانه في الدنيا من هدايته وتوفيقه، ومن الإنعام عليه والإحسان إليه
والعون له - إلا إملاءً واستدراجاً - وذلك جزاء كفره أو نفاقه، أو فسوقه وعصيانه، أو
إفساده أو طغيانه، أو ظلمه وعدوانه، أو تعاطفه وتجبره، أو اختياله وتكبره، ونحو ذلك من
المعاصي والموبقات والآثام والمنكرات آيات فيمن يكرههم الله تعالى: وكذلك جاء في
القرآن العظيم فيمن يكرههم الله تعالى من عباده ويمقتهم ويلعنهم ويغضب عليهم ويعاقبهم
جزاء كفرهم وعصيانهم وجحودهم حقوق ربهم ومحاربتهم إياه آيات كثيرة ... " (الشيخ
حسين محمد مخلوف، من وحي القرآن الكريم، فيمن يحبهم الله تعالى، وفيمن يكرههم الله
تعالى من عباده، ص ٥).

ولكن بالنسبة لنا نقول: بما أنه لم يرد أن الله ﷻ ذكر في القرآن الكريم أنه يكره أحداً،
لا يليق للعبد أن يصف الله ﷻ بما لم يرد. فالله ﷻ ذكر وجهاً في قوله ﷻ: " وَبَيْنَى وَجْهِ رَبِّكَ
ذُو الْجَنَّةِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ " (الرحمن: ٥٥: ٢٧) " فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَنَمَّ وَجْهُ اللَّهِ " (البقرة: ٢: ١١٥) وذكر يداً في قوله
ﷻ: " يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ " (الفتح: ٤٨: ١٠٠)، وذكر أعيناً في قوله ﷻ: " وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا " (الطور: ٥٢: ٤٨) - بغض النظر عن كيفية فهمنا لهذه الألفاظ الكريمة - وقد ذكر الله ﷻ لفظ
كلماته في قوله ﷻ: " وَحَقُّ اللَّهِ الْحَقُّ بِكَلِمَتِهِ " (يونس: ١٠: ٨٢) وفي آيات أخرى، فهل يجوز أو

يقول الله ﷻ:

فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ (النحل، ١٦: ٧٤)

يليق بالعبد أن يقول بأن الله ﷻ له فم؟ حاشى لله سبحانه وتعالى! فالله ﷻ ذكر أنه لا يجب الكافرين ويكره بعض أعمالهم ويغضب عليهم ويلعنهم وأعد لهم جهنم وأعد لهم عذاباً عظيماً، ولكن مع هذا كله لم يذكر أنه يكره الكافرين بعينهم، فَلَمَّ نطقه على الله ﷻ ولم يرد في كتابه؟ ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن هذه قد تكون تهمة ضد الإسلام: فالبعض يهتمون الإسلام أنه دين كره وأن رب المسلمين يكره الناس، فلمْ نجر هذه التهمة على الإسلام، علماً بأن الله كان قادراً أن يذكر أنه يكره الكافرين في القرآن الكريم لو أراد ذلك. وكما ذكرنا أعلاه، فإن الله ﷻ يقول:

فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ (النحل، ١٦: ٧٤)

وهناك مسألة ثانية في هذا الموضوع: كما رأينا سابقاً، فإن رحمة الله ﷻ وسعت كل شيء، وإن رحمته سبقت غضبه، فكيف يكره الله ﷻ الناس بأعينهم؟ وكما سنرى لاحقاً إن شاء الله ﷻ في فصل "نقبضا الجمال والحب"، فإن الكره هو "نفور"، فإن كان النفور محال على الله ﷻ، فكيف تنفر رحمة الله من شيء (كما نتوقع في حالة كره الله لشيء بعينه) ويبقى هذا الشيء في الوجود؟ أي بمعنى آخر لو أن الله ﷻ كره شيئاً فكيف يبقى هذا الشيء ووجوده أصلاً رحمة من الله ﷻ؟ وبتعبير آخر، نقول إذا قطع الله ﷻ رحمته عن شيء فكيف يبقى وكيف يحدث؟ وربما نرى هذه القاعدة في قوله ﷻ:

وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿١٣٥﴾

(التوبة: ١٣٥)

فهنا كره الله ﷻ انبعاث المنافقين ولذلك ثبَّطهم، ولم يحدث الأمر الذي يكرهه الله ﷻ. وإن قيل كرد على هذا إن المعاصي تحدث وأن الله ﷻ يقول:

وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٢٥٠﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ

رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٢٥٠﴾ (الإسراء، ١٧٠-٢٧٠)

فترد أن الله ﷻ قال إن سيئات المعاصي عنده مكروهة وليس المعاصي بأعينها، ولذلك قد تحدث، والله أعلم.



كذلك لم يذكر الله ﷻ في القرآن الكريم أنه يبغض أحداً أو حتى فعلاً معيناً، مع أنه ذكر البغضاء في القرآن الكريم:

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَبْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۗ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ (المائدة: ٩١)



أما بالنسبة للمقت - والمقت كالبغض من نقائص الحب - فقد دُكرَ مقتُ الله أربع مرات في القرآن الكريم:

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣٠﴾ (الصف: ٦١، ٣٠)

الَّذِينَ تَجِدُونَهُمْ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَغَيِّرُ سُلْطَنًا لَهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٥٠﴾ (غافر: ٤٠، ٣٥)

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۖ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ (فاطر: ٣٥، ٣٩)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠٠﴾ (غافر: ٤٠، ١٠٠)

فيلاحظ - كما هو الحال مع الحب - أنه لم يذكر في القرآن الكريم أن الله ﷻ يمقتُ أحداً. فالله ﷻ يمقت أعمالاً معينة فقط، وإذا كان كُفر الكافرين يزيدهم عند الله مقتاً، لكنه لم يذكر أنهم يصلون بكفرهم إلى حالة

مقت الله بشكل قطعي^{٥٤}. فهذا أيضاً من رحمة الله ﷻ وربما في كل ذلك

٥٤ وهذا كله بالرغم من أن الكافرين يؤذون الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٧)

ويجادون الله ﷻ ورسوله ﷺ:

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُجَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ (التوبة، ٩: ٦٣)

إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حُبُّوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلَكِنَّ كَافِرِينَ عَذَابٍ مُّهِينٍ ﴿٥٨﴾ (المجادلة، ٥٨: ٥)

لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنَّا وَيَدَّخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ (المجادلة، ٥٨: ٢٢)

ويشاقون الله ﷻ ورسوله ﷺ:

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٩﴾ (الخصر، ٥٩: ٤)

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٨﴾ (الأفقال، ٨: ١٣)

ويشاقون رسول الله ﷺ:

وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٤٤﴾ (النساء، ٤٤: ١١٥)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَىٰ لَنْ نُصْرُوا اللَّهُ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ ﴿٤٧﴾ (محمد، ٤٧: ٣٢)

ويقاتلون ويحاربون الله ﷻ ورسوله:

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٢٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقْبِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ (البقرة، ١٩٠-١٩١)

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُنَقَّلَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٥٥﴾ (المائدة، ٥: ٣٣)

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضُرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَاجًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ (التوبة، ٩: ١٠٧)

وأن الله ﷻ يجارب الكافرين:

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَإِنْ تُبْتغُوا فَكَيْفَ تُبْتغُونَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿١٠٨﴾ (البقرة، ٢: ٢٧٩)

وأن الله ﷻ قال عن المشركين والمنافقين "فَتَلَّهُمُ اللَّهُ ۗ":

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ۗ قَتَلَهُمُ اللَّهُ ۗ أَنْ يُوَفَّقُوا لَكُمُ ﴿١٠٩﴾ (التوبة، ٩: ٣٠)

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۗ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۗ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ ۗ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَحْفَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ الْعُدُو فَا حَذَرَهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ ۗ أَنْ يُوَفَّقُونَ ﴿١١٠﴾ (المنافقون، ٦٣: ٤)

وأن الله ﷻ قتل الكافرين والمشركين:

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۗ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۗ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١١﴾ (الأفصاح، ٨: ١٧)

فكل هذه المشاققة والأذى والحاربة من قبل الكافرين والمشركين لله (ومحاربة ومقاتلة وقتل الله ﷻ لهم) لا تعني أن الله ﷻ يكره الكافرين بأعينهم وبشكل قطعي، كما رأينا أعلاه.

وربما يكون سر هذا الوضع هو أن الله ﷻ يجاربهم ويقاتلهم من قبل حربهم لله ﷻ، لأن أسوأ جزاء يجازي الله الكافرين به أن يسمح لهم أن يشاقوه ويؤذوه ويجاربه:

تُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا تُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَكُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١١٢﴾ (البقرة، ٢: ٩)

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا ۗ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١١٣﴾ (النساء، ٤: ١٤٢)

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ (الأعراف، ٧: ١٨٢)

فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ۗ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١٥﴾ (القلع، ٦٨: ٤٤)

فمحاربة الكافرين والمشركين لله ﷻ هي مجد ذاتها في الحقيقة حرب من الله ﷻ عليهم ولكنهم لا يشعرون، فليس الله ﷻ الذي يكرههم ولكن هم الذين يكرهون أنفسهم

غازي بن محمد بن طلال

درس عظيم للبشر أن لا يحبوا خِصالاً معينة، وأن يكرهوا أعمالاً معينة، وأن
لا يكرهوا أحداً بشكل قطعي.

بدون علم، فالحرية البشرية التي وهبها الله للإنسان - كما سبق - تتضمن حرية أن يختار
المرء إيذاء نفسه.

الباب الثاني: حب الرسول ﷺ

١٠. الباب الثاني؛ الفصل الأول:

حب الرسول ﷺ لله ﷻ

قد ذكرنا سابقاً أن رسول الله ﷺ ... **أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ** ... (الأَنْعَامُ: ٦، ١٤) ... **أَوَّلَ**

الْمُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ (الزُّمَرُ: ٣٩، ١٢) ... **أَوَّلَ الْعَبِيدِينَ** ﴿٣﴾ (الزُّخْرُفُ: ٤٣، ٨١) ، وهذه الصفات التي ذكرها الله ﷻ تشكل دليلاً قاطعاً على حب رسول الله ﷺ المطلق لله ﷻ. إضافة إلى هذه الصفات فقد ذكرنا سابقاً أيضاً رجاء الرسول ﷺ لله ﷻ (وإن الرجاء من الحب):

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأَحْزَابُ: ٣٣، ٢١)

لكن أوضح برهانٍ لحالة حب رسول الله ﷺ لربه ﷻ تأتي في الآيات

الجميلة التالية:

قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ **قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿١٠٩﴾ **لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴿١١٠﴾ **قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ بَنِيَّ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۗ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴿١١١﴾ (الأَنْعَامُ: ١٦٦-١٦٤)

فإن كانت صلاة الرسول ﷺ ونسكه وحياته ومماته لله فهذه أعظم درجة في الحب، وبها فاق حبه العواطف، وفاق حتى حالة "الحب الأشد" التي ذكرها الله ﷻ في الآية الكريمة: ... **وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ... (البَقَرَةُ: ٢، ١٦٥) ،

لأنه غارق تماماً في بحر حب الله ﷻ. ولهذا كان الله ﷻ يقول بعد تأكيده أن الرسول ﷺ "أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ" وأن الرسول ﷺ أصبح غير قادر على أن يبغى أو يريد غير الله: "قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ".

فكما رأينا أن الرسول ﷺ حبيب الله، فنرى هنا أن الله ﷻ حبيب رسوله، وينطبق على الرسول ﷺ وعد الحب المتبادل كما جاء في الآية الكريمة: **يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** (المائدة، ٥: ٥٤).

من هنا يمكن لنا أن نفهم الحديث المعروف:

«حُبُّ إِلَهِيٍّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ الطَّيِّبُ وَالنِّسَاءُ وَجَعَلْتُ قِرَةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^{٥٥}.

فالطيب والنساء يذكران الرسول ﷺ بالجنة (كما جاء في سورة الواقعة، ٥٦: ٢٢ و ٥٦: ٨٩) وبالتالي بقرب الله ﷻ بينما الصلاة ذكر الله ﷻ مباشرة. فكان رسول الله ﷺ كله حباً لله.

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا (الأحزاب، ٣٣: ٥٦).

^{٥٥} رواه البيهقي في السنن الكبرى ٧/٧٨. ورواه النسائي في السنن الصغرى رقم ٣٩٣٩ و ٣٩٤٠ في كتاب عشرة النساء، بلفظ: «حُبُّ إِلَهِيٍّ مِنْ دُنْيَاكُمْ وَالطَّيِّبُ وَجَعَلْتُ قِرَةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»، ورواه أحمد ٣/١٢٨ و ١٩٩.

١١. الباب الثاني؛ الفصل الثاني:

حب الرسول ﷺ للمؤمنين

جعل الله ﷻ رسوله شاهداً ومبشراً ونذيراً للناس:

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ (الأحزاب: ٤٥)

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ (الفتح: ٨)

وأمر رسوله أن يستغفر للمؤمنين وللمسلمين:

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

مُتَقَلِّبِكُمُ وَمَنْ تَوَلَّوْكُمْ ﴿٤٧﴾ (محمد: ٤٧)

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ

وَلَا يَزِينْنَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا

يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٠﴾ (الممتحنة: ٦٠)

فَبِمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ

عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۗ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٣٣﴾ (آل عمران: ٣٠)

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ

يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَرَسُولِهِ ۗ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ۗ اللَّهُ

إِنِّ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٤﴾ (النور: ٢٤)

وخير الله ﷻ رسوله بالاستغفار للمنافقين:

اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ

كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٦﴾ (التوبة: ٩، ٨٠)

واختار رسول الله ﷺ أن يستغفر للمنافقين أكثر من سبعين مرة، قائلاً:
"«أسمع ربي قد رخص لي فيهم، فوالله لاستغفرن أكثر من سبعين مرة، لعل
الله أن يغفر لهم!» فقال الله من شدة غضبه عليهم: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ
أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٦﴾" ٥٦

(المنافقون: ٦٣، ٦٤)

بل أكثر من ذلك، كاد رسول الله ﷺ أن يهلك نفسه الشريفة همًّا على
الناس:

لَعَلَّكَ بِنِخْعِ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٠﴾ (الشعراء: ٢٦، ٣)

فَلَعَلَّكَ بِنِخْعِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا حَدِيثِ أَسْفَا ﴿٦٠﴾ (الكهف: ١٨، ٦١)
فهذا كله يدل على رحمة رسول الله ﷺ بالناس جميعاً وليس بالمؤمنين
فقط. وتأكيذاً لهذا أشار الله ﷻ إلى أنه أرسل الرسول ﷺ رحمةً للعالمين:

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢١٠﴾ (الأنبياء: ٢١، ١٠٧)

وبطبيعة الحال كان الرسول ﷺ رحمة خاصة للذين آمنوا:

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۗ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ ۗ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ (التوبة: ٩، ٦١)

وكانت صلواته أيضاً سكوناً للمؤمنين:

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ (التوبة: ٩، ١٠٣)

وأمره الله ﷻ بالرفقة نحو المؤمنين:

٥٦ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير القرآن، مجلد رقم ١٠، صفحة ٢٠٠.

الحب في القرآن الكريم

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَآخِضْ بِجَنَاحِكِ

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ (الحجر، ١٥: ٨٨)

وَآخِضْ بِجَنَاحِكِ لِمَنْ أَتْبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٩﴾ (الشعراء، ٢٦: ٢١٥)

وأشار الله ﷻ أنه رؤوف ورحيم بالمؤمنين:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ (التوبة، ٩: ١٢٨)

فأشاد الله ﷻ بجنان قلب رسوله نحو المؤمنين:

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ
عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ (آل عمران، ٣: ١٥٩)

وكان الرسول ﷺ يحنُّ على المؤمنين لدرجة أنه كان يستحيي منهم:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرِ
نَظِيرِ بْنِهُ وَلَنْ يَكُنَ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسِينِينَ لِجَدِيدِ
إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا
سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا
كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ

ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٣)

فهذا الاستحياء من المؤمنين وتفضيلهم على نفسه الشريفة دليل قاطع

على حب رسول الله ﷺ للمؤمنين، لأن الله ﷻ ربط الحب بالتفضيل على النفس ولو كان بها خصاصة:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي

غازي بن محمد بن طلال

صُدُّوهُمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ (الحشر، ٥٩: ٩٠)

وهذا كله يدل على أن رسول الله ﷺ كان يحب المؤمنين بخاصة والناس جميعاً بعامة حباً عظيماً.

الباب الثالث: حب الإنسان

١٢. الباب الثالث؛ الفصل الأول:

حب الإنسان لله ﷻ

المطلب الأول: لِمَ يجب على الإنسان أن يحب الله ﷻ؟

قد ذكرنا سابقاً (في فصل "الكون والحب") أن كل شيء يجب الله ﷻ. فيضاف إلى هذا الحب الطبيعي الفطري حباً خاصاً من الإنسان لجمال الله ﷻ وأسمائه وصفاته. يقول الله ﷻ:

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٢٠٠﴾ (طه، ٢٠٠: ٨)

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ (الاعراف، ١٨٠: ٧)

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ۗ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا فِيهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٧٠﴾ (الاسراء، ١٧٠: ١١٠)

فالحسن هو الجمال ولا بد للإنسان إذا أحب الجمال أن يحب الجمال المطلق الكامل الذي هو في صفات وأسماء الله ﷻ.

وكذلك من السهل والطبيعي للإنسان أن يحب الله ﷻ أيضاً لرحمة الله ﷻ عليه وخلق الإنسان من رحمة الله ﷻ كما ذكرنا سابقاً (في فصل "الحب أصل الكون") ولفضل الله ﷻ وكرمه عليه كما ذكرنا سابقاً (في فصل "حب الله ﷻ للناس"). ونضيف إلى ذلك أنه من الطبيعي للإنسان أن يحب الله ﷻ لكل نِعَم الله ﷻ عليه، فالله ﷻ أسع على الإنسان نِعَمه ظاهرة

وباطنة:

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ
وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ﴿٢٠﴾

(لقمان، ٣١: ٢٠)

ولا بُدَّ لِلإِنسَانِ أَن يُحِبَّ اللَّهَ ﷻ أَيْضًا لِطُفْهِ عَلَى عِبَادِهِ:

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ (الشورى، ٤٢: ١٩)

ولا بُدَّ لِلإِنسَانِ أَن يُحِبَّ اللَّهَ ﷻ لِأَنَّهُ هُوَ الْوَدُودُ:

وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿١٠﴾ (هود، ١١: ١٠)

وَهُوَ الْعَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ (البروج، ٨٥: ١٤)

وكما أنه لا بُدَّ لِلإِنسَانِ أَن يُحِبَّ اللَّهَ ﷻ لِمْغْفِرَتِهِ لِلإِنسَانِ وَعَفْوِهِ عَنْهُ

وتوبته عليه لجميع ذنوبه ما دون الشرك:

يَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٥﴾ (الحجر، ١٥: ٤٩)

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صٰلِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿١٦﴾

(الاسراء، ١٧: ٢٥)

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ ۗ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿١٧﴾ (النصر، ١١٠: ٣)

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو

مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٨﴾ (الرعد، ١٣: ٦)

وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٩﴾

وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَالْكَٰفِرُونَ هُمْ

عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٠﴾ (الشورى، ٤٢: ٢٥-٢٦)

وَأَخْرُونَ ۗ أَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صٰلِحًا وَعَأْخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ

ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ

صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ هُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٤٦﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ

عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٧﴾ (التوبة: ٩، ١٠٢-١٠٤)

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ

﴿١٤٨﴾ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَنُظْمِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ

تُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٩﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ

فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ

يَعْلَمُونَ ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا وَيَعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿١٥١﴾ (آل عمران: ٣، ١٣٣-١٣٦)

وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ (النساء: ٤٤،

١١٠:

قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَفْرُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٣﴾ وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ

الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن

يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٥﴾ (الزمر: ٣٩، ٥٣-٥٥)

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ

أَفْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ (النساء: ٤، ٤٨)

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ

صَلَّأَ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٥٧﴾ (النساء: ٤، ١١٦)

٥٧ انظر أيضاً إلى آيات أخرى في هذا المعنى مثل: البقرة، ٢: ٣٧-١٦٠-١٦٢ و ١٨٧ و ٢٢١ و

٢٦٨؛ النساء، ٤: ١٧-١٨ و ٢٨-٢٩ و ٣١؛ الأنعام، ٦: ١٦٥؛ الأنفال، ٨: ٣٨؛ التوبة، ٩:

٧٤ و ١١٨؛ طه، ٢٠: ٨٢؛ غافر، ٤٠: ٣؛ الذاريات، ٥١: ٥٠؛ النجم، ٥٣: ٣٥؛ الحديد، ٥٧:

وإضافة إلى رحمة الله ﷻ للإنسان ومغفرته له لا بد للإنسان أن يجب
الله ﷻ لأنه يجيب له دعواته:

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ
كَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ (يونس، ١٠)

(١٢:

بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ (الانعام، ٦: ٤١)

وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۗ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٤٢﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ
عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ (النحل، ١٦: ٥٣-٥٤)

أَمَّن تُحِيبُ الْمَضْطَّرِّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ (النمل، ٢٧: ٦٢)

بل أكثر من ذلك، فإن الله ﷻ يطلب من الإنسان أن يدعوه لكي
يعطيه. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۗ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا آكْتَسَبُوا ۗ
وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا آكْتَسَبْنَ ۗ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمًا ﴿٤٤﴾ (النساء، ٤: ٣٢)

وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۗ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ
جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٤٥﴾ (غافر، ٤٠، ٤١)

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي
وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿٤٦﴾ (البقرة، ٢: ١٨٦)

١٣؛ التحريم، ٦٦، ٨؛ وهناك آيات كثيرة أخرى في القرآن الكريم عن مغفرة الله ﷻ
للإنسان لم نذكرها هنا.

ويلاحظ هنا قرب الله ﷻ من الإنسان. ودَكَرَ اللهُ ﷻ هذا القرب أيضاً في الآية الكريمة:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ ۗ وَخَنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ

﴿١٦﴾ (ق، ٥٠: ١٦)

وهذا القرب هو بالرغم من غنى الله ﷻ عن العالمين كلهم. يقول الله ﷻ:

فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا قَامَ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾

(آل عمران، ٣: ٩٧)

وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦٠﴾

(العنكبوت، ٦: ٢٩)

وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأَرَبَ اللَّهُ لَغْنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٥٠﴾

(إبراهيم، ١٤: ٨)

إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۗ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۗ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۗ إِنَّهُ

عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧٠﴾ (الزمر، ٣٩: ٧)

وهذا القرب هو بالرغم أيضاً من غنى الله ﷻ عن الناس وفقر الناس لله ﷻ:

يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٣٠﴾

(فاطر، ٣٥: ١٥)

هَاتَانِثُمْ هُنَّوَلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَّن يَبْخُلُ ۗ وَمَنْ يَبْخُلْ

فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ ۗ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا

غَيْرِكُمْ ثَمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلِكُمْ ﴿٦٨﴾ (محمد، ٤٧: ٣٨)

لكن بالرغم من غنى الله ﷻ عن الناس وفقر الناس لله ﷻ فإن الله ﷻ يجيب من كل دعوات الناس الصادقة. يقول الله ﷻ:

وَأَتَانَكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۗ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ

لظُلُومٌ كَفَّارٌ ﴿١٤﴾ (إبراهيم، ١٤: ٣٤)

فالله ﷻ يَعِدُ الإنسانَ الصالحَ الذي يدعوه حياة طيبة:

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ (النحل، ١٦: ٩٧)

وأن ينجيه عند الكرب:

ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ (يونس، ١٠: ١٠٣)

وأن ينصره:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ

أَجْرَمُوا ﴿١٤﴾ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ (الروم، ٣٠: ٤٧)

فخلاصة الأمر هنا هي أن الإنسان يجب الله ﷻ لجماله وللينعم التي

أنعم الله ﷻ بها على الإنسان مثل الرحمة والمغفرة والخير والفضل

والاستجابة للدعاء. ومن صفات الله ﷻ الجمال المطلق والرحمة المطلقة

والكرم المطلق وقد أنعم الله على الإنسان بنعم لا تُعد ولا تُحصى والله يجب

دعاء الإنسان، فكيف لا يجب الإنسانُ الله ﷻ؟ يقول الله ﷻ:

وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿١٧﴾ (النحل، ١٦: ٥٣)

✱

المطلب الثاني: كيف يجب على الإنسان أن يحب الله ﷻ؟

لكل ما ذكرناه أعلاه فإن الله ﷻ لا يقبل من الإنسان عاطفة الحب

فقط. يقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ٣١)

فالله ﷻ يطلب من الإنسان - إذا كان يحب الله حقيقةً - أن يتبع الرسول ﷺ. واتباعه يعني أنه ينبغي للإنسان أن يحب الله ﷻ بكل وجدانه أو كيانه وبكل أعماله كما رأينا:

قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢٧﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَجْهًا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٨﴾ (الأعراف، ١٦٦-١٦٤)

ولكي يصل الإنسان لهذه الدرجة من الحب المخلص والتفاني ينبغي له أن يتبع الرسول ﷺ في (أ) أخلاقه وفي (ب) أعماله.

(أ) أما بالنسبة للأخلاق، فكما رأينا، كان الرسول ﷺ على خُلق عظيم:

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ (القلم، ٦٨: ٤)

و"الخلق العظيم" يتضمن إتمام الفضائل التي يحبها الله ﷻ (وهي: التوكل، الطهارة، التوبة المستمرة، القسط، والقتال في سبيله، والتقوى، والصبر، وخاصة الإحسان - كما رأينا سابقاً).

(ب) أما بالنسبة للعمل فخير العمل ذكرُ الله ﷻ - لأنه ... وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ...

(العنكبوت، ٢٩: ٤٥) - وأسوة رسول الله ﷺ في العمل هي "رجاء الله" و"الذكر

الكثير":

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢١)

فإذا اتبع المؤمن الرسول ﷺ في أخلاقه وأعماله (وخاصة الذكر الكثير) يصبح من الذين يحبون الله حقيقةً ومنهم "أحب" إلى الله ﷻ. ولهذا أكد الله ﷻ أن أداء الصلاة من غير أن يُصَحِّي المؤمن من أجل الآخرين لا يكفي:

وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٥١﴾ (الإنسان: ٧٦-٧٨)

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَخْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ (الماعون: ١٠٧-١-١٠٧)

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى
الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ
الْبَأْسِ ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ (البقرة: ١٧٧)

وعن هذه الآية الأخيرة جاء في تفسير الجلالين أن المقصود بـ "أَنْ تُوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ" هو "في الصلاة"، والمقصود بـ "عَلَىٰ حُبِّهِ"
هو "مع حبه للمال"^{٥٨}. وهذا المعنى واضح أيضاً في الآية الكريمة:

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾
(آل عمران: ٩٢)

فمن خلال اتباع السنة بكيانه وعمله وبالذات من خلال الذكر الكثير يبدأ المؤمن بحب الله ﷻ حقيقةً. وفي هذه الحالة يكون حب الله ﷻ وحب طاعة الله ﷻ أعلى عند المؤمن من كل ما على الأرض:

٥٨ جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٣٥.

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَصِبُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾
(التوبة: ٩، ٢٤)

وفي هذه الحالة يسعى المؤمن إلى أن "يقوم" لله ﷻ كفرد أو مع شخص آخر، يقول الله ﷻ:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُعْطِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ ۖ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْقَلِ فَرْْدَيْ ۖ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ ۗ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ (سبا، ٤٦: ٤٦)

ثم "يفرّ" المؤمن إلى الله، يقول الله ﷻ:

﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ (الذاريات، ٥٠: ٥١)

بعد ذلك يفرغ المؤمن من الشهوات الدنيوية ويرغب إلى الله ﷻ ويتبتّل إليه، يقول الله ﷻ:

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧٠﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٧١﴾ (الشرح، ٧٠: ٧١ - ٧٠)

﴿ وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٧٢﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٧٣﴾ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرُجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿٧٤﴾ (الزمر، ٧٣: ٧٣ - ١٠)

فالهجر الجميل ليس الاستئذان من الناس بطريقة مؤدبة فحسب، بل يعني أن يكون المرء وحيداً مع الله ﷻ، وأن يتخذ الله ﷻ وكيلاً بعد الصعوبات التي يواجهها الإنسان حين "ينصب"، وعلى شرط أن يتذكر الله ﷻ بتبتّل؛ فتصبح هذه تجربة يستحيل وصف جمالها وعُجبها. هذا هو الجمال الحقيقي وهي الطريقة الحقيقية التي يكون فيها "الهجر الجميل": فالهجر جميل بسبب جمال المقصود بالهجرة. والله ﷻ هو "الجميل" وقد يُنعم الله ﷻ على المؤمن بأن "يرغب" إليه ﷻ أو أن يفهم جماله ﷻ أو أن يذوق نعمته ﷻ. فإذا أتى

العبد إلى الله ﷻ فرداً وقد ترك كل شيء وكان معدوماً وبجاجةٍ فإن الله ﷻ يجعل له ودّاً". يقول الله ﷻ:

إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٩﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٢٠﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٢٢﴾ (مريم، ١٩: ٩٣ - ٩٦)

وبالتأكيد فإن هذا صحيح في الحياة الدنيا وفي الآخرة؛ فالقرآن الكريم يقول لنا إن سيدنا يوسف عليه السلام قال إن السجن (حيث سيكون هناك وحده منقطعاً بجرية عبادة الله ﷻ) "أحب" إليه من النساء الجميلات:

قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ (يوسف، ١٢: ٣٣)

ولكن أوضح صورة في القرآن الكريم لجمال حب الله ﷻ وذكره وعبادته تتمثل في السيدة مريم العذراء عليها السلام التي أنعم الله ﷻ عليها بفاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف^٩ ورزقها "بغير حساب" نعمة منه حين كانت تتعبّد وحدها في المحراب وهي طفلة.

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ٣٧)

٥٩ أبو الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، صفحة ٣٦٣. وحتى حين رحلت السيدة مريم العذراء عليها السلام عن المحراب، ظلّ الله ﷻ يُنعم عليها كما سنرى في الآيات التالية (فلا أحد، ناهيك عن امرأة تعاني آلام المخاض، من القوة بمكان أن يهز شجرة نخيل لدرجة أن تتساقط ثمارها)، يقول الله ﷻ:

فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مَثٌ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا ﴿٣٢﴾ فَنَادَتْهَا مِنْ حَتَمَاتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ هَتِكًا سَرِيًّا ﴿٣٣﴾ وَهُوَ إِلَيْكَ جِذْعُ النَّخْلَةِ تُسْفِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حَبِيًّا ﴿٣٤﴾ (مريم، ١٩: ٣٢ - ٣٤)

بالطبع لا يُرزق كل مؤمن بتذوق نِعَم خارقة للطبيعة كالتى رُزقت بها السيدة مريم العذراء عليها السلام، ولكن كل مؤمن يمكنه بإذن من الله ﷻ أن يشعر باطمئنان القلب والسكينة من خلال حب الله وذكره وعبادته ﷻ، يقول الله ﷻ:

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ (الرعد، ١٣: ٢٨)

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودٌ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤٨﴾ (الفتح، ٤٨: ٤٨ وانظر الفتح، ٤٨: ١٨ و٢٦ والتوبة، ٩: ٢٦)

فحين يتبتل العبد إلى ربه تبتلياً يكون المؤمن راضياً تماماً بما آتاه الله ﷻ، يقول الله ﷻ:

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ (التوبة، ٩: ٥٩)

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۗ وَتُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ (الزمر، ٣٩: ٣٦)

وهذه هي الحالة - والله أعلم - التي وصفها الله ﷻ بأنه اشترى فيها نفس المؤمن كاملة مقابل الجنة ومقابل "الفوز العظيم":

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۗ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۗ فَاسْتَبَشِرُوا ببيعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۗ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ (التوبة، ٩: ١١١)

وفي هذه الحالة يكون المؤمن من الذين اتبعوا الرسول ﷺ لدرجة أنه أصبح "مع الرسول" ﷺ:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ
 فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطْفُهُ فَفَازَرَهُ فَأَسْتَغْلَطَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ
 سَوْقِهِ يُعْجَبُ الزَّرَّاعُ لِيُعَيْطَ بِهِمُ الْكُفَّارُ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢١﴾ (الفتح، ٤٨: ٢٩)

وفي هذه الحالة يستطيع المؤمن أن يحب الله "الحب الأشد" كما ينبغي
 للعبد أن يحب ربه. وهذا الحب لا يستطيع غير المؤمن أن يصل إليه أو إلى
 درجته "الأشد". فالله ﷻ قال:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ
 حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
 الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)

والله ﷻ لخص هذا الحب كله في الآية الكريمة:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٢١﴾ (مريم، ١٩: ٩٦)

والإيمان والعمل الصالح هما بالدرجة الأولى أتباع الرسول ﷺ، وبعد
 اتباعه ﷺ يُكْرَمُ الرحمن عبده بـ "الود". ولا يستطيع أي عبد أن يصل إلى هذه
 الدرجة من الود من غير الإيمان والعمل الصالح لأن هذا "الود" "جعل
 رحماني" وليس عملاً بشرياً. فحب الإنسان لله ﷻ يبدأ كعاطفة، ومن خلال
 اتباع الرسول ﷺ بالعمل الصالح وبالخلق الحسن يُصبح جزءاً لا يتجزأ من
 نفس وكيان المؤمن. وفي هذه الحالة يفوز المؤمن بالجنة و"الفوز العظيم"،
 ويذوق حقيقة حب الله ﷻ الموصوف بـ "جعل رحماني". وهذا الحب أشد
 وأقوى من أي حب دنيوي آخر، وأشد وأقوى من أي حب يمكن لغير المؤمن
 أن يتذوقه أو حتى يتخيله. قال الله ﷻ:

... وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ

الحب في القرآن الكريم

جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿٦٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)

فلذلك علّمنا الرسول ﷺ الدعاء التالي:

«اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد»^{٦٠}.

وعلّمنا أيضاً الدعاء التالي:

«اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني عندك، اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، اللهم وما رزيت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب»^{٦١}.



المطلب الثالث: النوايا والدوافع التي يجب أن تكون لدى الإنسان

في حبّ الله ﷻ

يحدّر الله في القرآن الكريم من العبادة غير المخلصة:

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً ۚ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ

تَكْفُرُونَ ﴿٢٥﴾ (الأضغال، ٨: ٣٥)

وقال الرسول ﷺ: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأْتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: فَأَثَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَائِلْتُ لَأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَيَّ وَجْهِي حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ

٦٠ رواه الترمذي، رقم ٣٤٩٠، في كتاب الدعوات.

٦١ رواه الترمذي برقم (٣٤٩١) في كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد.

وحسنه.

وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَتَيْ بِهِ فَعَرَفَهُ نَعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَيَّ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأَتَيْ بِهِ فَعَرَفَهُ نَعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَيَّ وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. ٦٢

ولهذا فعلينا أن نسأل: "ما الذي يجعل العبادة صادقة ومخلصة؟" و"ما الذي يجعل العبادة مقبولة عند الله ﷻ؟" فأبي شيء يفعلُه الإنسان فإن الله ﷻ يعلم ما يدور في داخله:

أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ۗ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥١﴾ (هود، ٥١)

ثم إن الله ﷻ يحكم على الإنسان حسب ما في نفسه:

يَلَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٤﴾ (البقرة، ٢: ٢٨٤)

فنوايا الإنسان الخفية هي التي ينظر إليها الله ﷻ في أي شيء يفعلُه:

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٢٥﴾ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَحْجَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٠﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿٢٠﴾ (الملك، ٦٧: ١٢-١٤)

ولهذا السبب، يجب أن تكون عبادة الله ﷻ - وخاصة حب الله -
 خلصة. يقول الله ﷻ:

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١٤٠﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ
 الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ
 إِنَّ اللَّهَ يَتَخَكَّمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ

﴿١٤٠﴾ (الزمر، ٣٩-٢)

قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤١﴾ (الزمر، ٣٩: ١٤)

فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤٢﴾ (غافر، ٤٠: ١٤)

هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٣﴾

٦٣

(غافر، ٤٠: ٦٥)

وقال الرسول ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»^{٦٤}.

يقول الله ﷻ:

وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿١٤٤﴾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿١٤٥﴾ (النجم، ٥٣-٣٩: ٤٠)

فعلينا أن نسأل: "ما هي النوايا والدوافع التي يجب أن تكون لدى
 الإنسان عندما يقوم بالعبادة (وغيرها من الأفعال الصالحة) ليقبلها الله ﷻ؟"
 وبعبارة أخرى: "ما هي الدوافع والنوايا التي ليست مجرد عبث ونفاق؟"
 بالنسبة للحب - وهو أمر يشعر به الإنسان شخصياً وبالتالي يعرف أنه
 موجود (إلى حد ما على الأقل) - يصبح السؤال: "كيف يستطيع الإنسان
 الذي يجب أن يعرف إن كان حبه صادقاً ومخلصاً، وبالتالي مقبولاً عند الله
 ﷻ؟" وبعبارة رابعة: "ما هي الدوافع والنوايا التي يجب أن تكون لدى

٦٣ انظر أيضاً: ٢: ١٣٩، ٤: ١٤٦، ٧: ٢٩، ١٥: ٤٠، ٣٧: ٤٠، ٧٤، ١٢٨، ١٦٠، ١٦٩،

٣٨: ٨٣ و ٩٨: ٥.

٦٤ صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، رقم ١؛ صحيح مسلم، كتاب الإمارة، رقم ١٩٠٧.

الإِنْسَانِ فِي حُبِ اللَّهِ ﷻ؟" اللَّهُ ﷻ يَجِيبُ عَنْ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ عِدَّةَ مَرَاتٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٢﴾ اذْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۗ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بِيَمِينِ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٠٥﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۗ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۗ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿١٠٦﴾ (الأعراف، ٧: ٥٤ - ٥٨)

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٠٧﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٩﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۗ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١١٠﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١١﴾ (السجدة، ٣٢: ١٥ - ١٩)

أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْأَخْرَةَ وَيُرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١١٢﴾ (الزمر، ٣٩: ٩)

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿١١٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَحْيَىٰ ۖ وَاصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴿١١٤﴾ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿١١٥﴾ (الأنبياء، ٢١: ٨٩ - ٩٠)

من الأشياء الملفتة في هذه السور الأربعة هي الطريقة التي تصف فيها الآيات أعلاه نفس الدوافع الثلاثة للعبادة المخلصة - وإن كانت من منظور مختلف في كل سورة. هذه الآيات تصف دافعين بشكل واضح وصریح. وأما الدافع الثالث فهو مذكور بطريقة أقل مباشرة. فنرى أنه في الآيات المقتبسة من سورة الأعراف، يقول الله ﷻ " **خَوْفًا وَطَمَعًا** " بعد " **تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً** " ^{٦٥}. وفي الآيات من سورة السجدة يذكر الله ﷻ الخوف والطمع: " **خَوْفًا وَطَمَعًا** ". وفي الآيات من سورة الزمر يذكر الله ﷻ الحذر والرجاء، يقول الله ﷻ: " **مَحَذَّرُ** **الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ** "، (وبالتالي الخوف والرجاء). وفي الآيات من سورة الأنبياء والتي تصف سيدنا زكريا عليه السلام وسيدنا يحيى عليه السلام وزوجة سيدنا زكريا عليه السلام وأم سيدنا يحيى عليه السلام - واسمها (إليصابات) - يتعمق "الخوف" ليصير " **رَهَبًا** "، ويتعمق الرجاء ليصير " **رَغَبًا** ".

أما الدافع الثالث فهو مذكور بطريقة خفية. ففي الآيات المقتبسة من

٦٥ كما يذكر الله ﷻ التضرع والخوف معاً في آخر آيتين من سورة الأعراف الكريمة: " **وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً** " ويقول: " **وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ** " ويحذر من الاستكبار: " **إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ** "؛ (بهذه الطريقة يكون الإنسان واعياً ومحباً لله ﷻ) وإن انتهى التحذير بالإشارة إلى (الملائكة) " **الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ** ".

وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٦٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٦٦﴾ (الأعراف، ٧: ٢٠٥-٢٠٦)

سورة الأعراف يصف الله ﷻ بعض ظواهر الكون العظيمة ثم يسأل بشكل بلاغي إن لم يكن ذلك يقتضي ضمناً وبالضرورة أن الله ﷻ خلقها (وبالتالي) أن له سلطان على الخلق. ثم يذكر الله ﷻ كيف ينبغي للبشرية أن تعبده، ابتداءً بالتضرع والخفية، وهما حالتان تفرضهما معرفة الله ﷻ أو الوعي بعظمته على نفس الإنسان، وبالتالي الوعي بعظمة أن يكون الإنسان قادراً على أن يعبد الله ﷻ. ثم يذكر الله ﷻ الخوف والرجاء، وبعد ذلك يذكر ظواهر الكون ابتداءً بـ "الرِّيحُ بُشْرًا" وانتهاءً بالثمار. وهكذا فإن قبل العبادة توجد حقيقة الله ﷻ، ونراها من خلال خلقه، وبعد العبادة هناك بشرى من ثمار خلقه. إذاً فالمعرفة تأتي قبل الخوف والرجاء وبعدهما ولكنها غير موصولة بهما.

وهذا يتضح أكثر في الآيات المقتبسة من سورة السجدة. فبعد ذكر المؤمنين وخوفهم ورجائهم وجزائهم، يسأل الله ﷻ إذا استوي المؤمنون والفاسقون ثم يقول لنا ﷻ إنهم لا يستون. فالإيمان بالله ﷻ هو طريقة من طرق معرفة وجود الله ﷻ (حسب درجة اليقين والتنور التي وراء هذا الإيمان). والأفعال الصالحة هي برهان على الإيمان واليقين. لذا يذكر الله ﷻ جزاء الذين يؤمنون ويقومون بالأعمال الصالحة.

في الآيات المقتبسة من سورة الزمر تتضح العلاقة بين الخوف والرجاء والمعرفة أكثر: فيبدأ الله ﷻ بمقارنة المؤمن المخلص وحذره ورجائه؛ ثم نجد حذفاً بلاغياً (وهذا الحذف يعبر عن أن أعمال غير المؤمنين عقيمة غير مثمرة)، ثم يسأل الله ﷻ: "هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ"؟ وفي النهاية يقول الله ﷻ: "إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ". وهكذا فإن المعرفة متصلة بشكل واضح بالخوف والرجاء.

وفي الآيات المقتبسة من سورة الأنبياء والتي تصف حالة الأنبياء

السامية، يتعمق الإيمان والمعرفة ليصبحا " الخشوع " أمام الله ﷻ. والإيمان الحقيقي بالله ومعرفته بشكل حقيقي يجلبان بالضرورة معرفة أن الإنسان لا شيء أمام الله ﷻ وبالتالي يخضع الإنسان أمامه ﷻ.

كما تقدم نقول إن الله ﷻ لا يقبل عبادة البشر له إلا بثلاثة دوافع أو

نوايا فقط:

(١) أنهم يخافونه ويخافون أن يُعاقب آثامهم - وهذا الخوف يؤدي إلى الرهبة من الله ﷻ؛ (٢) أنهم يرجون الله ﷻ ويرجون أن يغفر لهم ذنوبهم - وهذا الرجاء يؤدي إلى الرغب وبالتالي إلى الحب لأنهم لا يستطيعون أن يرجوا ويرغبوا إلا بما يحبونه؛ وكما سنرى إن شاء الله في فصل "أنواع الحب" وفي فصل "مراحل الحب"، فإن الطمع مرحلة من مراحل الحب والرغب نوع من أنواع الحب؛ (٣) أنهم يؤمنون بالله ﷻ أو يعرفونه. حين يعرف البشر ما هي البشرية ويعرفوا أن الله ﷻ هو الله فكيف لهم ألا يعبدوه ﷻ ويخشعوا أمامه؟



فالخوف والرجاء والمعرفة هي النوايا التي يقبلها الله ﷻ للعبادة لأنها تحث وتؤثر على ملكات النفس البشرية الرئيسية الثلاث والتي خلقها الله ﷻ لعبادته. وهذه الملكات الثلاثة هي: الإرادة والعاطفة والعقل. وخلق الإرادة من أجل حرية الاختيار؛ وخلق العاطفة من أجل حب الخير والجمال، وخلق العقل لاستيعاب الحقيقة. ونرى هذا في سورة الفاتحة

الكرامة والتي قال عنها سيدنا محمد ﷺ إنها «أعظم سورة في القرآن»^{٦٦} والتي في نصفها الثاني الدعاء التالي:

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿١﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٢﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٣﴾ (الفاتحة، ١: ٥ - ٧)

"إِيَّاكَ نَعْبُدُ": هذا دعاء ينبع من العبودية والحب. "وإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ": هذا دعاء ينبع من الخوف والإرادة. "أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" ﴿١﴾

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ": هذا دعاء ينبع

من حقيقة ومعرفة. والفاتحة يرددها المصلي في كل ركعة من كل صلاة من

الصلوات الخمس - أي على الأقل سبعة عشرة مرة كل يوم من قِبَل كل

مسلم ملتزم. ونصفها الثاني (أعلاه) هي جوهر الدعاء والصلاة البشرية.

وبالتالي فإن إسنادها على العاطفة والإرادة والعقل ترينا أن الدوافع الوحيدة

التي يقبلها الله ﷻ من البشر هي الخوف والحب (أو الرجاء) والمعرفة.

وسنرى لاحقاً إن شاء الله (في فصل "الوقوع في الحب") كيف أن

الملكات الثلاثة مرتبطة بالضرورة في الوقوع في الحب، وكيف تؤدي هذه

الملكات إلى مراحل معينة من الحب وهي تميل إلى المحبوب. وهذا بديهي لأنه

في الحب الحقيقي كل شيء في القلب والنفس والعقل والإرادة أو القوة -

الإنسان كله وملكاته كلها - يجب أن يكون مرتبطاً ومتفاعلاً. ولكن هذا يعني

أيضاً أنه لا يوجد حب حقيقي لله ﷻ من غير شيء من الخوف منه ﷻ، أو

من غير بعض المعرفة به ﷻ. وبالطبع يمكن أن تكون نقطة البداية لعبادة الله

ﷻ هي أي من الدوافع الثلاثة (أو أي اثنين منها)، ولكن حين تصبح عبادة

٦٦ رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم

٤٤٧٤؛ ورواه البخاري أيضاً: في كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب، رقم

الله ﷻ حباً حقيقياً راسخاً لله ﷻ، يجب أن يشمل ذلك الخوف والمعرفة. وهذا يشرح لنا لِمَ حب الله ﷻ (مع العاطفة) يعني اتباع الرسول ﷺ وطاعته (بالإرادة) وأن لا يكون المرء غير مؤمن (بالعقل). يقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٢﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ٣١ - ٣٢)



المطلب الرابع: حب ما يُذكر بالله ﷻ

حب العبد لله ﷻ يتطلب - ويؤدي بالضرورة - إلى حب ما يُذكر بالله ﷻ، وهذا يعني حب الرسول ﷺ (كما سنرى في فصل لاحق إن شاء الله)، و(أ) حب الدين والعبادة بشكل عام، و(ب) حب الصلاة والذكر بشكل خاص، و(ج) حب القرآن، و(د) حب الطبيعة، التي يرى العبد فيها أعمال ومخلوقات الله ﷻ، و(هـ) حتى حب القدر الذي يرى فيه العبد مشيئة الله ﷻ.

(أ) فأما بالنسبة لحب الدين والعبادة بشكل عام، فيقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١﴾

(التوبة، ٩: ٢٤)

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾

(آل عمران، ٣: ٣١) ﴿٣١﴾

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعْبَةَ اللَّهِ فإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ (الحج، ٢٢: ٣٢)

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۗ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَتْعَمُ إِلَّا مَا

يُتَى عَلَيْكُمْ ۗ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٣﴾ (الحج، ٢٢: ٣٠)

(ب) وأما بالنسبة لحب الصلاة والذكر بشكل خاص، فيقول الله ﷻ:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢١)

أَتْلُوا مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۗ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ (العنكبوت، ٢٩: ٤٥)

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ

إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٦﴾ (الأنفال، ٨: ٢)

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ (الأنعام، ٦: ١٦٢)

وكما ذكرنا سابقاً، فقد قال الرسول ﷺ:

«حُبُّ إِلِيٍّ مِنْ دُنْيَاكُمْ [ثلاث] النساء والطيب وجعلت قره عيني في الصلاة»^{٦٧}.

(ج) وأما بالنسبة لحب القرآن، فيقول الله ﷻ:

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ ۗ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ

اللَّهِ ۗ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ

٦٧ رواه البيهقي في السنن الكبرى ٧/٧٧٨. ورواه النسائي في السنن الصغرى رقم ٣٩٣٩

و٣٩٤٠ في كتاب عشرة النساء، بلفظ: «حُبُّ إِلِيٍّ مِنْ الدُنْيَا النساء والطيب وجعلت قره

عيني في الصلاة»، ورواه أحمد ٣/١٢٨ و١٩٩.

مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ نَخَشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ

اللَّهُ يَهْدِي بِهٖ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٢﴾ (الزمر، ٢٢-٢٣)

إِنَّ وَلَىٰ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿٨١﴾ (الأعراف، ٧: ١٩٦)

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَّيْتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ

إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤﴾ (الأنفال، ٨: ٢)

وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هِذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ

ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٢٤﴾ (التوبة، ٩: ١٢٤)

رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَعَلَّ يُكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا

حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۗ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَٰهِدًا ﴿٢٥﴾ (النساء، ٤: ١٦٥-١٦٦)

(د) وأما بالنسبة لحب الطبيعة التي يرى العبد فيها أعمال ومخلوقات الله ﷻ،

فيقول الله ﷻ:

فَانظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ تُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ

وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ (الروم، ٣٠: ٥٠)

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ

وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا

وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا

بِظُلْمٍ ۗ سُبْحٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٢﴾ (آل عمران، ٣: ١٨٩-١٩١)

قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيٰتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ

﴿٢٣﴾ (يونس، ١٠: ١٠١)

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ
بِمَا يَدْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ
فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ
جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿٢٥﴾ (البقرة، ١٦٤-١٦٥)

(انظر أيضاً إلى: الروم، ٣٠-٢٠-٢٧، الرحمن، ٥٥، ١-١٣).

فالتبيعة تُذَكَّرُ بخالقها ولذلك فمن الطبيعي أن يجب العبد الطبيعة
ويرى فيها آيات الله ﷻ كما يرى آيات الله ﷻ في نفسه. يقول الله ﷻ:

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٦﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ (الناربات، ٥١، ٢٠-٢١)
سُئِرْتَهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٢٨﴾ (فصلت، ٤١، ٥٣)

(هـ) وأما بالنسبة لحب القدر الذي يرى فيه العبد مشيئة الله ﷻ، فيقول الله ﷻ:

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٣٦﴾ (البقرة، ٢١٦)
وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٣٧﴾ (التوبة، ٩، ٥٩)

وهذا كله لنقول إن حب الله ﷻ يوجب حب ما يؤدي الى الله ﷻ
أيضاً، وذلك من باب التقدير والشكر والامتنان على الأقل.

١٣. الباب الثالث؛ الفصل الثاني:

حب المؤمن للرسول ﷺ

كما ينبغي للإنسان أن يحب الله ﷻ لجماله ولنعمة ﷻ عليه، فينبغي للمؤمن أيضاً أن يحب الرسول ﷺ لجمال نفسه ﷻ ولاهتمامه بالمؤمنين وحبه لهم حسب ما رأينا في الفصل الحادي عشر ("حب الرسول ﷺ للمؤمنين"). ونستذكر هنا رأفة ورحمة الرسول ﷺ بالمؤمنين:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (التوبة: ٩، ١٢٨)

وهذه الرأفة والرحمة هي التي تجعل الرسول ﷺ يشفع للمؤمنين يوم القيامة أكثر من أي رسول آخر. هكذا جاء في تفسير "المقام المحمود" الذي أشار إليه الله ﷻ في الآية الكريمة:

وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿١٧٠﴾ (الإسراء: ١٧٠)

فقد نقل ابن كثير في تفسيره عن الإمام أحمد بن حنبل الحديث المعروف التالي في "المقام المحمود":

"حديث أنس بن مالك ﷺ: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، حدثنا قتادة، عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيُلهمون ذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فأراحنا من مكاننا هذا. فيأتون آدم فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول لهم آدم: لست هناكم، ويذكر ذنبه الذي أصاب، فيستحي ربه ﷻ من ذلك، ويقول: ولكن اتوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. فيأتون نوحاً فيقول: لست هناكم، ويذكر

خطيئة سؤاله ربه ما ليس له به علم، فيستحيي ربه من ذلك، ولكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن. فيأتونه فيقول: لست هناكم، ولكن اتوا موسى، عبداً كلمه الله، وأعطاه التوراة. فيأتون موسى فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس، فيستحيي ربه من ذلك، ولكن اتوا عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته وروحه، فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم، ولكن اتوا محمداً عبداً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني. فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين حتى استأذن على ربي، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً لربي، فيدعني ما شاء الله أن يدعني. ثم يُقال: ارفع محمد، قل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه. فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يُعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً، فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه الثانية فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي، فيدعني ما شاء الله أن يدعني. ثم يُقال: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع. فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يُعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً، فأدخلهم الجنة، ثم أعود في الثالثة، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يُقال: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يُعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة. ثم أعود الرابعة فأقول: يارب ما بقي إلا من حبسه القرآن». فحدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فيخرج من النار من قال: "لا إله إلا الله" وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: "لا إله إلا الله" وكان في قلبه من الخير ما يزن بُره، ثم يخرج من النار من قال "لا إله إلا الله" وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة». أخرجه في الصحيح من حديث سعيد، به. وهكذا رواه الإمام أحمد، عن عفان، عن حماد بن سلمه، عن ثابت، عن أنس بطوله ^{٦٨}.

٦٨ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص ١١٣١-١١٣٢.



وإضافة إلى هذا الفضل للرسول ﷺ على المؤمنين، ينبغي للمؤمن أن يحب الرسول ﷺ أيضاً لجماله ﷺ الخُلُقِي المشهود له من قِبَل الله ﷻ:

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤١﴾ (القلم، ٦٨: ٤)

فعدم حب - أو نقص حب - المؤمن للرسول يعني أن المؤمن لم يدرك جمال الرسول ﷺ الخُلُقِي وفضائله التامة. وهذا بدوره يعني أن المؤمن لم يدرك ولم يفهم بشكل صحيح معنى وقيمة الخُلُق الحَسَن والفضائل بشكل عام. وعلى هذا الحال يكون في نفس المؤمن عيباً وفي إيمانه نقصاً. قال رسول الله ﷺ:

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»^{٦٩}.

وقال رسول الله ﷺ:

«ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان إن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار»^{٧٠}.

والله ﷻ وضح هذا الأمر في الآية الكريمة التالية:

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۗ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٦)

٦٩ رواه البخاري، كتاب الإيمان، رقم ١٥؛ ورواه مسلم، في كتاب الإيمان، رقم ٤٤.

٧٠ رواه البخاري، رقم ١٦، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ومسلم، رقم ٤٣، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا يَخَمَصُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ (التوبة: ٩، ١٢٠)

وهكذا ينبغي للمؤمن أن يحب الرسول ﷺ - الذي اكتملت الفضائل ومكارم الأخلاق في نفسه الشريفة - أكثر من حب المؤمن لنفسه المليئة بالعيوب والذنوب. فتوقير المؤمن للرسول ﷺ يعكس مدى فهم المؤمن لحالة نفسه أمام الله ﷻ، وحين يبجل المؤمن الرسول ﷺ فهذا يعكس مدى حب المؤمن للخير وبالتالي لله ﷻ والذي هو "البر" (انظر إلى سورة الطور، ٥٢: ٢٨)، وبالتالي فالله ﷻ هو مصدر الخير كله. وبعبارة أخرى فإن فهم وحب الرسول ﷺ هما الخطوة الأولى لفهم وحب الفضائل والخلق الحسن، لأن الرسول ﷺ كان يجسد الإحسان ومكارم الأخلاق، وفهم وحب الفضائل هما الخطوة الأولى لممارسة الفضائل والتحلي بمكارم الأخلاق والخلق الحسن. وقال رسول الله ﷺ: "بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" ٧١.



وحب المؤمن لرسول الله ﷺ بذاته قد لا يكون كافياً. فالله ﷻ أمر المؤمنين بأمر عظيم بدأ به بنفسه وثنى بملائكته وهو الصلاة على النبي ﷺ، وخصّ المؤمنين بالصلاة والسلام عليه أيضاً:

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

٧١ رواه البيهقي، في السنن الكبرى، ١٠/١٩١؛ انظر أيضاً: أحمد ابن حنبل، في مسنده، ٢/٣٨١؛ الحاكم، في المستدرک، ٢/٦١٣.

ومعلوم أن الحسنه بعشر أمثالها:

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا

ولكن حسنة الصلاة على النبي ﷺ تُكَافَأُ بعشر صلوات من الله ﷻ.

قال الرسول ﷺ:

«(من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً)»^{٧٢}.

والصلاة المستمرة على النبي ﷺ تُكَافَأُ بغفران جميع الذنوب:

"عن أبي بن كعب ؓ قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «يا أيها الناس أذكروا الله أذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه» قال أبي: قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: «ما شئت»، قال: قلت الربع؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير لك»، قال: قلت: النصف؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير لك»، قال: قلت: فالثلثين؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير لك»، قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «إِذَا تُكْفِيَ هَمَّكَ وَيُغْفِرَ لَكَ ذَنْبَكَ»^{٧٣}.

والصلاة المستمرة على النبي ﷺ تجعل المؤمن "مع" النبي ﷺ يفكره.

وعلى هذا الحال يكون كما جاء في الآية الكريمة:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۗ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۗ ذَلِكَ مِثْلَهُمْ

٧٢ رواه مسلم، في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي بعد التشهد، ٣٠٦/١،

رقم ٤٠٨.

٧٣ رواه الترمذي، كتاب صفة يوم القيامة، ٤/٦٣٦-٦٣٧، رقم ٢٤٥٧.

فِي التَّوْرَةِ ^٤ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطْفُهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَعْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرْعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ^٥ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ (الفتح، ٤٨: ٢٩)

ففي حالة المعية مع النبي ﷺ لا ينبغي المؤمن مغفرة الله ﷻ فحسب، ولكن رضوان الله ﷻ أيضاً كما جاء في الآية أعلاه. وهذا من معاني قول رسول الله ﷺ:

«أنت مع من أحببت»^{٧٤}.

لذلك ينبغي للمؤمن أن لا يتعدى أي حدٍّ من حدود الأدب مع رسول الله ﷺ:

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ^٦ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٠﴾
يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ^٧ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ^٨ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ (الحجرات، ٤٩: ٥٠-)

فمحببة رسول الله ﷺ واحترامه والصلاة والسلام عليه امتحان عظيم لتقوى القلوب، كما توضح الجملة الكريمة: "أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ^٧". فحب رسول الله ﷺ واجب ضروري على كل مؤمن وليس كعاطفة فقط ولكن كحالة فهم حقيقة رسول الله ﷺ وفضله على المؤمنين. ولهذا فالصلاة والسلام عليه واجبة أيضاً. وأكد الله ﷻ هذا الأمر، ولخص

٧٤ رواه البخاري، كتاب الأدب، رقم ٦١٦٧.

الحب في القرآن الكريم

مسألة حب رسول الله ﷺ أو على الأقل المودة له في الآية الكريمة:

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٤٢﴾

(الشورى، ٤٢: ٢٣)

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً.

حب قربي الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار

يقول الله ﷻ:

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۗ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ

(الشورى، ٤٢: ٢٣)

وهذا يعني أمرين: (١) أنه يجب على قريش أن يحبوا رسول الله ﷺ بحكم قرابته ﷺ منهم، و (٢) أنه يجب على المؤمن أن يحب من هو من قرابة رسول الله ﷻ:

قال ابن كثير: "وقوله عز وجل **"قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي**

الْقُرْبَىٰ" أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا أسئلكم على هذا البلاغ والنصح لكم ما لا تُعطونه وإنما أطلب منكم أن تكفوا شرَّكم عني وتذروني أبلغ رسالات ربي إن لم تصروني فلا تؤذني بما بيني وبينكم من القرابة ... ولا تنكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخرًا وحسبًا ونسبًا، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجليلة، كما كان عليه سلفهم، كالعباس وبنه، وعلي وأهل بيته وذريته، رضي الله عنهم أجمعين. وقد ثبت في الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته بعدير خُم: "إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، وإنهما لم يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض" ٧٥.

٧٥ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/١٤٢.

وقال القرطبي بعد أن ذكر مثل قول ابن كثير: "وقيل: القربى قرابة الرسول ﷺ، أي لا أسألكم أجراً إلا أن تودّوا قرباتي وأهل بيتي، كما أمر بإعظامهم ذوي القربى. وهذا قول علي بن حسين وعمرو بن شعيب والسدي" ^{٧٦}.

وقال الفخر الرازي: "والحاصل أن هذه الآية تدل على وجوب حب آل رسول الله ﷺ وحب أصحابه" ^{٧٧}.

فمن هم قربى ^{٧٨} رسول الله ﷺ؟ هم درجات في القرآن الكريم:

٧٦ القرطبي، الجامع لاحكام القرآن الكريم، ٢٠/١٦.

٧٧ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ٤٣٣/١٣.

٧٨ ومن الجدير بالذكر أن "القرباة" (ونقصد هنا علاقة الدم والرحم) لرسول الله ﷺ لا تعني "القربى" (ونقصد هنا ما جاء في آية الشورى، ٤٢: ٢٣ كما هو مذكور أعلاه) منه بالضرورة، لأن الله ﷻ يقول:

وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٧﴾ (هود، ٤٥-٤٦)

وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ (البقرة، ٢: ١٢٤)

وَلَا تَرَوْا وَارِثَةً وَرَثَةً أَخْرَفَتْ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى جِهَا لَا تُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكَا فإِنَّمَا يَتَرَكَا لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٦٧﴾ (فاطر، ٣٥: ١٨)

ولا يفوتنا أن نذكر أن أبا لهب وهو عم الرسول ﷺ (أخو أبيه) دخل النار بسبب كفره. يقول الله ﷻ:

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ (المسد، ١١: ٥-١)

فقربى رسول الله ﷺ هم قرابته في الرحم وفي الود والأخلاق والمقام أيضاً.

الحب في القرآن الكريم

(أ) أهل كساء رسول الله ﷺ (وهم علي كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء والحسن والحسين ﷺ جميعاً).

(ب) أهل بيت رسول الله ﷺ بمن فيهم زوجاته.

(ج) أقرب الصحابة إلى رسول الله ﷺ (ومنهم زيد وأبو بكر ﷺ).

(د) الصحابة الذين هم " مع " رسول الله ﷺ.

(هـ) المهاجرون والأنصار.

(و) قريش بشكل عام.

(ز) العرب بشكل عام.

(ح) المؤمنون جميعاً (كما سنرى في فصل لاحق إن شاء الله).

(أ) فأما بالنسبة لأهل كساء رسول الله ﷺ (وهم علي كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء والحسن والحسين ﷺ جميعاً، فيقول الله ﷻ:

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ

﴿آل عمران، ٣: ٦١﴾

وأهل الكساء هم في طبيعة الحال أهل بيت رسول الله ﷺ بالدرجة الأولى.

وعن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ

قَالَ: " إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ " ^{٧٩} .
(الأحزاب، ٣٣: ٣٣)

وعن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ " إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ " (الأحزاب، ٣٣: ٣٣) فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ وَعَلِيٌّ خَلَفَ ظَهْرَهُ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا» قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتِ عَلَيَّ مَكَانِكِ وَأَنْتِ إِلَيَّ خَيْرٍ»^{٨٠} .

ويقول ﷺ في حق السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها:

إِنَّا أَنْعَمْنَا بِكَ الْكَوْتَرُ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْزَرِ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْآبَتَرُ ﴿٣﴾ (الكوثر، ١: ٣)

قال الفخر الرازي:

"القول الثالث: الكوثر أولاده قالوا: لأن هذه السورة إنما نزلت رداً على من عابه عليه السلام بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلاً يبقون على مر الزمان، فانظر كم قُتل من أهل البيت، ثم العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم"^{٨١} .

وفي حق سيدنا علي كرم الله وجهه، يقول الله ﷻ:

إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

٧٩ رواه مسلم، ٢٤٢٤، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ.

٨٠ رواه الترمذي، ٣٧٨٧، كتاب المناقب، باب أهل بيت النبي ﷺ.

٨١ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ٤٣٣/١٣.

رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾

(المائدة، ٥: ٥٥-٥٦)

قال الفخر الرازي:

في قوله ﷺ "وَالَّذِينَ آمَنُوا" قولان: الأول: أن المراد عامة المؤمنين، ... القول الثاني: أن المراد من هذه الآية شخص معين، وعلى هذا ففيه أقوال: روى عكرمة أن هذه الآية نزلت في أبي بكر ﷺ. والثاني: روى عطاء عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام. روي أن عبدالله بن سلام قال: لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله أنا رأيت علياً تصدق بخاتمه على محتاج وهو راعع، فنحن نتولاه. وروي عن أبي ذر ﷺ أنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ يوماً صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم أشهد أنني سألت في مسجد الرسول ﷺ فما أعطاني أحد شيئاً، وعلي عليه السلام كان راععاً، فأوماً إليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمراى النبي ﷺ "٨٢".

وعن أبي الطفيل ﷺ قال رسول الله ﷺ:

«من كنت مولاه فإن هذا مولاه - يعني علياً - ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^{٨٣}.

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال رسول الله ﷺ لعلي كرم الله وجهه:

«ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبيّ بعدي»^{٨٤}.

٨٢ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ٤/ ٣٨٣.

٨٣ متواتر. رواه ابن حبان، ١٥/ ٣٧٦، وأحمد في المسند، ٤/ ٣٧٠، والنسائي في الخصائص، ٩٣، ورواه أحمد (عن اثني عشر رجلاً من الصحابة)، ١/ ١١٩، ولذلك هو من الأحاديث المتواترة، كما نص على ذلك عدة من الحفاظ منهم الذهبي في سير أعلام النبلاء، ٨/ ٣٣٥.

٨٤ رواه البخاري، ٤٤١٦، كتاب المغازي. ومسلم، ٤٤١٦، كتاب فضائل الصحابة.

ويقول الله ﷺ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٦٦﴾ (البقرة، ٢: ٢٠٧)

قال الفخر الرازي: "في سبب النزول روايات ... والرواية الثالثة: نزلت في علي بن ابي طالب، بات على فراش رسول الله ﷺ ليلة خروجه إلى الغار" ^{٨٥}.

وقال سيدنا رسول الله ﷺ في الحسن والحسين رضي الله عنهما:
«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» ^{٨٦}.

وبالنسبة للحسن والحسين رضي الله عنهما فقد اعتبرا "إينا" رسول الله ﷺ في آية المباهلة المذكورة فيما سبق (آل عمران، ٣: ٦١) وهذا لا يتناقض مع كلام الله ﷻ (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ^{٨٧} وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا^{٨٨}) (الأحزاب، ٣٣: ٤٠) لأنهما لم يكونا الحسن والحسين رجال (بل طفلين) في تلك اللحظة والآية الشريفة تحدد "رِجَالِكُمْ".

(ب) وأما بالنسبة لأهل بيت رسول الله ﷺ بمن فيهم زوجاته، فقد كرم الله ﷻ أهل بيت رسول الله ﷺ بذكرهم في كتابه العزيز، فقال الله ﷻ:

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا لَّحْنُ نَزْرُقُكَ^{٨٩} وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى^{٩٠} (طه، ٢٠: ١٣٢)

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ^{٩١} وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ^{٩٢} (آل عمران، ٣: ١٢١)

٨٥ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ٢/ ٣٥٠.

٨٦ رواه أحمد في مسنده، ٣٩١/٥، والترمذي، ٣٧٦٨، كتاب المناقب، وقال: "حسن صحيح" باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما. والحديث متواتر عند المحدثين.

وذكر الله ﷺ أنه يريد أن يُذهب الرجس عن أهل بيت رسول الله ﷺ.

فقال ﷺ:

وَقَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَنَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۗ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ
الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٣٣)

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ:

«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^{٨٧}.

وعن أبي جحيفة قال: قلت لعلي بن ابي طالب هل عندكم كتاب؟

قال: لا، إلا كتاب الله أو فهم أعطه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة، قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر^{٨٨}.

العقل: تعويض مالي مقدر شرعاً مقابل قتل أو جرح.

وقال أبو بكر الصديق ﷺ: «ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ»^{٨٩}.

ويقول بعض العلماء إن أزواجه ﷺ لسنن من أهل البيت، وقد أثبت

القرآن الكريم أنهن من أهل البيت، قال الله ﷻ في زوجة إبراهيم ﷺ:

قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۗ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٣٤﴾

(هود، ١١: ٧٣)

٨٧ رواه الترمذي، ٣٧٨٨، كتاب المناقب، باب أهل بيت النبي ﷺ. وهو في صحيح مسلم بلفظ قريب منه، ٢٤٠٨، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

٨٨ رواه البخاري، ١١١، كتاب العلم، باب كتابة العلم.

٨٩ رواه البخاري، ٣٧١٣، كتاب المناقب، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ.

وعلى آية حال فقد خصَّ اللهُ ﷺ زوجات رسول الله ﷺ بأن جعلهن أمهات للمؤمنين، قال اللهُ ﷻ:

الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦٠﴾ (الأحزاب: ٣٣: ٦٠)

يَنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسَنُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٦١﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٦٢﴾ (الأحزاب: ٣٣-٣٤: ٦٢)

(ج) وأما بالنسبة لأقرب الصحابة إلى رسول الله ﷺ (ومنهم زيد وأبو بكر ﷺ)، فيقول اللهُ ﷻ في زيد بن حارثة ﷺ (وهو الصحابي الوحيد المذكور في القرآن الكريم باسمه، وهو الذي أنعم اللهُ ورسوله عليه):

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴿٦٧﴾ (الأحزاب: ٣٧: ٦٧)

وعن عائشة رضي اللهُ عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم رسول الله ﷺ ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله ﷺ^{٩٠}.

٩٠ رواه البخاري، ٦٧٨٨، كتاب الحدود، ومسلم، ١٦٨٨، كتاب الحدود.

وخصَّ اللهُ ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه في معية الله وصحبة رسوله ﷺ في

الآية الكريمة التالية:

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ (التوبة، ٤٠: ٤٠)

(د) وأما بالنسبة للصحابة الذين هم " مع " رسول الله ﷺ، فيقول الله ﷻ:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۗ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۗ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَعٍ أَخْرَجَ سَطَنَهُ ففَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ (الفتح، ٤٨: ٢٩)

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۗ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٠﴾ (آل عمران، ٣٠: ١١٠)

(هـ) وأما بالنسبة للمهاجرين والأنصار، فيقول الله ﷻ:

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْقَدِّمِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ (التوبة، ٩: ١٠٠)

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ
مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾

(التوبة، ٩: ١١٧)

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ
الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٥﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا
وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ (الأضال، ٨: ٧٤-٧٥)

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ
وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا
وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ
رَّحِيمٌ ﴿٨٢﴾ (الحشر، ٥٩: ١١٠-٨١)

(و) وأما بالنسبة لقريش بشكل عام، فيقول الله ﷻ:

لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾
الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ (قريش، ١٠٦: ٤-١)

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢٦﴾ (الشعراء، ٢٦: ٢١٤)

(ز) وأما بالنسبة للعرب بشكل عام، فيقول الله ﷻ:

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ

وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ^ع أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ هُمْ ^ع سَيَدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ^ع إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾

(التوبة، ٩: ٩٩)

ولا يفوتنا أن نذكر هنا بأن القرآن الكريم أنزل بلغة العرب^{٩١}.

(ح) وأما بالنسبة للمؤمنين جميعاً فسيأتي ما ورد فيهم في القرآن الكريم في فصل لاحق خاص إن شاء الله ﷻ.

والخلاصة هي أن القرآن الكريم أوجب حب أهل بيت رسول الله ﷺ وقرابته حسب الدرجات المتفاوتة التي ذكرناها آنفاً، فهذا الحب لذوي قربي رسول الله ﷺ واجب على كل من يحب رسول الله ﷺ، وبالتالي هو واجب على كل من يحب الله ﷻ.

ولهذا فإن الصلاة على أهل بيت رسول الله ﷺ جزء لا يتجزأ من صلاة المسلم:

فعن كعب بن عجرة سأل الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»^{٩٢}.

٩١ انظر إلى: النحل، ١٦: ١٠٣؛ طه، ٢٠: ١١٣؛ الزمر، ٣٩: ٢٨؛ فصلت، ٤١: ٤٣؛

الشورى، ٤٢: ٧؛ الزخرف، ٤٣: ٤٣؛ الأحقاف، ٤٦: ١٢.

٩٢ رواه البخاري، ٣٣٧٠، كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم، ٤٠٦، كتاب الصلاة.

١٥. الباب الثالث؛ الفصل الرابع:

أثر حب الله ﷻ على الإنسان

هل يظهر أثر الإيمان بالله على عباده؟ نعم، لأن الإيمان بالله رحمة من الله ٩٣. يقول الله ﷻ:

فَأَنْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ سُحِّيَ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِنَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُعْجِزٌ الْمَوْتَىٰ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ (الروم، ٣٠: ٥٠)

هذه هي الآية الوحيدة التي ذكر الله ﷻ فيها "آثار رحمته"، ويلاحظ أن الله ﷻ ذكر كلمة "فَأَنْظُرْ": وهذا يعني أن أثر رحمة الله سيُرى بإذن الله. وإضافة إلى ذلك فإن الله ﷻ وصف الإيمان المخلص به بكلمة "صِبْغَةً". يقول الله ﷻ:

قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنِ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا
فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٠٩﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ
أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۗ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١١٠﴾ (البقرة، ٢: ١٣٦-١٣٨)

٩٣ الإيمان رحمة من الله، لأنه لا يؤمن أحد إلا بإذن الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَجَعَلَ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾ (يونس، ١٠: ١٠٠)
وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةَ ۖ وَكَلَّمَهُمُ الْتَوَاتُ ۖ وَخَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
وَلٰكِن كَرِهَهُمْ لِيُجٰهَلُوۡا ﴿١١١﴾ (الأنعام، ٦: ١١١)

إِن هٰذِهِ تَذٰكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيْلًا ﴿١١٢﴾ وَمَا تَشَاءُوۡنَ اِلَّا اَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ ۗ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلِيْمًا حَكِيْمًا
﴿١١٣﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ وَالظَّٰلِمِيۡنَ اَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا اَلِيْمًا ﴿١١٤﴾ (الإنسان، ٧٦: ٢٩-٣١)

وجاء في تفسر الجلالين: " (صِبْغَةَ اللَّهِ) مصدر مؤكّد لـ (ءَامَنَّا) ونصبه بفعل مقدر، أي صبغنا الله، والمراد بها دينه الذي فطر الناس عليه لظهور أثره على صاحبه، كالصبغ في الثوب" ٩٤.

ووصف الله ﷻ في القرآن الكريم علامات وسمات وحالة المؤمنين وصفاً دقيقاً وجميلاً في عدة آيات. يقول الله ﷻ:

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَسَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ (المؤمنون، ٢٣: ١-١١)

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَابَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٢٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ لَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَاتِ وَهُمْ هَاهَا سَابِقُونَ ﴿٣١﴾ وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۗ وَلَدَيْنَا مَكْتَبٌ بِالْحَقِّ ۗ وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ ﴿٣٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلٌ ۗ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴿٣٣﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٥٧-٦٣)

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ شَعِيرَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٤﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنفِعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلُوهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٥﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَسْكَاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِنَّهُمْ كَرِهُوا لَّهُ وَإِذْ فَاهَهُمْ أَشْرَكُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢٥﴾ (الحج، ٢٢: ٣٢-٣٥)

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢٧﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٨﴾

(الأفعال، ٨: ٢-٤)

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

﴿٢٩﴾ (التوبة، ٩: ٧٢)

هل كل مؤمن يُحب الله؟ وبالتالي هل علامات وسمات الإيمان هي نفس علامات وسمات حب الله للعبد وعلامات وسمات حب العبد لله؟ يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٣١﴾ (مريم، ١٩: ٩٦)

هذه الآية الكريمة تدل على أن كل مؤمن يعمل صالحاً له شيء من الحب، وهو "الود". وهذا يعني أن علامات وسمات الإيمان المخلص تدل أيضاً على أثر شيء من حب الله للعبد وحب العبد لله. لكن يبدو أن الحب الخالص لله ﷻ يقتضي شيئاً أكثر من الإيمان والعمل الصالح وحدهما. يقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ٣١)

في هذه الآية الكريمة يخاطب الله ﷻ المؤمنين^{٩٥} بكلمة "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ

٩٥ الآيات التي قبل هذه الآية الكريمة تدل على أن الخطاب في هذه الآية (آل عمران، ٣:

٣١) هو خطاب للمؤمنين بشكل خاص. يقول الله ﷻ:

الله ، فهذا يعني أنه ربما لا يصل المؤمنون إلى حب الله بشكل تام بمجرد إيمانهم: فكلمة **"إن"** تعني هنا احتمالين، إما أن تكون حالة ما، وإما أن لا تكون تلك الحالة. ولكن كما رأينا سابقاً هذا لا يعني أن المؤمنين ليس لديهم حبٌ لله أصلاً، فهم لديهم حبٌ لله ﷻ ولكن لم يصلوا في البداية بعد إلى الدرجات العليا الكاملة من الحب. وإنما من خلال اتباعهم لرسول الله ﷺ فإن حبهم لله يزداد ويزداد إلى أن يحبهم الله. فوصف الله ﷻ رجاء^{٩٦} رسول الله ﷺ بأنه **"أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ"** للمؤمنين في الآية الكريمة التالية:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢١)

ويؤكد كل ما ذكرناه سابقاً الحديث القدسي المشهور ("حديث

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ^١ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢١﴾ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوا يَعْلمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمْعِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^٢ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٢﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ^٣ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٣﴾ (آل عمران، ٣: ٢٨-٣٠)

ويؤكد الفخر الرازي أن هذا الخطاب في هذه الآيات للمؤمنين، حيث يقول: "إنه تعالى لما ذكر ما يجب أن يكون المؤمن عليه في تعظيم الله تعالى، ذكر بعده ما يجب أن يكون المؤمن عليه في المعاملة مع الناس ولفظ العباد في القرآن، قال تعالى **(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا)** (الفرقان، ٢٥: ٢٦)"، وقال تعالى: **(عَبِيدًا يَتَرَبَّطُ بَهَا عِبَادُ اللَّهِ)** (الإنسان، ٧٦: ٦٦) فكان المعنى: أنه لما ذكر وعيد الكفار والفساق ذكر وعد أهل الطاعة فقال: والله رؤوف بالعباد، أي كما هو منتقم من الفساق فهو رؤوف بالمطيعين والمحسنين". (فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، المجلد: ٣، ص ١٩١-١٩٧).

٩٦ والرجاء نوع من أنواع الحب كما سنرى لاحقاً إن شاء الله في حديثنا عن "أنواع الحب".

النوافل ") حيث بيّن هذا الحديث القدسي أن حب العبد لله وحب الله للعبد يزداد تدريجياً:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:

«إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأن أكره مساءته»^{٩٧}.



ذكر الله في القرآن الكريم صفات الذين يُحبهم ويحبونه حباً كاملاً وصفاً دقيقاً في قوله ﷻ:

يَتَّيِبُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۗ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة: ٥٤)

يلاحظ في هذه الآية الكريمة أنه يوجد أربع صفات للذين " يُحِبُّهُمْ

وَيُحِبُّونَهُ " وهي:

(أ) " أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ " ،

(ب) " أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ " ،

٩٧ رواه البخاري، رقم ٥٦٠٢، كتاب الرقاق، باب التواضع.

(ج) "مُجْتَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" ،

(د) "وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ" .

(١) أما بالنسبة للوصف الأول "أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" ، فإن الله يبين معنى وأهمية هذه الخصلة النبيلة في آيات أخرى (وبالتالي من خلال "التفسير بالتفسير"). فإن من التذلل للمؤمنين الرحمة لهم، ومعية رسول الله في السجود لله، وابتغاء رضوان الله، بحيث يصبح كالزرع الذي يؤتي ثماره:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ^ع وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ^ط تَرْتَهُمُ رُكْعًا سَجْدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ^ط سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ^ع ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ^ع وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْرَجٍ أَخْرَجَ شَطَنَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ^ط وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ^ط (الفتح، ٤٨: ٢٩)

ومن التذلل للمؤمنين أيضاً إثارة المؤمنين على النفس وعلى الحاجات.

يقول الله ﷻ:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ^ط سَحِيبُونَ ^ط مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُوا فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ ^ط عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ^ط وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ^ط (الحشر، ٥٩: ٩)

وهذا الإيثارة يجعل المؤمن راضياً بنصيبه بغض النظر عن نصيب

الآخرين. يقول الله ﷻ:

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ^ط (التوبة، ٩: ٥٩)

وهذا الإيثار يجعل المؤمن قادراً أيضاً على إيتاء " **الْمَالِ عَلَىٰ حُبِّهِ** " ٩٨.

يقول الله ﷻ:

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبَانَ السَّبِيلِ وَالسَّابِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى
الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ
الْبَأْسِ **أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** (البقرة، ١٧٧)

فهذا يؤدي إلى البرّ كله ٩٩، لأن البرّ يتطلب التقوى والإنفاق مما نحبه.

٩٨ قال فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير: "التقدير: وآتي المال على حب المال، قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما: وهو أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح، تأمل الغنى، وتحشى الفقر، ولا تُمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا...". (فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد: ٢، ص ٢١٥).

٩٩ ذكر الله ﷻ في سورة الواقعة أصحاب اليمين والمقربين ووصف المقربين بأنهم يشربون من كأس من معين، ولم يصف أصحاب اليمين بذلك فقال: **يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكُؤُوسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾** (الواقعة، ٥٦: ١٧-١٨).

أما في سورة المطففين فقد ذكر الله الأبرار والمقربين ووصف الأبرار بأنهم يشربون من عين من تسنيم، والتسنيم هو شراب المقربين في الجنة. وأما الأبرار فوصفهم الله في هذه السورة بأنهم يُسَقُونَ من رحيق مختوم ممزوج - أي مخلوط - من تسنيم، وليس تسنيماً صرفاً. قال الله ﷻ:

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٧﴾ وَمَا أَزْكَوٰهُ مَا عُلِّيُّونَ ﴿١٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿١٩﴾ يَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢١﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يُنظَرُونَ ﴿٢٢﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٣﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٤﴾ حِثْمُهُمْ سِكِّينٌ ﴿٢٥﴾ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَرْآجُهُمْ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يُنْزَعُ بِهَا الْمُتَقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ (المطففين، ٨٣: ١٨-٢٨).

يقول الله ﷻ:

... وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ... (البقرة، ٢: ١٨٩)

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

(آل عمران، ٣: ٩٢)

فَمِنْ حُبِّ اللَّهِ ﷻ - وبالتالي من التذلل للمؤمنين - إيثارهم على النفس وإعطاؤهم وتفضيلهم وتكريمهم بالمال وبالنية، لأن الله ﷻ كما ذكرنا آنفاً يقول:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخْذُونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ

شَخَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠١﴾ (الحشر، ٥٩: ٩٠)

فهذا يُفسر أيضاً لماذا يأتي مع حب الله ﷻ الرفق بالناس.

عن جرير بن عبد الله قال رسول الله ﷺ:

«إذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق»^{١٠٠}.

وفي هذه الحالة فإن الله ﷻ يُحب العبد ويجعل لعبده الذي يُحبه قبولاً عند سائر الناس.

فإنه يتبين لنا من هذه الآيات أن هناك ثلاثة أصناف من أهل الجنة وهم: "أصحاب اليمين"، و"الأبرار"، و"المقربون"، وأعلامهم درجة هم "المقربون"، وأدناهم "أصحاب اليمين"، والأبرار أدنى من المقربين وأعلى من أصحاب اليمين، أي أنهم بين الدرجتين. فأما بالنسبة للذين قال الله ﷻ فيهم "مُحِبِّهِمْ وَمُحِبُّونَهُمْ" فقد نالوا البر كله كما ذكرنا أعلاه، فهذا يعني أنهم على الأقل من الأبرار وأعلى من أصحاب اليمين. وسنبحث في نهاية هذا الفصل إن شاء الله ﷻ قضية هل الذين قال الله ﷻ فيهم "مُحِبِّهِمْ وَمُحِبُّونَهُمْ" من المقربين، وبالتالي هل هم من أولياء الله الصالحين؟

١٠٠ رواه الطبراني ورجاله ثقات، كما قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد رقم ١٨/٨.

الحب في القرآن الكريم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه، فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض»^{١١}.

(ب) وأما وصف "أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ"، فإن الله جل جلاله بين معناه أيضاً في الآية الكريمة:

حُمِدَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَعٍ أَخْرَجَ شَطْفَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢١﴾ (الفتح، ٤٨: ٢٩)

كما بين الله جل جلاله الغلظة التي تقتضيها العزة على الكافرين. يقول الله جل جلاله:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَتَلُوتُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً عظيمة وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٢﴾ (التوبة، ٩: ١٢٣)

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ عظيمة وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ عظيمة وَبئسَ عظيمة الْمَصِيرُ ﴿٩١﴾ (التحریم، ٦٦: ٩)

(ج) وأما بالنسبة لوصف "مُجْتَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"، فإن الله ذكر الجهاد في آيات كثيرة.

١٠١ رواه البخاري، رقم ٦٠٤٠، كتاب الأدب.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۗ فَمَا مَتَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ

(التوبة: ٩، ٣٨)

وقد بيّن الله علاقة الجهاد بالحب بصورة واضحة في الآيات الكريمة
التالية: يقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا
وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ
فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٣٨﴾

(التوبة: ٩، ٢٤)

لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ
حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿٣٩﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلْتَ لِيُحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أُجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا
وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٤٠﴾ (التوبة، ٩: ٩١-٩٢)

في الآية الأولى نرى حب كل شيء في الدنيا مقابل حب الله ورسوله
ﷺ والجهاد في سبيل الله ﷻ. أما في الآيات المقتبسة بعدها، يذكر الله ﷻ
الصحابة الذين منعهم الفقر من أن يجدوا دواً يركبونها ليحاربوا وقد بكوا
من شدة محبتهم لله ولرسوله ﷺ وللجهاد في سبيل الله ﷻ. ومن خلال
الإعجاز القرآني تبين بعبارات موجزة بليغة أن القرآن الكريم أوضح في
قوله ﷻ: "أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ" و"تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" بعض صفات
الحب: حب الله ﷻ الذي يتجلى في الجهاد في سبيل الله ومعارضة ما يعارض

الله ﷻ. ولكن لا يفوتنا أن نذكر أن الجهاد نوعان: الجهاد بالقرآن الكريم^{١٠٢} جهاد النفس وهو الجهاد الأكبر^{١٠٣}، والجهاد ضد المعتدين من الكافرين وهو الجهاد الأصغر:

فَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَجَنَّهُدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ (القرآن، ٥٢: ٥٢)

فهذا يعني أن وصف "مُجْتَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" يتضمّن معنى الجهاد المستمر لإصلاح النفس، وبينما يكون الجهاد ضد الكافرين في أوقات معينة تحت ظروف معينة، الجهاد لإصلاح النفس لا حد له ولا نهاية حتى الموت، فلا يتوقّف ولا ينقطع لحظة واحدة في الحياة. فالله ﷻ حذر من ترك هذا الجهاد. يقول الله ﷻ:

وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٥٣﴾ (الزخرف، ٤٣: ٣٦) ^{١٠٤}

١٠٢ قال الطبري: "ولكن جاهدكم بهذا القرآن جهاداً كبيراً". (الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٩٨/٩).

وقال ابن كثير في تفسيره: "وجاهدكم به، يعني بالقرآن، قاله ابن عباس رضي الله عنهما" (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص ١٣٦٠).

١٠٣ عن جابر رضي الله عنه قال: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ غَزَاةٍ لَهُ فَقَالَ لَهُم:

«قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، قَدِمْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ»، قَالُوا: وَمَا الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مُجَاهِدَةُ الْعَبْدِ هَوَاهُ». (رواه البيهقي وقال: وهذا فيه ضعف وذلك في كتاب الزهد الكبير، ص ١٦٥، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ٥٢٣/١٣).

وعن فضالة بن عبيد قال رسول الله ﷺ: «المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ». رواه الترمذي (١٦٢١) في كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل من مات مرابطاً، وقال: وحديث فضالة حديث حسن صحيح. وابن حبان في صحيحه (٤٨٤/١٠) وغيرهما.

١٠٤ من الجدير بالذكر أن الله ﷻ يحمي المؤمن الذي يحبه ويجاهد في سبيله من الدنيا بالرغم من خطورة جهاده. فعن قتادة بن النعمان قال رسول الله ﷺ:

«إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا مَاهَمَ الدُّنْيَا كَمَا يَظَلُّ أَحَدَكُمْ يَحْمِي سَقِيمَةَ الْمَاءِ». (رواه الترمذي وحسنه، رقم ٢٠٣٦، كتاب الطب).

(د) وأما بالنسبة لوصف "وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ^ع" ، فهي تدل على الإخلاص لله ﷻ وعدم الالتفات إلى ما دون الله ﷻ. فيقول الله ﷻ:

وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ^ط مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ

(الأنعام: ٥٢) ﷻ

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ^ط وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا^ط وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا^ط

(الكهف: ١٨، ٢٨) ﷻ

فهذا هو حال المخلصين الذين لا يلتفتون لغير الله ﷻ: يدعون الله بالغدو والآصال، ويذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم. يقول الله ﷻ:

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا^ط سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ^ط

(آل عمران: ٣، ١٩١) ﷻ

ولهذا فإن رسول الله ﷺ وصف حال المخلصين الذين ... "لَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ^ع" بقوله ﷺ:

«أكثرُوا ذِكْرَ اللَّهِ حَتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ»^{١٠٦}.

فهذا هو حال الذين يُحبهم الله ويحبونه، فهم: "أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ مُجْتَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ^ع". وهم المؤمنون الأبرار الذين يتواضعون ويتذللون للمؤمنين ويعتزون بإيمانهم أمام الكافرين،

١٠٥ يقول الله ﷻ أيضاً: "فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ^ع فَإِذَا أطمأننتم فأقيموا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْفُوعًا^ط" (النساء: ٤، ١٠٣)

١٠٦ رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري، مجلد: ٣، ص ٩٩.

الحب في القرآن الكريم

ويجاهدون جهاداً مستمراً ضد النفس بإخلاص ولا يلتفتون إلى ما دون الله^{١٧}. وبالإمكان أن نعرفهم من خلال هذه الصفات. لأن الله ﷻ قال: "... سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ ...".



قال الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ؕ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ؕ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ؕ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة: ٥٤)

وفي الخلاصة فإنه يوجد في الأوصاف الأربعة المذكورة في الآية الكريمة خلاصة دقيقة عن كل ما يمكن أن يقال في الذين يحبهم الله ويحبونه كما ذكرنا سابقاً. ويوجد في هذه الآية أيضاً مُجمل ما قاله الله ﷻ في القرآن الكريم في الذين يحبهم الله ويحبونه كما رأينا في حديثنا هذا كله. وهذه الأوصاف لا بد لها من أن تظهر كخصال يمكن تمييزها لأنهم مستغرقون في حب الله ﷻ، فحتماً ستكون هذه الخصال ظاهرة متجلية.



١٧ وهذا وصف رسول الله ﷺ حلاوة الإيمان بقوله فيما رواه أنس بن مالك ؓ قال رسول الله ﷺ:

«ثلاث من كُنْ فيه وجد حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا الله عز وجل، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النار». (رواه البخاري، رقم ٢١، كتاب الإيمان).

مسألة: هل الذين قال الله ﷻ فيهم " ... تُحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ ... " يعتبرون من أولياء الله؟ فإن كان الجواب نعم، فما الدليل على ذلك؟
وصف الله ﷻ أولياءه في قوله ﷻ:

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٣٧﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣٨﴾ وَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٩﴾ (يونس، ١٠: ٦٢-٦٥)

فأولياء الله ﷻ هم الذين " لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " وبالتالي فإن الله ﷻ يقول لرسوله ﷺ: " وَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ". فنفهم من ذلك أن الرسول ﷺ هو سيد أولياء الله الذين لا يحزنون^{١٠٨}، وأنه سيد الذين هم أعزة على الكفار، لأن العزة لله وبالتالي لرسوله: يَقُولُونَ لِنَ رَبِّعَنَّا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ (المنافقون، ٨: ٦٣)

فهذا يعني أنه يوجد تطابق ما بين " أولياء الله " وبين الذين قال الله فيهم ﷻ " ... تُحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ ... ": فكلاهما لا يخافون وكلاهما أعزة على الكافرين بعزة الله ﷻ. وإضافة إلى ذلك فإن الله ﷻ ذكر تعريفاً آخر لأوليائه

١٠٨ عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ:

«أنا سيد الناس يوم القيامة...» (رواه البخاري، رقم ٤٧١٢، كتاب تفسير القرآن، باب ذرية من حملنا مع نوح، ورواه مسلم، رقم ١٩٤، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزله فيها). وفي رواية أخرى:

«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر... آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر». (مسند أحمد، ١/ ٢٨١، وصحيح ابن حبان، ١٤/ ٣٩٨).

بقوله ﷺ:

قُلْ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٢﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾

(الجمعة، ٦٢: ٦-٧)

فهاتان الآيتان تدلان على أن ولي الله هو من يتمنى الموت^{١٠٩}، لأنه مطمئن لأعماله. ويبيّن الله ﷺ في هذا التعريف حالة أوليائه (وحالة من هم

١٠٩ هنالك شيء في الإنسان يستطيع أن يتمنى الموت صدقاً. يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ (آل عمران، ٣: ١٤٣)

وهناك مثل واقعي لهذا في سيرة رسول الله ﷺ في قصة عمير ابن الحمام الأنصاري:

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال ... [في بداية معركة أحد]:

«قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»، قال عمير ابن الحمام الأنصاري يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم»، قال: يخ، يخ، فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك يخ يخ؟» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها»، فأخرج تمرات من قرّبه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى أكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان من التمر ثم قاتلهم حتى قتل». (رواه مسلم، رقم ١٩٠١، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد).

لكن جاء في حديث آخر أنه يوجد في الإنسان شيء آخر يكره الموت:

قال رسول الله ﷺ:

«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، قيل يا رسول الله: كراهية لقاء الله في كراهية لقاء الموت، فكلنا يكره الموت، قال: «لا، إنما ذلك عند موته إذا بُشر برحمة الله ومغفرته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإذا بُشر بعذاب الله كره لقاء الله وكره الله لقاءه». (رواه مسلم، رقم ٢٦٨٥، كتاب الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله، وهذا لفظ ابن ماجه، رقم ٤٢٦٤، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له).

فتقول ربما يكون في الإنسان عنصران: أحدهما من طبيعته يكره الموت دوماً، والآخر يحب الموت ويتمناه (إذا كان الإنسان من الأولياء الصالحين)، وربما يكون العنصر الأول هو النفس والثاني هو الروح، والله أعلم.

ليسوا بأوليائه) في قوله ﷺ:

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾
وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

١١٠
(البقرة، ٢: ٩٤-٩٦)

وكذلك بين الله ﷻ حالة الإخلاص عند بعض عباده، إذ ينتظر الموت من غير تأثير إذ قال الله ﷻ:

مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ۖ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢٣)

فهذا هو حال أولياء الله يفضلون لقاء الله ﷻ والآخرة على الدنيا بسبب إيمانهم وأعمالهم ولا يبدلون عن ذلك تبديلاً. وهذا الوصف ربما ينطبق على بعض الذين قال الله ﷻ فيهم " ... نَحْبُهُمْ وَنُحْبُونَهُ ... "، لأنه جاء في الحديث الشريف عن عبادة بن الصامت قال رسول الله ﷺ: «(من أحب لقاء الله أحب لقاءه، ومن كره لقاء الله كره لقاءه)»^{١١١}.

١١٠ وربما يكون في الآيات الكريمة التالية إشارة أيضاً إلى الأولياء:

فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَمْشُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ (النساء، ٤: ٧٤)

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ (التوبة، ٩: ١١١)

١١١ رواه البخاري، رقم ٦٥٠٧، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله عز وجل، ورواه مسلم، رقم ٢٦٨٣، كتاب الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله.

الحب في القرآن الكريم

فخلاصة القول هنا هو أنه إن لم يكن التطابق كاملاً بين أولياء الله ومن
قال فيهم " ... تَحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ ... " ، فإن درجة الحب التي وصفها الله بكلمته
" ... تَحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ ... " هي درجة قريبة من درجة أولياء الله الصالحين، والله
أعلم.



الحب العائلي

وصَفَ اللهُ ﷻ وحدد ونظَّم العلاقات والحقوق العائلية^{١١٢} والحب العائلي بين الأقارب في آيات كثيرة من القرآن الكريم. وكل هذه العلاقات والحقوق والحب يمكن أن توصف بمبدءٍ عام واحد وهو "الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى":

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾

(الشورى، ٤٢: ٢٣)

وسبب هذا المبدأ - والله أعلم - هو أنَّ "أَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ

بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ":

النَّبِيِّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۗ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ

١١٢ ومن الجدير بالذكر أن الله ﷻ جعل تشريعاً للـ "الأهل":

وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَن يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن فَتْيَتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَاذْكُرُوهُنَّ بِذَنِّ أَهْلِيهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفَحَاتٍ وَلَا مُتَّخَذَاتِ أَخْدَانٍ ۗ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ لِهِنَّ أَهْلَهُنَّ فَانكِحُوهُنَّ بِحَيْثُ شِئْتُمُنَّ ۗ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي زِينَتِكُمْ وَالْمُهَاجِرَاتِ الَّتِي أَهْلَيْتُمْ لَهَا مِن قَبْلُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٥﴾

(النساء، ٤: ٢٥)

وإنَّ حِفْظَهُ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتَغُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٥﴾ (النساء، ٤: ٣٥)

كما أن الله ﷻ أشار إلى حقوق القريب بشكل عام:

وَأَتَتْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٦-٢٧)

أُولِيَابِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكِ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب: ٣٣)

وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ

بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ (الأنفال: ٨٠: ٧٥)

لكن جعل الله ﷻ القرابة في الأرحام درجات مختلفة، وحدد وكرّم هذه

الدرجات بتسميتهم في الآيات الكريمة التالية:

وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً

وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٥﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ

وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ

الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنَ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم

بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ

أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا

رَحِيمًا ﴿٣٧﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَتَّبِعُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِينَ غَيْرِ مُسْفِحِينَ ﴿٣٨﴾ فَمَا

أَسْتَمَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَتَاوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ

مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٩﴾ (النساء: ٤٤: ٢٢-٢٤)

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَمُحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا

ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ

ءَابَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي

إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِينَ غَيْرَ أُولَىٰ

الْإِرْتَبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ

بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ۗ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ

تَفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ (النور، ٢٤: ٣١)

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَلَائِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۗ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۗ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً ۗ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ (النور، ٢٤: ٦١)

و أعطى الله ﷺ حقوقاً لمن كانوا في درجة مطلق القرابة:

لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۗ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٧﴾ (البقرة، ١٧٧)

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۗ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَاللَّذِينَ الْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٣٨﴾ (البقرة، ٢: ٢١٥)

وَءَاتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ۗ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أَتِيغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٤١﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٦-٢٨)

أما بالنسبة للأقارب الأقربين، فالله ﷻ ثبَّت ووطَّد حتى قرابة النسب

والمصاهرة:

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَنَاتًا فَجَعَلَهُنَّ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ (الفرقان، ٢٥: ٥٤)

فالتزوج - الذي هو أصل وسبب قرابة النسب والمصاهرة - يجعل بنين وحنفدة، وبالتالي درجة مباشرة من القربى:

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ۖ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَحَفَدَةً ۗ وَرَزَقَكُمْ

مِنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ (النحل، ١٦: ٧٢)

وخصَّ اللهُ ﷻ الأولاد - الذكور منهم والإناث - بالذكر في القرآن

الكريم، وأكد أنهم هبة منه:

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إُنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ

الذَّكَورَ ﴿٥١﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا ۗ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٢﴾

(الشورى، ٤٢: ٤٩-٥٠)

وبطبيعة الحال جعل للأولاد حقوقاً على آبائهم:

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَّمَّ الرَّضَاعَةَ ۖ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ

رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا

مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدَيْهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۚ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا

ءَاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٣﴾ (البقرة، ٢: ١١٣)

ومن أجمل أوصاف المحبة المشروعة بين الأولاد والآباء هي كلمة

"طَوْفُوبٌ" في الآية التالية التي تشير إلى الخدمة والمحبة المتبادلة بينهم، ولذة

القرب، والتي تُذكرنا بمحبة الحاج وطوافه حول الكعبة المشرفة وهي بيت الله

العتيق:

١١٣ انظر أيضاً إلى: الأنعام، ٦: ١٤٠؛ الأنعام، ٦: ١٥١؛ الأنفال، ٨: ٣١؛ الممتحنة، ٦٠: ١٢؛

التكوير، ٨١: ٨-٩.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَفِدِّنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّفُوتٍ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ (النور: ٢٤)

يقول ابن كثير في تفسيره، لهذه الآية:

" **طَوَّفُوتٍ** عليكم، أي: في الخدمة وغير ذلك، ويغتفر في الطوافين ما لا يغتفر في غيرهم؛ ولهذا روى الإمام مالك وأحمد بن حنبل وأهل السنن أن رسول الله ﷺ قال في المرة:

«إنها ليست بنجس؛ إنها من الطوافين عليكم والطوافات».»^{١١٤}

وكما خصَّ الله ﷻ الأولاد بالذكر في القرآن الكريم، خصَّ الآباء أيضاً وأمر بتكريمهم:

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۗ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ (النساء: ٤٠)

وَيُنَبِّئُنَا اللَّهُ ﷻ أَنَّ هَذَا التَّخْصِيسَ وَالتَّكْرِيمَ كَانَ موجوداً أيضاً في

التوراة:

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ

١١٤ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص

تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾ (البقرة، ٢: ٨٣)

وعلم الله ﷻ المؤمنين أجمل دعاء للوالدين:

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا فُجْرًا وَلَا تَهْزُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٦﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٣٥﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٣٤﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٣-٢٥)

وفي هذا الدعاء " وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا " يُذَكِّرُ اللهُ ﷻ

المؤمنين برحمة آبائهم عليهم - مهما كان التقصير في الجزئيات - لأن كل إنسان حي إنما يحيى بفضل الله ﷻ ورحمته ثم برحمته من آبائه، لأن كل مولود ما كان ليحيى لولا أن رباه أبواه ورحمأه وهو صغير، بدءاً من أمه التي غذته من جسمها وولده بصعوبة. ولذلك مَيَّزَ اللهُ ﷻ الأم على الأب في الآيات التالية:

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَاتَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿٣١﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۗ وَصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۗ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۗ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ (لقمان، ٣١-١٤: ١٥)

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۗ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۗ وَمَمْلُوءٌ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۗ وَعَدَّ الصَّدَقَاتِ الَّذِينَ كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٩﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ

أَفِ لَكُمْ أَعْدَانِي أَنْ أُحْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعِينَانِ اللَّهَ وَبَلَدَكَ
ءَامِينَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١١٥﴾ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ حَقَّ
عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١١٦﴾

١١٥
(الأحقاف: ٤٦، ١٥-١٨)

و"دعاء بلوغ الأربعين" - وهو سين "أشده" وهذا يعني أن "كمال
قوته وعقله ورأيه" ١١٦ - الذي يجمع فيه بين المحبة والعرفان للآباء والمحبة
والأمل للأولاد، كما ينبغي. والله ﷻ ينبها في آية أخرى على أننا لا ندري
أياً منهم أقرب لنا نفعاً:

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ
ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِمَّنْهَا الشُّدُسُ مِمَّا
تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَوَلِدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَةٌ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ
فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ ؕ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ
أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١٦﴾ (النساء: ٤٠)

فالله ﷻ جعل لكل منهم حقوقاً ومكانة، وجعل أهمية هذه الحقوق
والمكانة مباشرة بعد حقه (بعدم الشرك به)، وفوق أي حق آخر، الأمر الذي

١١٥ ولذلك فقد جاء في الحديث ما يلي:

عن أبي هريرة قال: قال رجل يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة، قال:
«أملك، ثم أملك، ثم أملك، ثم أبوك، ثم أذنك أذنك». (رواه مسلم، ٢٥٤٨، كتاب البر
والصلة، باب بر الوالدين وأنها أحق به). وفي رواية أخرى: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ
فقال يا رسول الله: من أحق الناس بحسن صحابي قال:

«أملك» قال ثم من؟ قال: «ثم أملك» قال ثم من؟ قال: «ثم من؟ قال: «ثم
أبوك». (رواه البخاري، ٥٩٧١، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة).

١١٦ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٦٦٨.

يدل على أهمية حب الوالدين والأولاد عند الله ^{١١٧} ﷺ. يقول الله ﷻ:

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أُمَّلِكُمْ إِنَّكُمْ أَنْفُسَكُمْ مِنْ يَدَيْكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَلَّيْتُ بِهِمْ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ (الأنعام، ٦: ١٥١)



كما أمر الله ﷻ بمحبة الوالدين واحترام حقوقهما، وحذر الله ﷻ مبيئاً أن هذه الحقوق تنتهي عند حقوقه هو ﷻ. وحقه الأول على العبد هو أن لا يُشرك به. فحذر ﷻ المؤمن من خطورة احترام الوالدين إلى درجة أن يُطيعهما في أن يُشرك بالله ﷻ:

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ (العنكبوت، ٢٩: ٨)

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهَا فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿٣١﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ نُرِّمُ إِلَىٰ

^{١١٧} من المُلْفِت أن حب الأقارب حسب درجة قربتهم لنا - إن لم يكن يعني حبهم حسب جاهلهم (الداخلي) الذي يظهره لنا (ظاهرياً على الأقل) بالتأكيد - سيكون حسب معرفتنا نحن بجاهلهم الداخلي، لأننا نعرف الأقرب إلينا بشكل أفضل. وبعبارة أخرى فإننا نحب الجمال والخير حتى في الحب العائلي: فيشكل عام نحن نحب الأقرب إلينا أكثر من غيرهم لأنهم يظهرون لنا الحب والخير بشكل أكبر (أو من المفترض أن يكون ذلك هو الحال بشكل عام).

مَرْجِعُكُمْ فَأَنْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ (لقمان، ٣١: ١٤-١٥)

وبالتالي وضَّحَ اللهُ ﷻ أنه يجب على الإنسان أن يحب الله ﷻ أكثر مما يحب أي شيء آخر في الدنيا حتى الوالدين:

قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤١﴾

(التوبة، ٩: ٢٤)

يَتْلُوهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۗ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلَوْتُمْ أَوْ لَمْ تُتْلَوْا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٤٢﴾ (النساء، ٤: ١٣٥)

وبطبيعة الحال إذا كان الوالدان مشركين فمن الصعب للمؤمن أن يجهما بحبة صادقة بالرغم من أفضالهما عليه:

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۗ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٤٣﴾

(المجادلة، ٥٨: ٢٢)

ولهذا وضَّحَ اللهُ ﷻ أن استغفار إبراهيم عليه السلام الأواه والحليم لأبيه كان من الوفاء وليس من الحب للمشركين:

وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۗ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١٤٤﴾ (التوبة، ٩: ١١٤)



ربما يكون في الاحترام الزائد للوالدين ومحبتهما الزائدة خطر على حق الله ﷻ (بالشرك به)، وربما الخطر الذي يأتي من محبة الأولاد غير ذلك. وربما يأتي الخطر من المحبة الزائدة لهم والتباهي بهم بروح دنيوية:

أَمْالٌ وَالْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴿٤٦﴾ (الكهف، ١٨: ٤٦)

أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ غِيثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ الْغُورِ ﴿٥٧﴾ (الحديد، ٥٧: ٢٠)

ولهذا حذر الله ﷻ من فتنة الأولاد:

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ (الأفال، ٨: ٢٨)

وهذه الفتنة هي نفسها عدو للإنسان تجذبُه إلى الدنيا وهي ضد مصلحته في الآخرة:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ (التغابن، ١٤-١٥)

ولهذا وصَّى الله ﷻ الإنسان أن لا ينسى ذكر الله ﷻ بسبب أولاده:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ (المناقرن، ٦٣: ٩٠)

فالله ﷻ بين وجوب حب الأولاد ولكن ضمن إطار معين وحدود معينة كما رأينا.



فخلاصة الأمر هنا هو أن الله ﷻ جعل حباً طبيعياً مشروعاً ومحموداً بين الإنسان وعائلته - وجعل هذا الحب حسب درجة القُرب - ولكنه ﷻ أكَّد على أنه يجب أن يبقى حب الإنسان لربه أكثر وأقوى من كل الحب العائلي.



حب الآخرين (الناس جميعاً، وأهل الكتاب، والمؤمنين، والأصدقاء)

المطلب الأول: حب الناس جميعاً

لم يقصر الله ﷻ الحب والمحبة بين الناس على الأقارب فقط. بل جعل، من رحمته التي **"وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ"** (الأعراف، ٧: ١٥٦) ، رحمة بل محبة بين الناس جميعاً بدرجات مختلفة وضمن شروط معينة. وربما من أسباب هذا هو أنّ كل إنسان قريب في نهاية المطاف إلى كل إنسان. فكل إنسان من سلالة آدم ﷺ وحواء، وبالتالي كل إنسان "ابن آدم" ^{١١٨}، وهذه درجة قرابة حتى ولو أنها بعيدة. ويُذكرنا الله ﷻ بهذا في القرآن الكريم، ويُندرننا إن لم نتق الله ﷻ في إخواننا وأخواتنا من رحم أمتنا جميعاً حواء:

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا رَقِيبًا

﴿النساء، ٤: ١﴾

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَفْقَهُونَ ﴿الأنعام، ٦: ٩٨﴾

ويُذكرنا الله ﷻ أيضاً أننا خُلِقْنَا وتُبِعْت كنفس واحدة نشترك في الختام وليس في الأصل فقط:

مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿لقمان، ٣١: ٢٨﴾

١١٨ وهذا يعني أيضاً في طبيعة الحال أن كل إنسان هو في الأصل خليفة الله ﷻ على الأرض الذي نفخ الله ﷻ فيه من روحه (كما رأينا سابقاً في فصل "حب الله ﷻ للناس").

ومع أن الله ﷻ خلق مِنَّا شعوباً وقبائل مختلفة، لكننا جميعاً سواسية عند الله ﷻ، والأمر الوحيد الذي يميز بين شخص وآخر هو تقواه:

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٤٩﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٣)

فالاختلاف بين الشعوب والقبائل في أشكالهم وألوانهم حكمة إلهية يجب علينا أن نُقدرها ونُحترمها، ويجب علينا أن نَتَفَكَّرَ فيها:

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتَلَفَ الْأَلْسِنَةَ وَالْوَلَوَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٣٠﴾ (الروم، ٣٠: ٢٢)

ويجب علينا أيضاً أن نُثَمِّنَ وَنُحْتَفِلَ في الفروق بين الناس بشكل عام، وهذا معنى من معاني "لِتَعَارَفُوا"، والله أعلم. وعلى أي حال حَرَّمَ اللهُ ﷻ قتل أي نفس من بني آدم بشكل عام:

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ ... (الإسراء، ١٧: ٣٣)

... وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِمِثْلِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ (الأنعام، ٦: ١٥١)

بل أكثر من ذلك، جعل الله ﷻ قيمة كل البشرية في كل نفس، في إحيائها وفي إِمَاتِهَا:

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٥١﴾ (المائدة، ٥: ٣٢)

وبالتالي فإن الله ﷻ يأمرنا في القران بعدم الاعتداء على أي فرد من الناس. قال الله ﷻ:

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝

(البقرة، ٢: ١٩٠)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا خُلُوعًا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيَّةَ وَلَا ءَامِينَ النَّبِيِّ الْحَرَامَ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِمَّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۗ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۗ وَلَا تَجْرِمْنَكُمْ سَنَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ۗ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۗ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝

(المائدة، ٥: ٢)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُبًا قَوْمِي ۗ لِلَّهِ شُهَدَاءُ بِالْقِسْطِ ۗ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ سَنَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝

(المائدة، ٥: ٨)

حتى أن المسلم لا يُسَمَّح له أن يعتدي على أحد حتى بالكلام أو باللفظ، يقول الله ﷻ:

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ (الهمزة، ١٠٤: ١)

كما لا يجوز للمسلم أن يسبَّ معتقدات أحد، حتى وإن كان مشركاً^{١١٩}، يقول الله ﷻ:

١١٩ ولكن بالطبع هذا لا يعني أن الإسلام دين يقبل الشرك بأي شكل من الأشكال - فهو يرفض ويدحض ذلك تماماً في شهادة الإسلام: لا إله إلا الله - ولكن الله ﷻ يسمح لكل إنسان أن يختار ديانه مجرية، مهما كانت، فيقول الله ﷻ:

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۗ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۗ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ (البقرة، ٢: ٢٥٦)

وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ... (الكهف، ١٨، ٢٩)

فَلْيَتَأْتِيَ الْكُفْرَ ۗ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۗ وَلَا أَتَمُرُ عِبِيدُونَ مَا أَعْبُدُ ۗ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۗ وَلَا أَتَمُرُ عِبِيدُونَ مَا أَعْبُدُ ۗ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝ (الكافرون، ١٠٩: ١-٦)

وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ فَيَكْفُرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٠٨﴾ (الأنعام، ٦: ١٠٨)

بل أكثر من ذلك، فإن الله ﷻ يأمر المسلمين بالقسط لكل بني آدم إلا من يُحَارِبنا ويُدَمِّر مساجدنا ويُخْرِجنا من ديارنا (فهذا مبرر كافٍ لحرب دفاعية عادلة في القرآن الكريم) ١٢٠:

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَهِنُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ (المتحة، ٦٠: ٧-٨)

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُتْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّامْتَقِينَ ﴿٧﴾ (التوبة، ٩: ٧)

وإضافة إلى ذلك، أوصى الله ﷻ بالرحمة والتعاطف و الشعور مع الآخرين بشكل عام ومن غير تحديد بفتنة ما كما في الآية التالية (والتي كان علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام جميعاً سبب نزولها بشكل خاص):

وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٧٦﴾ (الإنسان، ٧٦: ٨)

فَذَرَهُمْ خَوْضًا وَيُلْعَابًا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٧٠﴾ (المارج، ٧٠: ٤٢)

١٢٠ يقول الله ﷻ:

إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٧٠﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٧١﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَبِئْسَ الَّذِي تَصِفُونَ ﴿٧٢﴾ وَمَسْجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٣﴾ (الحج، ٢٢: ٣٨-٤٠)

فيقول الفخر الرازي في تفسيره الكبير:

" المراد من قوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (١٠٠) هو ما رويناه أن علياً عليه السلام أطعم المسكين واليتيم والأسير، وأما الذين يقولون الآية عامة في حق جميع الأبرار [فإنهم] قالوا: إطعام الطعام كناية عن الإحسان إلى المحتاجين والمواساة معهم بأي وجه كان، وإن لم يكن ذلك الطعام بعينه " ١٢١ .

وكأنه تأكيدٌ على ذلك، ذَكَرَ اللهُ ﷻ دعاءً للمؤمنين يتضمن الرحمة حتى للكفار:

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٠١﴾ (الممتحنة، ٦٠: ٥-٦)

فَقَالُوا عَلَىٰ اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠١﴾ (يونس، ١٠: ٨٥)

يقول الله ﷻ:

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۗ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿١٠١﴾ (النساء، ٤: ٣٦)

وقد جاء في تفسير الجلالين أن الجار ذي القربى هو: "القريب منك في الجوار أو النسب"، وأن الجار الجنب هو: "البعيد عنك في الجوار أو النسب" ١٢٢ . فبمعنى آخر، حسب تفسير الجلالين، "الجار" هو كل إنسان على وجه الأرض سواء أكان مسلماً أو كافراً.

١٢١ الإمام الفخر الرازي، التفسير الكبير، مجلد ١٠، ص ٧٤٧.

١٢٢ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ١٠٦.

وكذلك جاء في تفسير القرطبي أن الجار ذي القربى هو الجار: "القريب"،
والجار الجنب هو الجار: "الغريب" ١٢٣، والله أعلم.
وقد أكد رسول الله ﷺ هذا بقوله:

«والذي نفسي بيده لا يؤمن عبداً حتى يجب لجاره أو قال لأخيه ما يجب
لنفسه» ١٢٤.

وكذلك قال رسول الله ﷺ:

«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» ١٢٥.

وكذلك قال رسول الله ﷺ:

«لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ» ١٢٦.

والرحمة لجميع الناس، بغض النظر إن كانوا مسلمين أو مؤمنين أو لا.
فالرحمة تقتضي أن يغفر المسلمون للناس جميعاً بما فيهم الكفار. يقول الله ﷻ:

**قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ** (الجالية، ٤٥: ١٤)

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ

١٢٣ القرطبي، تفسير القرطبي، المجلد ٥، ص ١٧١.

١٢٤ رواه مسلم عن أنس بن مالك ﷺ، رقم ٤٥، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من
خصال الإيمان أن يجب لأخيه المسلم ما يجب لنفسه من الخير. وفي رواية أخرى عن أنس بن
مالك ﷺ قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يجب لأخيه ما يجب لنفسه». رواه
البخاري، رقم ١٣، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يجب لأخيه ما يجب لنفسه.

١٢٥ رواه الترمذي، رقم ١٩٢٤، عن عبد الله بن عمرو، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في
رحمة الناس.

١٢٦ رواه البخاري، في صحيحه، رقم ٧٣٧٦، من حديث جرير بن عبد الله، كتاب التوحيد؛
باب قوله تعالى: قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن.

عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمْ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمَتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ (آل عمران، ٣: ١٥٩)

والمغفرة بدورها تعني الصفح عن الناس. يقول الله ﷻ:

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيَّتُهُ فَاصَّحِ

الْصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٤٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ﴿٤٦﴾ (الحجر، ١٥: ٨٥-٨٦)

فَاصَّحِ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٤٨﴾ (الزخرف، ٤٣: ٨٩)

وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٢﴾ (الشورى، ٤٢، ٤٣)

والصفح من سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فسيدنا يوسف عليه السلام

يقول:

قَالُوا أَءِذَا كُنَّا أَتَى يَؤُسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۚ إِنَّهُ مَن

يَتَّقِي وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ

عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَهُوَ

أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٤٢﴾ (يوسف، ٩٠-٩٢)

وكذلك يقول سيدنا إبراهيم عليه السلام:

رَبِّ إِنِّي أُنزِلَنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۗ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۗ وَمَن عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ (إبراهيم، ١٤: ٣٦)

وكذلك قد صَفَحَ رسول الله ﷺ عن أهل مكة يوم الفتح، فقال:

«ما تقولون وما تظنون؟»، قالوا: نقول ابن أخ وابن عمِّ حليم رحيم، فقال

رسول الله ﷺ: «أقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم

وهو أرحم الراحمين»، قال: فخرجوا كأنما نُشِرُوا من القبور^{١٢٧}.

١٢٧ رواه البيهقي، السنن الكبرى، ١١٨/٩.

والصفح يعني عدم الغضب أيضاً. يقول الله ﷻ:

وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَحَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ
 ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ
 يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ
 فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَحَنَّتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٣٩﴾ (آل عمران: ٣٠-١٣٦)

فَمَا أُوْتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَّعْ حَيٰوةِ الدُّنْيَا ۗ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ
 رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كَثِيرًا أَجْرًا وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ
 ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
 يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا
 فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ
 ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ
 وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ (المورى: ٤٢-٣٦)

لكن الصفح فقط لا يكفي، فالمطلوب من المسلمين أن يردوا على
 الشيء السيئ بالشيء الحسن. قال الله ﷻ:

أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ۗ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٣٦﴾ (المؤمنون: ٢٣-٩٦)
 وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ
 كَأَنَّهُ وَلىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَمَا يُلقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٨﴾

(فصلت: ٤١-٣٥)

وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢٤﴾
 وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
 وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ أَلَسَيِّئَةً أَوْلَيْتُكَ هُمُ عُقَى الدَّارِ ﴿٢٥﴾ جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ
 صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ^ط وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٦﴾
 سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقَى الدَّارِ ﴿٢٧﴾ (الرعد، ١٣: ٢١-٢٤)
 وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ^ط وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿٢٨﴾
 (النحل، ١٦: ١٢٦)
 وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا
 سَلَامًا ﴿٢٩﴾ (الفرقان، ٢٥: ٦٣)

وخلاصة القول هنا هو أن الله ﷻ جعل حقوقاً لكل بني آدم، وفرض الاحترام، وعدم الاعتداء، والقسط، والرحمة، والتعاطف والشعور مع الآخرين، والمغفرة، والصفح، وعدم البُغض، وحتى أن نحسن لمن أساء إلينا وأن ندفع بالتي هي أحسن لكل إنسان مهما كان ومهما كانت ديانته (وحتى إن لم يكن له دين)، طالما لم يحارب المسلمين.

المطلب الثاني: حب أهل الكتاب

أمر الله ﷻ بالقسط والرحمة والتسامح بشكل عام كما أمر بالإحسان لكل جار، قريب أو بعيد، حتى ولو كان هذا الجار من غير ديننا بشكل خاص:

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا^ط وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
 وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا
 مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ^ط إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ (النساء، ٤: ٣٦)

وإن ذكرنا سابقاً أن "الجار" يعني كل إنسان، سواء كان قريباً أم بعيداً،

حسب تفسير القرطبي وتفسير الجلالين، فإنه من الجذير بالذكر أن ابن كثير يقول في تفسيره التالي:

" روي عن عكرمة، ومجاهد، وميمون بن مهران، والضحاك، وزيد بن أسلم، ومقاتل بن حيان، وقتادة. وقال أبو إسحاق عن نوف البكالي في قوله:

﴿ **وَأَجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ** ﴾: يعني المسلم ﴿ **وَأَجَارِ الْجَنْبِ** ﴾ يعني اليهودي والنصراني " ١٢٨.

ومن الجذير بالذكر أن الله ﷻ قد سمى نصارى نجران "مؤمنين"، ولعن من عذبهم. يقول الله ﷻ:

قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ ﴿١﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٢﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٣﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٤﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٥﴾

(البروج: ٨٥٠-٤-٨)

وقال القرطبي في تفسيره عن هذه الآية:

" الذين خَدَّدُوا الْأَخَادِيدَ وَقَعَدُوا عَلَيْهَا يُلْقَوْنَ فِيهَا الْمُؤْمِنِينَ وَكَانُوا بِنَجْرَانَ فِي الْفِتْرَةِ بَيْنَ عَيْسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَقَدْ اخْتَلَفَتِ الرَّوَاةُ فِي حَدِيثِهِمْ وَالْمَعْنَى مِتْقَارِبٌ " ١٢٩.

وكذلك أشار الله ﷻ إلى فرح المسلمين عند انتصار النصارى على الفرس المشركين:

لَمَّا غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿١﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي

١٢٨ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص ٤٨٠.

١٢٩ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تفسير القرطبي، ٢٥٧ / ١٩. وقصة نصارى نجران المذكورة في صحيح مسلم، حديث رقم ٣٠٠٥ في كتاب الزهد والرفائق، باب قصة أصحاب الأخدود، قصة الراهب والغلام.

يُضَعِّعُ سَيِّئِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ (الروم، ٣٠: ٤-١)

ومن الجدير بالذكر أن الله ﷻ يعلم أن المسلمين سيقاتلون (فيما بعد في معارك كثيرة ومنها معركة مؤتة أثناء حياة رسول الله ﷺ) النصراري أنفسهم الذين فرح المسلمون بنصرهم على المشركين. فإذا كان نصرهم يُفرح المسلمون، - وإذا كان الله ﷻ يذكُر نصرهم كوعد حسن للمسلمين - فهذا يعني أن هناك مودة خاصة بين المسلمين والنصارى. وهذا ما يقوله الله ﷻ في الآية التالية:

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۗ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَزُهَبَانًا ۗ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ (التوبة، ٥: ٨٢)

وإذا كان الله ﷻ قد حذّر الرسول ﷺ من اليهود في هذه الآية ١٣٠ - ومدح النصرارى - ففي آيات أخرى مدح الله ﷻ بني إسرائيل (أو على الأقل الصالحين منهم) وفضلهم على العالمين (في فترة ما ١٣١):

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ ۗ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣١﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ ۚ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۗ وَكَانُوا بِءَايَاتِنَا يُوقِنُونَ

١٣٠ يلاحظ أن الله ﷻ خاطب رسوله ﷺ بشكل فردي في هذه الآية ("لَتَجِدَنَّ") وليس المؤمنين بشكل عام.
١٣١ فيقول الله ﷻ:

فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ ۖ وَكُفَّرْتُمْ بِءَايَاتِ اللَّهِ وَقَتْلْتُمْ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ وَقَوْلْتُمْ لِقُلُوبِنَا عُقُفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ (النساء، ٤: ١٥٥)

وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ آعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي آلَسَبْتِ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٠﴾ (البقرة، ٢: ٦٠)
(وانظر أيضاً إلى: البقرة، ٢: ٧٨ و ٩١؛ المائدة، ٥: ٦٠؛ الأعراف، ٧: ١٦٦؛ وغيرها من الآيات في هذا الموضوع.)

﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٤﴾ (السجدة، ٣٢)

(٢٥-٢٣:

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَّقُوا اللَّهَ يَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٥﴾ (المائدة، ٥: ٢٠)

وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَزَرَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ^{٢٦} فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِمَّن بَعَدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ^{٢٦} إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٦﴾ (الجنانية، ٤٥:

(١٧-١٦:

وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَآتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَتُوا مُبِينَ^{٢٧}

﴿٢٧﴾ (الدخان، ٤٤: ٣٣-٣٢)

نَبَأَ اللَّهُ ﷺ المسلمين أنه يوجد بين أهل الكتاب بشكل عام بعض الصالحين:

لَيْسُوا سَوَاءً^{٢٨} مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿٢٨﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٨﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ^{٢٨} وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٢٨﴾ (آل عمران، ٣: ١١٣-١١٥)

وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضَعُ أَجْرَ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٩﴾ (الأعراف، ٧:

(١٧٠:

فخلاصة القول هنا هو أن الله ﷻ فرض - إضافة إلى الاحترام والقسط والرحمة بشكل عام - الإحسان نحو أهل الكتاب بشكل خاص، ونبه على مودة خاصة بين المسلمين والنصارى، والله أعلم.

المطلب الثالث: حب المؤمنين

إضافة إلى الاحترام والقسط والرحمة والتسامح والصفح^{١٣٢} والإحسان والموودة، فقد فرض الله ﷺ رابطة الأخوة بين المؤمنين بعضهم بعضاً:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ^١ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ^٢ (الحجرات، ٤٩: ١٠)

كذلك جعل الله ﷺ المؤمنين إخوة، وذكّرهم بحقوق الإخوة في اللفظ الكريم "وَاتَّقُوا اللَّهَ"، وربط رحمته ﷺ بتقوى الله ﷻ في الأخوة بين المؤمنين. ومعنى آخر فإن الله ﷻ يقول إنه سيرحم من يحب أخاه المؤمن. والأخوة بدورها تعني الحب - وليس أقل من الحب - بين المؤمنين:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^٣ (الحشر، ٥٩: ٩٠)

وفي هذه الآية الجميلة بين الله ﷻ أن الحب المطلوب بين المؤمنين ليس فقط شعوراً لا يلزم المؤمن بشيء، ولكن من الحب حالة نفس صادقة تُؤثّر مصلحة الآخرين على ذاتها، وبالتالي تتغلب فيها على "شح النفس"^{١٣٣}.

١٣٢ يقول الله ﷻ:

وَلَا يَأْتِلِ أَوْلِيَا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^٤ (النور، ٢٤: ٢٢)

١٣٣ فليس مسموحاً للمسلم أن يحكم على أخلاق المؤمنين، ناهيك عن طرده، يقول الله ﷻ عن سيدنا نوح عليه السلام:

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَلِكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَلِكُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَزْدَانًا فَبَدَأَ الرَّاْيَ وَمَا تَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنظُرُكُمْ كَذِبِينَ^٥ قَالَ يَتَقَوَّمُ أَرْبَابُهُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَشَدُّ هَا كِرهُونَ^٦ وَيَتَقَوَّمُوهَا لَا أَسْتَطِيعُ عَلَيْكُمْ عَلَيْهِ مَا لَأَنَّ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْتَقَوْنَ إِلَيْهِمْ وَلَكِنِّي أَنُذِرُكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ^٧ وَيَتَقَوَّمُوهَا

وخلصة القول هنا هو أنه بالإضافة إلى الاحترام والقسط والرحمة والمودة والإحسان، يطلب الله ﷻ الحب بين المؤمنين، وهذا هو الحب الذي نسميه أحياناً "الحب في الله".

المطلب الرابع: حب الأصدقاء

ذَكَرَ اللهُ ﷻ في كتابه درجات من الصداقة، بالإضافة إلى أخوة الإيمان التي ذكرناها. فالصحبة أقلُّ درجة من الصداقة. وذَكَرَ اللهُ ﷻ "الصحبة" في آيات كثيرة من القرآن الكريم، وعلى سبيل المثال في الآيتين التاليتين:

قَالَ إِنَّ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٦٦﴾ (الكهف: ١٨،

(٧٦:

يَصْحَبِي السَّجْنَءَ أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٧﴾ (يوسف: ١٢، ٣٩)

عموماً لا تعني كلمة "صحبة" في القرآن الكريم مودة خاصة لكن تعني الرفاق في أمر معين. فأصحاب النار لا يجب بعضهم بعضاً ولكنهم يتصاحبون في النار:

يَبْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾

(هود: ٢٧ - ٣١)

• قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿٢٩﴾ قَالَ وَمَا عَلِمَىٰ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٠﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٢﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ (الشعراء: ٢٦ - ١١١ - ١١٥)

ويقول الله ﷻ لسيدنا محمد ﷺ:

وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾ (الأنعام: ٦، ٥٢)

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَهُمْ لِأَوْلَانِهِمْ رَبَّنَا هُنَا لَنَا آصْلُونَا فَأَعَابَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أَوْلَانَهُمْ لِأَخْرَيْنَهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ

(الأعراف، ٧: ٣٨-٣٩) ﴿٣٨﴾

فكلمة "صحبة" تفيد أحياناً معنى "الامتلاك" كما هو الحال في "أَصْحَبِ الْفِيلِ" - جيش أبرهة الحبشي الذي كان يمتلك فيلاً وحاول مهاجمة الكعبة في الجاهلية - يقول الله ﷻ:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ (الفيل، ١٠٥: ١)

وأحياناً تفيد كلمة "صحبة" معنى "الصدقة" أو "مودعة معينة" كما هو الحال في الآيتين التاليتين:

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَنَزَّلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ (التوبة، ٩: ٤٠)

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿١٨﴾ (الكهف، ١٨: ٩)

بعد "الصحبة" تأتي "الصدقة"، وهي تعني درجة ثابتة من المحبة الخاصة والأخوة. والله ﷻ بَيْنَ وَكَرَّمَ ووطد هذه العلاقة الخاصة حتى في تشريعه:

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ

بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَحْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَتَيْكُمْ أَوْ
بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَلَّتِ بِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُ مَفَاحِهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى
أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ (النور، ٢٤: ٦١)

وفوق " الصداقة " يمكننا أن نُميِّز " الصداقة الحميمة " ، فالله ﷻ يقول:

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّنْ قَبْلِ
أَنْ يَأْتِيَهُمْ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا يَخْلَى ﴿٦٤﴾ (البراهيم، ١٤: ٣١)
وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿٦٥﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٠١) ١٣٤

وأخيراً هناك درجة من الصداقة أعلى حتى من " الصداقة الحميمة "
وقد سماها الله ﷻ: " الخلة " ١٣٥ ، يقول الله ﷻ:

الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ (الزخرف، ٤٣: ٦٧)

فخلاصة القول هنا هو أن الله ﷻ ذكر في القرآن الكريم وشرع وبارك
أربع درجات مختلفة من " الصداقة " والتي هي فوق الحب الموجود بين
المؤمنين وهي: (١) الصحبة، (٢) الصداقة، (٣) الصداقة الحميمة، (٤)
الخلة. وقد ذكرناها بالترتيب التصاعدي وتشكل السلسلة الكاملة للصداقة

١٣٤ انظر أيضاً إلى وصف " الحميم " في الآيات التالية: غافر، ٤٠: ١٨؛ فصلت، ٤١: ٤٣؛
الحاقة، ٦٩: ٣٥؛ المعارج، ٧٠: ١٠.

١٣٥ يمكن وصف هذه الصداقة بـ " الوليجة " - وهي صداقة حميمة أو حرفياً " صداقة
مداخلة " - وهي ملائمة بين المؤمنين فقط (كما سنناقش لاحقاً في فصل أنواع الحب)، يقول
الله ﷻ:

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
وَلِجِئَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ (التوبة، ٩: ١٦)

بين المؤمنين وأعلى درجات الحب (غير الجنسي) بين الذين لا تربطهم صلة
القرابة^{١٣٦} والله أعلم.

١٣٦ يُلاحظ أننا نكوّن الصداقات وفقاً للخير والجمال الداخلي الذي نراه في الآخرين - في حال كانت الصداقة صادقة ومخلصة - وبناء على الوقت الذي نمضيه مع أصدقائنا (وبالتالي بناء على ما نختبره من جمالهم الداخلي وما يجتبرونه من جمالنا الداخلي).

١٨. الباب الثالث؛ الفصل السابع:

الحب الزوجي والحب الجنسي

خلقنا الله ﷻ جميعاً من نفس واحدة، وخلق من هذه النفس - وهي نفس آدم ﷺ - زوجةً (وهي حواء أمنا جميعاً)، وخلق كل الناس من آدم ﷺ وحواء معاً:

يَتَأْتِيَا النَّاسَ أَنْتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَنْتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

﴿النساء، ٤: ١﴾

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ... (الزمر، ٣٩: ٦)

وَخَلَقْنَا (عموماً^{١٣٧}) زوجين، الذكر والأنثى^{١٣٨}:

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿١٤﴾ (النجم، ٥٣: ٤٥)

١٣٧ قلنا "عموماً"؛ لأنه ربما يكون في قوله ﷻ: "أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مِنْ نِشَاءٍ عَقِيمًا" **إِنَّهُ عَلَيْهِمْ قَدِيرٌ** ﴿١٤﴾ (الشورى، ٤٢: ٥٠) إشارة إلى وجود "الخنثى" الذي يجمع بين الذكر والأنثى في شخص واحد، أو إلى وجود الشخص الذي لا يعتبر ذكراً أو أنثى.

١٣٨ قال الراغب الأصفهاني في كلمة "زوج": "يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة "زوج"، ولكل قرينين فيها وفي غيرها "زوج"، كالخف والنعل، ولكل ما يقترن بأخر مماثل له أو مضاد زوج، قال تعالى: **يَجْعَلُ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى** ﴿١٤﴾ (القيامة، ٧٥: ٣٩) وقال: ... **أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ** ... (البقرة، ٢: ٣٥). (الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٢٢٠).

فهكذا يقال لكل من الذكر والأنثى "زوج"، وهذا يدل على احتياج كل من الذكر والأنثى بعينه إلى زوجه حسب التعريف في اللغة العربية. ويقول الله ﷻ:

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥١﴾ (يس، ٣٦: ٣٦)

﴿جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ (القيامة، ٧٥: ٣٩)

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ

﴿٣٦﴾ (يس، ٣٦: ٣٦)

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنْتَانًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ
الذُّكُورَ ﴿٣٦﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْتَانًا ۗ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾

(الشورى، ٤٢: ٤٩-٥٠)

وفي خلق الزوجين، الذكر والأنثى، ذكرى للناس:

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات، ٥١: ٤٩)

ومن ناحية، ميّز الله ﷻ الذكر:

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ۖ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ
أَمْوَالِهِمْ ۗ فَالصَّالِحَاتُ قَنِبَتْنَ حَفِظَتْنَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۗ وَاللَّتِي تَخَافُونَ
نُشُوزَهُنَّ فِعْظُوهُنَّ ۚ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۗ فَإِنِ اطَّعْتَكُمْ فَلَا
تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٦﴾ (النساء، ٤: ٣٤)

ومن ناحية أخرى، ميّز الله ﷻ الأنثى:

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۗ
وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ (آل عمران، ٣: ٣٦)

وقد أعطى الله ﷻ شهادة المرأة في الدفاع عن نفسها ثقلاً أكبر من شهادة زوجها:

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ
شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦٥﴾ وَالْحَنَمَةَ أَنَّ لَعَنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَمِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿٦٧﴾ وَالْحَنَمَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦٨﴾ (النور، ٢٤: ٦-٩)

ولكن جعلنا - الذكر والأنثى - بعضنا من بعض:

فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۗ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿٥٥﴾ (آل عمران، ٣: ١٩٥)

ولذلك فلدى - الذكر والأنثى - طبيعة إنسانية مشتركة بالرغم من الفروقات التي بيننا: فكل واحد منا له أب وله أم (باستثناء سيدنا عيسى عليه السلام) إذ ليس له أب وله أم، وسيدنا آدم عليه السلام الذي ليس له أب ولا أم، وكل واحد منا (إذا كانت صحته أو صحتها طبيعية) يمكن له أن يُنجِبَ ذكراً أو أنثى.



فالتبيعة المشتركة بيننا تعني أيضاً أننا لسنا مكتملين من دون بعضنا البعض. الذكر يحتاج الأنثى والأنثى تحتاج الذكر، وعموماً نبقى بحالة نقص دون بعضنا البعض. وهذه الحاجة إلى بعضنا البعض والنقص من دون ذلك، واضحة في ثلاثة أمور رئيسة: (أ) في حاجة الذكور والإناث بعضهم لبعض في النسل؛ (ب) في الحب الزوجي غير الجسماني والحاجة النفسية بين الزوجين، (ج) وفي الحب الزوجي والجنسي بين الزوجين. (ومن الجدير بالذكر أنه يمكن لهذه الحاجات الثلاث أن تتزامن في علاقة ما، ويمكن لها أن تنفرد عن بعضها).

المطلب الأول: حاجة الزوجين لبعض في النسل

وبطبيعة الحال، لا يستطيع أحد منا أن يُنَجِبَ من غير زوج أو زوجة:

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَحَفْدَةً وَرَزَقَكُمْ

مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ (النحل، ١٦: ٧٢)

وهذا أمر واضح حتى في أيامنا هذه مع "أطفال الأنابيب" لأنه حتى

في أطفال الأنابيب فإنهم يحتاجون إلى "ماء دافق" يجتمع فيه ما يخرج من

صلب الرجل وترائب المرأة:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ ثُمَّ

خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ

لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٢٢﴾ (المؤمنون، ٢٣: ١٢-١٤)

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا

فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ (المرسلات، ٧٧: ٢٠-٢٣)

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥٠﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٥١﴾ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ

﴿٥٢﴾ (الطارق، ٨٦: ٥-٧)

ففي هذه الآيات الأخيرة جاء في تفسير الجلالين:

" **فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ**) نظر اعتبار **(مِمَّ خُلِقَ)** من أي شيء. جوابه **(خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ**

دَافِقٍ) ذي اندفاق من الرجل والمرأة في رحمها. **(تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ)** للرجل

(وَالتَّرَائِبِ) للمرأة وهي عظام الصدر " ١٣٩ .

المطلب الثاني: الحب الزوجي غير الجسماني

نحتاج بعضنا بعضاً ليس للنسل فقط، ولكن من ناحية نفسية طبيعية أيضاً:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّيْهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَاحِبًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ (الأعراف، ١٨٩)

ويلاحظ في هذه الآية الكريمة أن الله ﷻ قال: "لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا" وليس "ليسكن معها" أو "ليسكن عندها"، الأمر الذي يدل على أنه يوجد في السكن مع الزوجة سُكُونٌ وسَكِينَةٌ أيضاً، وتلك حاجات نفسية. والله ﷻ بين هذا السكون في الدعاء المشترك بين الزوج والزوجة:

"لَئِنْ آتَيْنَا صَاحِبًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾".

والله ﷻ قال في آية أخرى:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم، ٣٠)

هذه الآية تحتوي على أسرار كثيرة كما تُشير لنا الكلمات الكريمة التالية: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"؛ وستدبرها فيما يلي:

(أ) يُخْبِرُنَا اللَّهُ ﷻ أَنْ أَزْوَاجَنَا مِنْ "أَنْفُسِنَا". وفي القرآن الكريم معنيان لكلمة "أنفسكم": المعنى الأول هو "أنتم"، ففي هذه الحالة "من أنفسكم" تعني فقط "منكم". المعنى الثاني لكلمة "أنفسكم" تعني "من نفوسكم": فالله ﷻ يذكر "النفوس" كحقيقة الإنسان غير الجسدية، وبالتالي الخالدة. وعلى سبيل المثال، ذكر الله ﷻ: "النفوس الأمارة بالسوء" (يوسف، ١٢)

٥٣؛ و" النفس اللوامة " (القيامة، ٧٥: ٢)، و" النفس المطمئنة " (الفجر، ٨٩: ٢٧).

فما معنى اللفظ الكريم " **خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا** " بالتعريفين لكلمة "نفس"؟ ويأتي هذا اللفظ الكريم بكلمة "جَعَلَ" أيضاً في الآية الكريمة التالية:

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (الشورى، ٤٢: ١١)

فالعنى الأول لـ " **مِنْ أَنْفُسِكُمْ** " واضح، وهو أن الله ﷻ خَلَقَ لنا زوجات أو أزواجاً مثلنا من سلالة آدم ﷺ وحواء.

المعنى الثاني - وهو معنى لطيف - هو أن لكل نفس زوجة أو زوجاً معيناً مخلوقاً له أو لها خاصة (كـ "خلق" إلهي)، أو كـ "جَعَلَ" إلهي خاص فيما بعد الخلق، وفي هذه الحالة يمكن لنا أن نتعرف عليها أو عليه في هذه الحياة الدنيا - أو قد لا نتعرف عليها أو عليه أبداً - ولكن في الاحتمالين هذه الزوجة أو هذا الزوج مخلوق أو موجود (وفي هذا الحال يكون، "الخلق" الإلهي أتم من "الجعل" الإلهي، والله أعلم). وحسب هذا المعنى لـ " **مِنْ أَنْفُسِكُمْ** " يكون في اللفظ الكريم " **وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا** " إشارة إلى الأبدان: الأنعام تُشبه أجسام الناس في اقتصارها على وظائف الحياة الطبيعية كالمأكول والمشرب (وبالتالي تشبه أيضاً الكفار الذين ليس لهم همٌ إلا إشباع رغبات أجسامهم). يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَأْدَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَقِلُونَ (الأعراف، ٧: ١٧٩)

... وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى هُمْ ﴿٤٧﴾ (عبد، ٤٧: ١٢)

فإذا في زواج الأنعام إشارة إلى الزواج بين الناس الذين يغلب عليهم إشباع رغبات الأجسام، ولم يكن فيهم حُب حقيقي أو قلوب تفتقه وتذكر الله ﷻ. وفي هذه الحالة يكون في اللفظ الكريم "يَذَرُوكُمْ فِيهِ" (الشورى، ٤٢: ١١) إشارة إلى وضع النفوس والأرواح في أجسام الناس: بمعنى آخر يُفهم من هذا أن الله ﷻ ذرأ الأرواح والنفوس التي كانت قبل خلق الأجسام ووضعها في هذه الدنيا في أبدان من مادة تشبه الأنعام، في هذه الحياة الدنيا، والله أعلم.

الفائدة من هذه الإشارة هنا أنه بين بعض الناس وبعض الأزواج والزوجات علاقة تامة بحيث إن الشخصين يُكمل بعضهما بعضاً، فكأنهما شخص واحد أو نفس واحدة - وهنا يمكن لنا أن نسميهما "أزواج النفس" - بينما نجد بين بعض الناس سكوناً ومودةً ورحمة من دون أن تكون العلاقة علاقة تامة ومكتملة حتى بين زوج وزوجة متزوجين منذ فترة طويلة، والله أعلم.

(ب) يُخبرنا الله ﷻ أننا نسكن "إلى" أزواجنا، وتطرقنا لمعنى كلمة "إلى" آنفاً، ونزيد هنا أن الفخر الرازي يقول فيها في تفسيره الكبير: "يقال "سكن إليه" للسكون القلبي ويقال "سكن عنده" للسكون الجسماني، لأن كلمة "عند" جاءت لظرف المكان وذلك للأجسام و"إلى" للغاية وهي للقلوب" ^{١٤٠}. يقول الله ﷻ:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّيْهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ ^ط فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا

لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ (الأعراف: ٧: ١٨٩)

(ج) يُخْبِرُنَا اللهُ ﷻ أَنَّهُ جَعَلَ بَيْنَنَا "مَوَدَّةً"، وَاسْتَحْدَثَ فِيمَا بَعْدَ إِذْ شَاءَ اللهُ عَنْ مَعْنَى "المودة" كَنُوعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْحُبِّ، وَلَكِنْ يَكْفِي هُنَا أَنْ نَلَاظِحَ بِأَنَّ "المودة" لَيْسَتْ حُبًّا وَحَاجَةً جِسْمَانِيَّةً، بَلْ هِيَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ "الحبِّ الوُدِّيِّ". فَاللهُ ﷻ يَقُولُ:

وَلَيْنَ أَصْبَبْتُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِغْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ (النساء: ٤٠: ٧٣)

(د) يُخْبِرُنَا اللهُ ﷻ أَنَّهُ جَعَلَ بَيْنَنَا "رَحْمَةً". وَقَدْ سَبَقَ أَنْ تَحَدَّثْنَا عَنْ مَعْنَى "الرحمة" وَعِلَاقَةِ "الرحمة" بِ"الرَّحِمِ"، وَيَكْفِي هُنَا الْقَوْلُ إِنْ "الرحمة" أَيْضًا لَيْسَتْ حُبًّا وَلَيْسَتْ حَاجَةً جِسْمَانِيَّةً. فَالْخِلَاصَةُ هِيَ إِنْ اللهُ ﷻ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ آتَفَهُ الدُّكْرَ (مِنْ سُورَةِ الرُّومِ) بَيَّنَّ أَنَّ فِي الزَّوْجِ حُبًّا يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَكُونَ مَجْرَدًا مِنْ كُلِّ عِلَاقَةٍ جِسْمَانِيَّةٍ، وَأَنَّ الزَّوْجِينَ كِلَيْهِمَا مَحَاجَةٌ لِهَذَا الْحُبِّ مِنْ نَاحِيَةِ نَفْسِيَّةٍ طَبِيعِيَّةٍ. وَنَرَى آثَارَ هَذَا الْحُبِّ فِي دَعَاءِ الْآيَةِ التَّالِيَةِ:

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ (الفرقان: ٢٥: ٧٤)

كما نرى أيضاً آثار هذا الحب بـ "المعروف" كما في الآية التالية:

أَسْكِنُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنْ أُولَتْ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَنْتُمْ يُبَيِّنُكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرِّضْهُ لَهٗ أُخْرَىٰ ﴿٦٥﴾ (الطلاق: ٦٥: ٦٥)

وأخيراً نرى هنا، في الآية التالية أن الله ﷻ وصف لنا الزوجة الصالحة، ويلاحظ في هذا الوصف أنّ معظم الصفات هي صفات نفس الزوجة وطبيعتها غير الجسمانية، الأمر الذي يؤكد على الحب غير الجسماني في الزواج:

عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُمْ أَرْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُتَمَنِّتٍ مُؤْمِنَةٍ قَنِينَةٍ تَتَّبَعْتِ
عَبْدَاتٍ سَتِيحَتِ تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَرًا ﴿٦٦﴾ (التحریم، ٦٦: ٥)

المطلب الثالث: الحب الزوجي الجنسي

ما هو الذي يجعل الحب الزوجي والعلاقة الزوجية مختلفة تماماً عن سائر أنواع الحب الأخرى؟ الجواب هو أنه يوجد في الحب الزوجي مشاركة من جسم بني آدم، سواء كان ذكراً أو أنثى. ففي الحب العائلي وحب المؤمنين والأصدقاء لا توجد مشاركة بين أجسام بني آدم، بينما في الحب الزوجي يتلامس الزوجان ويختلط جسما الزوج والزوجة. وبمعنى آخر، سائر أنواع الحب الأخرى هي حب بين النفوس، بينما الحب الزوجي هو حب بين النفوس والأبدان معاً. والله ﷻ وصف أو أشار إلى مكونات وأسرار هذا الاحتكاك بين الأجسام في العلاقة الزوجية في آيات عدة. ويكفي هنا - بما أن هذا الموضوع له خصوصية معينة - أن نذكر رموز هذه الأسرار. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِمْ أَرْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقٌ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٢٠٠﴾ (طه، ٢٠٠: ١٣١)

فنفهم من هذه الآية أولاً أن في الزوجة جمالاً - لأن الزهرة جميلة - وثانياً نفهم من هذه الآية أن في الزواج حباً وبهجة - لأن الزهرة تجذب الحب والبهجة. ونفهم أيضاً من كلمة "مَتَّعْنَا" أن في الزواج متعة معينة.

يقول الله ﷻ:

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا
 وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ۚ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ
 فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ (النساء، ٤: ٢٤)

ونفهم من هذه الآية أنه يوجد في العلاقة الجنسية، بالإضافة إلى
 "المتعة" التي ذكرناها، "استمتاع". ويقول الله ﷻ:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ
 حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ
 الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٠٣﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْى شِئْتُمْ ۗ وَقَدِمُوا لأنفُسِكُمْ
 وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ وَنَشَرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ (البقرة، ٢: ٢٢٢-٢٢٣)

ومن لفظ "حَرْثٌ لَكُمْ" نفهم أمرين: الأمر الأول هو الخصوبة
 للزراعة، والأمر الثاني هو الرموز الجنسية في الحرث والأرض التي يحرثها
 المِحْرَاثُ. ونفهم من لفظ "أَنْى شِئْتُمْ" أنه يوجد في العلاقة الجنسية رغبة معينة
 وحرية معينة في إشباعها. ومن هنا تأتي المتعة والاستمتاع اللذان ذكرناهما
 أعلاه. وتكون هذه الرغبة بطبيعة الحال قوية، وفي هذه الحالة تكون الرغبة
 "هَمًّا". يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۗ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ
 وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٠﴾ (يوسف، ١٢: ٢٤)

ولشدة هذا "الهم" أحل الله الرفث في ليالي رمضان، بعدما كان
 الصحابة ﷺ يمتنعون عنه. يقول الله ﷻ:

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ ۗ عَلِمَ

اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ نَحْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْقَنَ بَشِيرُونَ
وَأَتَّبِعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ
الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنْكُفُونَ فِي
الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴿١٤١﴾ (البقرة: ٢٤١)

ونفهم من كلمة "لباس" أمرين أيضاً: الأمر الأول هو "السترة" التي تأتي مع اللباس، والأمر الثاني هو مس واحتكاك أعضاء الجسم الذي يأتي أيضاً مع اللباس. فإمكانية إشباع الرغبة، وإمكانية المتعة والاستمتاع في العلاقة الجنسية في الزواج، يأتي كـ"لباس" للزوجين يستر حاجتهما الطبيعية. يقول الله ﷻ:

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا
١٤١ (النساء: ٤٤١) ﴿١٤١﴾

فنفهم من اللفظ الكريم "وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ" أنه في العلاقة الجنسية أولاً أمر يُفضي الزوج والزوجة (من مائهما)، وثانياً "فَضَاءً" للزوج والزوجة: بمعنى آخر، العلاقة الجنسية فيها تفرغ وشم انبساط وراحة. والله ﷻ يبيِّن أن العلاقة الجنسية تولد صلة معينة ولا يمكن إبطال أثرها حتى

١٤١ يقول الإمام الراغب عن كلمة "أَفْضَى":

"الفضاء المكان الواسع ومنه أفضى بيده إلى كذا وأفضى إلى امرأته في الكناية أبلغ وأقرب إلى التصريح من قولهم خلا بها قال: وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وقول الشاعر:
طعامهم فوضى فضا في رجالهم

أي مُباح كأنه موضوع في فضاء يفيض فيه من يُريده". الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٣٨٣.

بعد انتهاء العلاقة نفسها أو الزواج وأن هذه الصلة تستوجب المعروف والاحترام للأبد؛ ومن هنا يسأل الله ﷻ:

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ... (النساء، ٤: ٢١).

لكن لهذه الأمور - وبالأحرى التعلق الزائد بهذه الأمور - خطورة معينة على العبد الذي ينبغي عليه أن يتذكر الله ﷻ واليوم الآخر أكثر من الدنيا، فيقول الله ﷻ:

يٰۤأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾

(التغابن، ٦٤: ١٤)

وخلاصة القول هنا هو أن في القرآن الكريم بياناً لطيفاً للحاجات الجسمانية الطبيعية وللرغبة في الحب الزوجي، ووصفاً لكثير من أمور العلاقات الجنسية بين الزوج والزوجة. وبالتالي فإن الله ﷻ يأمر بالزواج في الحالات التي يكون فيها ذلك ممكناً؛ يقول الله ﷻ:

وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠﴾ وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَحُدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ ۖ إِن عِلْمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۗ وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَيْنَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيِّبْتِكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ ۖ إِن أَرَدْنَ تَخَصُّبًا لِّيَتَّبِعُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَنْ يُكْرِهِنَّ ۖ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ

رَّحِيمٌ ﴿٢٤﴾ (النور، ٢٤: ٢٢ - ٢٣)



هل في العلاقات الجنسية والجماع أمر آخر غير إنجاب الأولاد والمتعة الجسدية؟ بمعنى آخر هل في الجماع ناحية روحية وليس فقط جسدية؟ كان

رسول الله ﷺ كله لله:

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ

أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ (الأنعام، ٦: ١٦٢-١٦٣)

وكان متزوجاً، ويُحب النساء:

«حُبَّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثُ طَلِيبٍ وَالنِّسَاءُ وَجَعَلَتْ قُرَةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^{١٤٢}.

ونسأوه ﷺ لسن تماماً كالنساء:

يَنْسَاءُ النَّبِيُّ لَسْتَنُ كَمَا حَدِّ مِنَ النِّسَاءِ ۚ إِنَّ اتَّقِيْتَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي

فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٣٢)

فهل يُفهم من هذا كله أن الرسول ﷺ كان يُحب النساء من أجل

النساء فقط، أم هل كان يجهن (ونسأوه لم يكن "كأحدٍ مِنَ النِّسَاءِ") من

أجل الله وذكر الله؟

يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ۗ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رءَا بُرْهَنَ رَبِّهٖ ۚ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهٗ السُّوءَ

وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهٗ مِنْ عِبَادِنَا الْمُحْلَصِينَ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٢٤)

ما هو الذي أوقف النبي يوسف عليه السلام عن "الهم" بزوجة العزيز؟

الجواب هو أنه رأى برهان ربه. لكن زوجة العزيز لم تر برهان ربه، وما رأت

إلا النبي يوسف عليه السلام وجماله المشهور، وبالتالي همت به بالرغم من أنها

متزوجة. لكن زوجة العزيز كانت أيضاً جميلة، فما هو "برهان" رب يوسف

١٤٢ رواه البيهقي في السنن الكبرى ٧/٧٨. ورواه النسائي في السنن الصغرى

رقم ٣٩٣٩ و٣٩٤٠ في كتاب عشرة النساء، بلفظ: «حُبَّ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا وَالنِّسَاءِ وَالطِّيبِ

وَجَعَلَتْ قُرَةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»، ورواه أحمد ٣/١٢٨ و١٩٩.

الذي رأى يوسف عليه السلام ؟ يُفهم من عدم ذكر أي شيء آخر في الآية أن يوسف عليه السلام رأى "برهان ربه" في ذات جمال زوجة العزيز. يقول الله جل جلاله:

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ (النساء، ٤: ١٧٤)

وكما ذكرنا سابقاً، يقول الله جل جلاله:

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ (التين، ٩٥: ٤)

ويقول الله جل جلاله:

فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ نَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُعْجَىٰ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ (الروم، ٣٠: ٥٠)

فهل نظر يوسف عليه السلام إلى جمال زوجة العزيز ورأى في جمالها برهان ربه الذي خلقها في أحسن تقويم، فتذكر الله جل جلاله فامتنع عن "الهَم" بها؟ فإذا كان الجواب "نعم"، فهذا يعني أنه يمكن أن يكون في الجمال الجسمي تذكّر الله يُبعد الذاكر تماماً عن "الهَم" الجسمي. وهذا يعني بدوره أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو الأسوة الحسنة "لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" (الأحزاب، ٣٣: ٢١) - كان يرى "برهان ربه" في زوجاته. والله أعلم، ولكن ربما يكون هنا إشارة في القرآن الكريم إلى أن في النظر إلى جمال الجسم حالة روحية في بعض الأحيان. فربما نفهم هذا تماماً من قول الله جل جلاله بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۗ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ ۗ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۗ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۗ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ ۗ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿١٣﴾ (المتافقون، ١٣)

(٤:



يقول الله ﷻ:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أذى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٣﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأنفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٤﴾ (البقرة، ٢: ٢٢٣-٢٢٤)

يلاحظ من نصوص القرآن الكريم أن اللقاء مع الله ﷻ هو في الآخرة: ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ (الأنعام، ٦: ١٥٤)

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٣﴾ (يونس، ١٠: ٤٥)

لكن جاء في ثلاث آيات أخرى أنه ليس واضحاً إذا كان اللقاء المقصود هو في الآخرة فقط أم هو في الدنيا أيضاً، والله أعلم. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْئِقِيهِ ﴿٨٤﴾ (الانشقاق، ٨٤: ٦)

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْقَوُا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ

١٤٣ انظر أيضاً إلى: البقرة، ٢: ٤٦؛ التوبة، ٩: ٧٧؛ يونس، ١٠: ٧؛ يونس، ١٠: ١١؛ يونس، ١٠: ١٥؛ هود، ١١: ٢٩؛ الرعد، ١٣: ٢؛ الكهف، ١٨: ١٠٥؛ الكهف، ١٨: ١١٠؛ المؤمنون، ٢٣: ٣٣؛ الفرقان، ٢٥: ٢١؛ العنكبوت، ٢٩: ٥؛ العنكبوت، ٢٩: ٢٣؛ الروم، ٣٠: ٨؛ الروم، ٣٠: ١٦؛ السجدة، ٣٢: ١٠؛ السجدة، ٣٢: ١٤؛ السجدة، ٣٢: ٢٣؛ الزمر، ٣٩: ٧١؛ فصلت، ٤١: ٥٤؛ الجاثية، ٤٥: ٣٤.

وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٨﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَتَبَّتْ أقدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ (البقرة، ٢: ٢٤٩-٢٥٠)

والآية الثالثة هي الآية التي سبق أن ذكرناها:

نَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ^ط وَقَدِمُوا لأنفُسِكُمْ^ع وَأَتَقُوا اللَّهَ^ع وَأَعْلَمُوا
أَنْكُمْ مُلقوه^ط وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ (البقرة، ٢: ٢٢٣)

القاسم المشترك بين هذه "اللقاءات" الثلاث في هذه الآيات الثلاثة هي أنها مذكورة بعد نوع من أنواع الهلاك: في الآية الأولى الـ "كَدْح" مذكور قبل لقاء الله ﷻ؛ في الآية الثانية لقاء الله ﷻ مذكور قبل معركة، وفي الآية الثالثة لقاء الله ﷻ مذكور بعد الجماع. فما معنى هذا؟ هل هناك إشارة إلى أنه يوجد في الهلاك لقاء الله ﷻ، وأن في الجماع - وفي نشوة الجماع و"الإفضاء" كما رأينا - نوعاً من أنواع الهلاك؟ وإن لم يكن هناك إشارة لهذا، فلماذا ذكر الله لقاءه بعد الجماع "أَنَّى شِئْتُمْ^ط"؟ وهل هذا كله إشارة إلى أنه يوجد في الجماع أحياناً - وبفضل الله ولمن يشاء - حالة روحية في الجماع؟ على أية حال، لو كان هذا صحيحاً فهذا اللقاء ليس كلقاء الآخرة، لأن الله ﷻ يقول:

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا^ط
يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ^ط وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٤٢﴾ (الشورى، ٤٢: ١١)

ففي هذه الآية يأتي في القرآن الكريم - بعد ذكر الأزواج - نفي شديد لتشبيه الله بخلقه وهو قوله ﷻ: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ^ط". وهذا يعني أنه حتى لو وجدت حالة روحية في الجماع، فهي لا تُشبه اللقاء مع الله في الآخرة، والله أعلم.

الحب في القرآن الكريم

وهذا كله لنقول إنه ربما يوجد في القرآن الكريم إشارة إلى حالة ذكر
الله ﷻ في النظر المشروع إلى جمال جسم الآخر، كما أنه ربما يوجد في القرآن
الكريم إشارة إلى احتمال أو إمكان وجود حالة روحية في الجماع، والله أعلم.



الحب والزنا

هل في الزنا حب أم هو إشباع للرغبة فقط؟ هل يمكن لنا أن نُحبَّ ما لا يحبه الله ﷻ؟ الزنا أمر مذموم في القرآن الكريم، وهو معاقب عليه بعذاب شديد في الدنيا والآخرة. يقول الله ﷻ:

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۖ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ۖ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ (النور، ٢٤: ١-٥)

ولكن بالرغم من هذا فإنه من المعروف أنه يوجد زنا كثير في العالم، حتى في المجتمعات الإسلامية، وحتى في أيام رسول الله ﷺ. فما هو الدافع للزنا الذي يجعل الزاني لا يبالي بأوامر الله ﷻ ولا بدم الناس ولا بعقوبة الشرع؟ يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۖ كَذَٰلِكَ لِنَتَصَرَّفَ عَنْهُ الشُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ ۖ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُحْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ (يوسف، ١٢: ٢٤)

وبعد "اهم" بيوسف ﷺ، قامت امرأة العزيز بالفعل التالي:

وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ۖ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ (يوسف، ١٢: ٢٥)

وحتى بعد فُشْلِهَا وفضحها بقيت مصرة على نيتها وبقيت تخطط للأمر
نفسه حتى أمام نسوة المدينة:

قَالَتْ فَذَلِكَ الَّذِي لُمْتَنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ
مَاءَ امْرَأَةٍ لِّئَسْجَنَ ۖ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٢٢)

فستنتج من هذا كله أنه لو وجد "هم" (وبالتالي رغبة جسدية) فما
الذي يدفع امرأة العزيز إلى هذا التصرف؟ هناك شيء آخر أيضاً، لأن الرغبة
الجسدية تخف أحياناً بمرور الزمن ومع الخوف، ولكن تلك المرأة بقيت على
تعلقها بيوسف ﷺ حتى بعدما سُجِنَ ﷺ بضع سنين:

ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾ (يوسف، ١٢: ٥٢)

فهذا يعني أنه لا يوجد "هم" ورغبة جسدية فقط تدفع امرأة العزيز؛
بل يوجد كذلك ما يدفعها إلى ذلك وهو شيء من الميل إلى الجمال، وبالتالي
من الحب، حسب تعريفنا. ويقول الله ﷻ:

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا
(النساء، ٤: ٢٧) ﴿٢٧﴾

جاء في تفسير الجلالين، عن هذه الآية الكريمة:

" (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) كرهه لئبني عليه (وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشَّهَوَاتِ) اليهود والنصارى أو المجوس أو الزناة (أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا)
تعدلوا عن الحق بارتكاب ما حُرِّمَ عليكم فتكونوا مثلهم " ١٤٤ .

فبين الله ﷻ هنا أنه يوجد في الزنا "الشَّهَوَاتِ" و"مَيْلًا عَظِيمًا"،
وبمعنى آخر، يوجد حب بالإضافة إلى الشهوة والرغبة الجسمانية في الزنا.
وهذا واضح أيضاً في استعمال كلمة "حب" في قوله ﷻ:

١٤٤ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ١٠٥ .

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ ﴿١٤﴾ (آل عمران، ٣: ١٤)

فمن هنا تأتي الخطورة العظيمة في الزنا ("عَظِيمًا"): الزنا ليس فاحشة
فحسب، لكنه حب غير مشروع يسحبُ صاحبه بكل شدة الحب إلى دائرة
عواطف وأفعال تُبعد الزاني عن الهدى والصراط المستقيم بشكل دائم
ومستمر. والله ﷻ حذّر من هذه الخطورة:

وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿١٧﴾ (الاسراء، ١٧: ٣٢)

من خلال اللفظ الكريم "وَسَاءَ سَبِيلًا"، يؤكد الله ﷻ قوة الحب غير
المشروع وخطورته على نفس الزاني (أو الزانية) وآخرفته. ويصبح هذا الحب
أحياناً حباً غامراً كأنه عبادة، ومع هذا لا يمكن لهذا الحب أن يصل درجة
العبادة الحقيقية لله ﷻ. فيقول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ
حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)

فنرى هنا أن الإنسان يمكن أن يُحب شيئاً لا يحبه الله ﷻ، ويمكن أن
يُحب هذا الشيء حباً شديداً، ولو كان شراً له ولحُبوبه^{١٤٥} (وهذا هو حال
الزاني تماماً). يقول الله ﷻ:

... وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ

١٤٥ فالحب غير المشروع يؤدي المحب، ويمكن أن يؤدي - بعواقب أبدية قد تؤثر على حياته
في الآخرة - المحبوب الذي يحبه أو يدّعي بأنه يحبه (وبالتالي ينبغي أن يريد الأفضل له).
وهكذا فليس كل الحب يفيد المحب أو المحبوب! بعض أنواع الحب قد تدمرها أبداً.

يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ (البقرة، ٢: ٢١٦)

" وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ " : فليحذر الزاني من حبه، وليبتعد المؤمن من الإعجاب الذي قد يؤدي إلى الزنا أو إلى ما لا يُرضي الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ^٤ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَيْرٌ^٥ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أَعْبَجْتُمْ^٦ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا^٧ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ حَيْرٌ^٨ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا أَعْبَجْتُمْ^٩ أَوْلِيَّكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ^{١٠} وَيُبَيِّنُ^{١١} آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ (البقرة، ٢: ٢٢١)

وأخيراً، فليلتزم الزاني والزانية ما أحبه الله ﷻ لهما، لأن حب الله ﷻ لا يُضلّهما عن مصلحتهما الحقيقية، ولكن حبهما يمكن أن يُضلّهما. يقول الله ﷻ عن الزوجات:

... وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ^{١٢} فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ

حَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ (النساء، ٤: ١٩)

٢٠. الباب الثالث؛ الفصل التاسع:

الحب والنظر

إن المؤمن قد يظهر لديه حقيقة إنسان آخر إما في وجه هذا الإنسان وإما في قوله. قال الله ﷻ:

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَاعْرِفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٠﴾ (محمد، ٤٧: ٣٠)

وقال رسول الله ﷺ:

«اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»^{١٤٦}.

هذا هو الحال بشكل عام لدى المؤمنين، ولكن هناك شيء خاص وسر عظيم في عيني الإنسان يمكنه أن: (١) يعبر عن الحب، أو (٢) أن يوَلِّد الحب عند الناظر نفسه^{١٤٧}، أو (٣) أن يوَلِّد الحب في من ينظر في عيني الآخر. وبمعنى آخر فإنه يمكن أن: (١) يرى الآخرون الحب في عيني الإنسان؛ (٢) أو أن يدخل الحب إلى نفس وقلب الإنسان من خلال عينيه، و(٣) ربما تولد العينان حباً في شخص آخر إذا التقت العيون. فقد أشار الله ﷻ إلى كل هذا الموضوع في قوله ﷻ:

يَعْلَمُ خَائِبَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿٥٠﴾ (غافر، ٤٠: ١٩)

١٤٦ رواه الترمذي، رقم ٣١٢٧، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر.

١٤٧ ونرى أيضاً في قول الله ﷻ أن السعادة واللذة قد تأتي من النظر. يقول الله ﷻ:

قَالُوا آذَعْ لَنَا رَبُّكَ بَيْنَنَا وَمَا لَنَا مَا لَوْنَاهُ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٥٠﴾ (البقرة، ٢)

(٦٩:

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۗ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۗ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٠﴾

﴿٥٠﴾ (الزخرف، ٤٣: ٧١)

فالعيون تخون الحب الذي في النفس وفي القلب وتظهره، وهذا الحب قد يولّد حباً آخر عند التقاء العيون بأعين أخرى. ومن هنا نفهم الحديثين الشريفين:

عن ابن مسعود وحذيفة قال رسول الله ﷺ:

«النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»^{١٤٨}.

وعن سيدنا علي كرم الله وجهه قال رسول الله ﷺ:

«يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»^{١٤٩}.

ومن ناحية أخرى فقد جاء عن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال الرسول ﷺ:

«انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»^{١٥٠}.

ومن هنا قد نفهم أهمية غض البصر^{١٥١} الذي أمر الله ﷻ المؤمنين والمؤمنات به في قوله ﷻ:

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ

١٤٨ رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، المستدرک، رقم ٣٤٩/٤، والطبراني في المعجم الكبير، رقم ١٧٣/١٠.

١٤٩ رواه الترمذي، رقم ٢٧٧٧، في كتاب الأدب، باب ما جاء في نظرة المفاجأة وحسنه، ورواه ابن حبان، في صحيحه، رقم ٣٨١/١٢.

١٥٠ رواه الترمذي وحسنه برقم (١٠٨٧) في كتاب النكاح، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة.

١٥١ تظهر قوة الأعين وخطورتها من ناحية أخرى وهي الحسد أو "العين". فقال الله ﷻ:

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (الفلق، ١١٣: ٥٠)

وقال رسول الله ﷺ: «العين حق». (رواه البخاري، رقم ٥٧٤٠، كتاب الطب، باب العين حق).

بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣١﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوَاتِقِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٢﴾ (النور، ٢٤: ٣٠-٣١)

وكذلك أوصى الله ﷺ رسوله ﷺ بالتالي:

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْسِهِمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ حَازِمٌ وَأَتَقَىٰ ﴿٣٣﴾ (طه، ٢٠: ١٣١)

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَآخِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٤﴾ (الحجر، ١٥: ٨٨)

وأخيراً نقول إن للأعين دوراً خاصاً في الحب يجعلها كنافذة للنفس وللقلب بحيث يدخل ويخرج الحب منها ويظهر هذا الحب عليها كما يظهر حب العبد لله على العبد حسب ما ذكرناه سابقاً في باب "أثر حب الله ﷺ على الإنسان"، والله أعلم.

الباب الرابع: الحب

٢١. الباب الرابع؛ الفصل الأول:

أنواع الحب

ذَكَرَ اللهُ ﷻ أنواعاً عديدة من الحب في القرآن الكريم^{١٥٢}، (مع اعتبار

أنواع الحب عند العلماء

١٥٢

ما نذكره أعلاه هو تخريج أنواع الحب من القرآن الكريم وتعريفه لغوياً، ولكن لا يفوتنا أن نذكر ما قاله بعض العلماء في أنواع الحب، مع أننا قد ذكرنا بعض ما يلي سابقاً في الهوامش.

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء في "كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا" ص (٣٧٩): "فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء المُلذ، فإن تأكد ذلك الميل وقوي سُمي عشقاً".

وقال (ص ٤١٤): "اعلم أن من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وأن ينكر حقيقة الشوق، إذ لا يتصور الشوق إلا إلى محبوب، ونحن نثبت وجود الشوق إلى الله تعالى...".

وقال (ص ٤٢١): "فإن الشوق طلب وتشوّف إلى أمر، والموجود لا يطلب، ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور إلا إلى شيء أدرك من وجهه ولم يُدرك من وجهه، فأما ما لا يدرك أصلاً فلا يشقائق إليه.... وقد ذكرنا أن محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز، إذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق، والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط.... فأما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلاً.... فإذا محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه، وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه. وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مُفلس عنه فاقد له، فلا جرم يشقائق إلى ما فاته، وإذا أدرك منه شيئاً يلتذّ به، والشوق والمحبة بهذا المعنى مُحالٌ على الله تعالى".

وقال (ص ٤٣٦): "إذا غلب عليه [المحب] الفرحُ بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصلٌ من الكشف وكان نظره مقصوراً على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت

إلى ما لم يدركه بعد؛ استبشر القلبُ بما يلاحظه فيسمى استبشاره أنساً، وإن كان نظره إلى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر إمكان الزوال والبعد تألم القلبُ بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفاً. وهذه الأحوالُ تابعةٌ لهذه الملاحظات، والملاحظاتُ تابعةٌ لأسباب لا يمكن حصرها، فالأنسُ معناه استبشار القلب وفرحُه بمطالعة الجمال، حتى أنه إذا غلب وتجرّد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرّقُ إليه من خطر الزوال عظمَ نعيمه ولذته، ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له: أنت مشتاق؟ فقال: لا إنما الشوقُ إلى غائب، فإذا كان الغائب حاضراً فإلى من يشناق؟ وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت إلى ما بقي في الإمكان من مزايا الألفاظ .

وقال (ص ٤٤١): "اعلم أن الرضا ثمرة من ثمار المحبة، وهو من أعلى مقامات المقربين، وحقيقة غامضة على الأكثرين، وما يدخل عليه من التشابه والإيهام غير منكشف إلا لمن علّمه الله تعالى التأويل وفهمه وفقّه في الدين". (الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، مجلد ٤، ص ١٤١-٤٤١).

وقد ذكر الشيخ محيي الدين ابن عربي أن الحب مقام إلهي له أربعة ألقاب، كما يلي: "إعلم وفقك الله أن الحب مقام إلهي فإنه وصف به نفسه وتسمّى بالودود ولهذا المقام أربعة ألقاب: منها الحب وهو خلوصه إلى القلب وصفاه عن كدورات العوارض فلا غرض له ولا إرادة مع محبوبه. واللقب الثاني: الود وله اسم إلهي وهو الودود، والود من نعوته وهو الثابت فيه، وبه سمّي الودّ ودّاً لثبوته في الأرض. واللقب الثالث: العشق وهو إفراط المحبة، وكنى عنه في القرآن بشدة الحب في قوله: (... وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ...) (البقرة: ١٦٥) وهو قوله: (... قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ...) (يوسف: ١٢: ٣٠) أي صار حبها يوسف عليه السلام على قلبها كالشغاف وهي الجلدة الرقيقة التي تحتوي على القلب فهي ظرف له محيطه، وقد وصف الحق نفسه في الخبر بشدة الحب غير أنه لا يطلق على الحق اسم العشق، والعاشق والعشق التفاضل الحب على المحب حتى خالط جميع أجزائه، واشتمل عليه اشتمال الصماء مشتق من العشقة. واللقب الرابع: الهوى وهو استفراغ الإرادة في المحبوب والتعلّق به في أول ما يحصل في القلب وليس لله منه اسم، ولحصوله سبب، نظرة أو خبر أو إحسان، وأسبابه كثيرة، ومعناه في الخبر الإلهي الصحيح حب الله عبده إذا أكثر نوافل الخيرات، وكذلك اتباع الرسول فيما شرع، وهذا منزلته فينا مسمّى الهوى واختلف الناس في حدّه فما رأيت أحداً حدّه بالحدّ الذاتي بل لا يتصور ذلك، فما حدّه من حدّه إلاّ بتناججه وآثاره ولوازمه، ولا سيما وقد

أن بعضها من درجات الحب أيضاً) حسب المعاني اللغوية لتلك الألفاظ في معاجم العربية المعتبرة، ومنها ما يلي:

اتصف به الجناب العزيز وهو الله. وأحسن ما سمعت فيه ما حدثنا به غير واحد عن أبي العباس ابن العريف الصنهاجي قالوا: سمعناه يقول وقد سئل عن المحبة فقال: الغيرة من صفات المحبة والغيرة تأبى إلاّ الستر فلا تحذ. واعلم أن الأمور المعلومات على قسمين: منها ما يحد، ومنها ما لا يحد، والمحبة عند العلماء بها، المتكلمين فيها، من الأمور التي لا تحد، فَيَعْرِفُهَا من قامت به ومن كانت صفته ولا يَعْرِفُ ما هي ولا ينكر وجودها إن الحب تعلق خاص من تعلقات الإرادة". (الشيخ ابن عربي، الفتوحات المكية، مجلد ٢، ص ٣١٧-٣٢٢).

قال **الأنصاري الهروي** (توفي سنة ٤٨١هـ): "وأما قسم الأحوال فهو عشرة أبواب وهي: المحبة، والغيرة، والشوق، والقلق، والعطش، والوجد، والدّهش، والهيمان، والبرق، والذوق". (الهروي، منازل السائرين، ص ٨٨).

قال **ابن العريف** (توفي سنة ٥٣٦هـ): "وأما محبة العوام فإنها تنبت من مطالعة المنة، وتنبت باتباع السنة، وتنمو على الإجابة للعناية ... وأما محبة الخواص فهي محبة خاطفة، تقطع العبارة، وتدقق الإشارة، ولا تنتهي بالنعوت، ولا تُعرف إلا بالخير والسكوت". (ابن العريف، النفائس ومحاسن المجالس، ص ٦٩٦).

قال **ابن قيم الجوزية** (توفي سنة ٧٥١هـ): "وقد اجتمعت هذه المعاني الثلاثة في الحب، فوضعوا له قريباً من ستين اسماً وهي: المحبة، والعلاقة، والهوى، والصبوة، والصباية، والشغف، والمقّة، والوجد، والكلف، والتئيم، والعشق، والجوى، والدنف، والشجوى، والشوق، والخلاية، والبلابل، والتباريح، والسدم، والعمرات، والوهل، والشجن، واللاعج، والاكيتاب، والوصب، والحزن، والكمد، واللذع، والحرق، والسهد، والأرق، واللّهف، والحنين، والاستكانة، والتبالة، واللوعة، والفتون، والجنون، واللّم، والحبل، والرييس، والداء المخامر، والود، والخلة، والحلم، والعزام، والهيام، والتدلية، والولة، والتعبّد. وقد ذكر له أسماء غير هذه وليست من أسمائه، وإنما هي من موجباته وأحكامه فتركنا ذكرها". (ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص ٢٠).

١. الحب:

الحب حُب، قد ذكرناه سابقاً في فصل "تعريف الحب".

٢. مَحَبَّة:

قال الله ﷻ:

... **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي** ﴿٣٩﴾ (طه: ٣٩)

(أ) قال الراغب: " والمحبة إرادة ما تراه أو تظنّه خيراً، وهي على ثلاثة أوجه: محبة للذة كمحبة الرجل المرأة ومنه: **وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا...** (الإنسان: ٧٦)، ومحبة للنفع كمحبة شيء ينتفع به، ومنه: **وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴿١٣﴾ (الصف: ٦١، ١٣)، ومحبة للفضل كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم، وربما فسّرت المحبة بالإرادة في نحو قوله ﷻ: ... **فِيهِ رِجَالٌ مُّحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا** ... (التوبة: ٩، ١٠٨) وليس كذلك، فإن المحبة أبلغ من الإرادة كما تقدّم آنفاً، فكل محبة إرادة، وليس كل إرادة محبة "١٥٣.

(ب) وقال ابن منظور: "والحبة أيضاً: اسم للحب" ١٥٤.

(ج) وقال الزبيدي ١٥٥: "والحب: الوداد والمحبة" ١٥٦.

١٥٣ المفردات، ص ١١٢.

١٥٤ لسان العرب، ١/ ٢٨٩.

١٥٥ تاج العروس، ١/ ٣٩١.

١٥٦ مسألة: هل "الحب" و "المحبة" نفس الشيء؟

نستخلص من مراجعة كتب اللغة في مادة "حب" الفرق بين معنى الحب والمحبة، بأن الحب أبلغ من المحبة وأقوى وأعلى بدرجات، قال ابن منظور: "والحُبُّ الوداد والمحبة، وكذلك الحِبُّ بالكسر"، (ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٢٨٩). وذكر الإمام الراغب في المفردات أن معنى الحِبِّ بكسر الحاء هو "من فرط حُبِّه"، وقال الرازي في مختار الصحاح: "والحب أيضاً المحبة وكذا الحِبُّ بالكسر، والحِبُّ أيضاً الحبيب". وعرفوا المحبة بأنها: "إرادة

٣. الاستحباب:

قال الله ﷻ:

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ (النحل، ١٦: ١٠٧)

(أ) قال الراغب: "وقوله ﷻ: **يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّحِدُوا ءَابَاءَكُمْ**

وَإِحْوَانَكُمْ أُولِيَاءَ إِن اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ (التوبة، ٩: ٢٣) أي إن آثروه عليه، وحقيقة الاستحباب أن يتحرى

الإنسان في الشيء أن يُحِبَّهُ" ١٥٧.

(ب) وقال ابن منظور: "واستحبه كأحبه، والاستحباب كالأستحسان" ١٥٨.

(ج) وقال الزبيدي ١٥٩: "واستحبه كأحبيته، والاستحباب

ما تراه أو تظنه خيراً" وهي كما ذكروها من ثلاثة أوجه: محبة للذة، ومحبة للنفع، ومحبة للفضل، أما الحب كما يظهر من كلامهم فهو للذات نفسها. فيتين من هذا كله أن كلمة "الحب" أقوى وأرفع من كلمة "المحبة".

على أن بعض المفسرين ذكروا أن معنى قوله ﷻ: **... وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِي** ... (طه، ٢٠: ٣٩) هو أن الله ﷻ ألقى على سيدنا موسى ﷺ مسحة جمال خاصة تجعل من رآه من الناس يحبونه، قال الفخر الرازي: "وألقى عليك محبة حاصلة مني واقعة بخلقى فلذلك أحببتك امرأة فرعون حتى قالت: **... قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلكَ لَا تَقْتُلُوهُ** ... (القصر، ٢٨: ٩٠)، ويروى أنه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحه لا يكاد يبصر عنه من رآه ... قال القاضي: .. والمراد أن ما ذكرناه من كفيته في الخلقه يُسْتَحْلَى ويُعْتَبَطُ فكذلك كانت حاله مع فرعون وامرأته فسهل الله ﷻ له منهما في التربية ما لا مزيد عليه". (الفخر الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، ٤٨/٨). وفي هذه الحالة أيضاً فإن المحبة درجة دون الحب، لأنه المحبة من الناس أدنى من حب الله ﷻ، والله أعلم.

١٥٧ المفردات، ص ١١٣.

١٥٨ لسان العرب، ١/٢٨٩.

١٥٩ تاج العروس، ١/٣٩٢.

٤ . الرحمة:

وقد ذكرناها سابقاً في فصل " الله ﷻ والحب " .

قال الله ﷻ:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ (الروم، ٣٠: ٢١)

وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ (هود، ١١: ٩٠)

(أ) قال الراغب: " والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو: رحم الله فلاناً، وإذا وُصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة، وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال ومن الآدميين رقة وتعطف " ١٦١ .

(ب) وقال ابن منظور: " الرحمة الرقة والتلطف ... والرحمة في بني آدم عند العرب: رقة القلب وعطفه، ورحمة الله: عطفه وإحسانه ورزقه " ١٦٢ .

(ج) وقال الزبيدي: " الرحمة: الرقة، ... وقال الحرالي: الرحمة نحلة ما يوافي المرحوم في ظاهره وباطنه، أدناه كشف الضر وكف الأذى، وأعلاه الاختصاص برفع الحجاب " ١٦٣ .

١٦٠ مسألة: كيف يعتبر " الاستحباب " نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه للاستحباب أنه تحريُّ الإنسان في الشيء لكي يحبه وقد جاء في كلام ابن حزم حيث قال: " فترى الناظر لا يطرف، يتنقل بتنقل المحبوب، وينزوي بانزواته، ويميل حيث مال " . (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٣) .

١٦١ المفردات، ص ١٩٧ .

١٦٢ لسان العرب، ١٢ / ٢٣٠ .

١٦٣ تاج العروس، ١٦ / ٢٧٤ .

٥. الرأفة:

قال الله ﷻ:

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۗ فَفَاتِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۗ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ

فَنَسِقُونَ ﴿٢٧﴾ (الحديد، ٥٧: ٢٧)

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِيَ فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَلَيْسَ هَدٍ عَذَابُهُمَا طَافِةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ (النور، ٢٤)

(٢٠:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٣٨﴾ (التوبة، ٩: ١٢٨)

(أ) قال الراغب: "الرأفة الرحمة وقد رُؤِفَ فهو رُؤُوفٌ ورؤُوف ... قال ﷻ: ... وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ... " ١٦٤ .

(ب) وقال ابن منظور: "الرأفة الرحمة، وقيل: أشد الرحمة ... ومن صفات الله ﷻ الرؤوف وهو الرحيم لعباده العطوف عليهم بألطافه والرأفة أخص من الرحمة وأرق" ١٦٥ .

(ج) وقال الزبيدي^{١٦٦}: "والرأفة: أشد الرحمة أو أرقها كما في الصحاح، والذي في الجمل: أنها مطلق الرحمة وأخص ولا تكاد تقع في الكراهية، والرحمة قد تقع في الكراهية للمصلحة. وقال الفخر الرازي: الرأفة مبالغة في

١٦٤ المفردات، ص ١٨٩ .

١٦٥ لسان العرب، ٩/ ١١٢ .

١٦٦ تاج العروس، ١٢/ ٢٢١ .

رحمة مخصوصة ... وما يستدرك عليه: الرؤوف من الأسماء الحسنى هو الرحيم لعباده العطوف عليهم بألفاظه، وتراءفَ الوالد بولده " ١٦٧ .

٦. الوُد:

قال الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٦٦﴾ (مریم، ١٩: ٩٦)

(أ) قال الراغب: "الوُدُّ: محبة الشيء وتمني كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين، على أن التمني يتضمن معنى الود، لأن التمني هو تشهي حصول ما توّده" ١٦٨ .

(ب) وقال ابن منظور: "الود مصدره المودة. وقال ابن سيده: الود الحب يكون في جميع مداخل الخير" ١٦٩ .

(ج) وقال الزبيدي: "الود والوداد الحب والصدّاقة، ثم استعير للتمني، وقال ابن سيده: الود الحب يكون في جميع مداخل الخير" ١٧٠ .

٧. المودّة:

قال الله ﷻ:

وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

١٦٧ مسألة: كيف تعتبر "الرأفة" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من كلام العلماء أعلاه وتعريفهم للرأفة أنها: أخص من الرحمة وأرق، والرحمة رقة تقتضي الإحسان والعطف، وعادة تتلازم الرقة مع المحبة لأنه يبعد أن يرأف الإنسان بمن يكرهه ولا يحبه، بل إن المحبوب للقلب تجدل له في القلب رحمة ورأفة.

١٦٨ المفردات، ص ٥٣٢ .

١٦٩ لسان العرب، ٣/ ٤٥٣ .

١٧٠ تاج العروس، ٥/ ٣٠٤ .

الحب في القرآن الكريم

وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم: ٣٠)

... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ... (الشورى: ٤٢: ٢٣)

(أ) قال الراغب: "وفي المودة التي تقتضي المحبة المجردة ... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ... قال بعضهم مودة الله لعباده هي مراعاته لهم" ١٧١ .

(ب) وقال ابن منظور: "الود مصدره المودة ... وقيل إنها سميت بالمودة التي هي المحبة" ١٧٢ .

(ج) وقال الزبيدي: "سميت بالمودة التي هي المحبة" ١٧٣ .

٨. الوداد:

قال الله ﷻ:

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٨﴾

(المجادلة: ٥٨: ٢٢)

(أ) قال الراغب: "الود محبة الشيء ... وقوله ﷻ: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...، فنهى عن موالاته الكفار وعن

مظاهرتهم" ١٧٤ .

(ب) وقال ابن منظور: "قال ابن الأنباري: الودود في أسماء الله عز وجل

١٧١ المفردات، ص ٥١٧ .

١٧٢ لسان العرب، ٣/ ٤٥٣ .

١٧٣ تاج العروس، ٥/ ٣٤ .

١٧٤ المفردات، ص ٥١٦ .

الحبُّ لعباده من قولك وَدَدْتُ الرجلَ أَوَدَّهُ وِدًّا ووداداً ووداداً^{١٧٥}.

(ج) قال الزبيدي: "وِدَادَةٌ بكسر الواو كما صرَّحَ به ابنُ السيد في المثلث وحكى غيرُهُم فيه الضَّمُّ أيضاً فيكون مُثَلَّثاً كالوَدَادِ قاله شيخُنَا. قلت: وفي الأفعال لابن القطّاع: وَدَدْتُ الشَّيْءَ وُدًّا ووداداً: أَحَبَبْتُهُ ولو فَعَلَ الشَّيْءَ وِدَادَةً أَي تَمَنَيْتُهُ هذا كلامُ العَرَبِ ووداداً ووداداً ووداداً فَعَلَ الاثنيْنِ. فظهرَ منه أن الودادَ بالكسر والودادَةَ والودادةَ بالفتح والكسر مصدرُ وادَهُ أَي بابِ المُفاعلة"^{١٧٦}.

٩. الإرادة:

قال الله ﷻ:

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبِعُولَتِهِنَّ أَوْ بَرَدِهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَّمَنِ بِالْعُرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(البقرة، ٢: ٢٢٨)

(أ) قال الراغب: "والإرادة في الأصل قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل، وجُعِلَ اسماً لنزوع النفس إلى الشيء مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أو لا يُفعل، والمرادة أن تنازع غيرك في الإرادة فتريد غير ما يريد... قال ﷻ: ... هِيَ رَوَدَّتِي عَنْ نَفْسِي ... وقال ﷻ: ... تُرَوِّدُ فَتَنَهَا عَنْ نَفْسِهِ ..."^{١٧٧}.

(ب) وقال ابن منظور: "وأراد الشيءَ أحبّه وغنيبَه به"^{١٧٨}.

١٧٥ لسان العرب، ٣/ ٤٥٣.

١٧٦ تاج العروس، ٢/ ٥٢٩.

١٧٧ المفردات، ص ٢٠٦-٢٠٧.

١٧٨ لسان العرب، ٣/ ١٩١.

(ج) وقال الزبيدي^{١٧٩}: " قال ثعلب: الإِرَادَةُ تكونُ محبةً وغير محبة " ١٨٠.

١٠. الشغف:

قال الله ﷻ:

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَن نَّفْسِهِ ۗ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۗ إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤١﴾ (يوسف، ١٢: ٣٠)

(أ) قال الراغب: " شغفها حباً أي أصاب شغاف قلبها أي باطنه " ١٨١.

(ب) وقال ابن منظور: " الشَّغَافُ غلاف القلب وهو جلدة دونه كالحجاب وسويداؤه ... وشغفه الحبُّ يشغفه شَغْفًا وشَغْفًا وصل إلى شغاف قلبه، وقرأ ابن عباس قد شَغَفَهَا حُبًّا قال: دخل حُبُّه تحت الشَّغَاف " ١٨٢.

(ج) وقال الزبيدي: " وفي الصَّحاح: شَغَفَهُ الحُبُّ أَي: بَلَغَ شَغَافَهُ، قلتُ: وهو قَوْلُ ابنِ السُّكَيْتِ وقال الفَرَّاءُ: أَي خَرَقَ شَغَافَ قَلْبِهِ وَقَرَأَ ابنُ عَبَّاسٍ: قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا قال: دَخَلَ حُبُّهُ تَحْتَ الشَّغَافِ وقال اللَّيْثُ: أَي أَصَابَ حُبُّهُ شَغَافَهَا " ١٨٣.

١٧٩ تاج العروس، ٢/٣٥٨.

١٨٠ مسألة: كيف تعتبر "الإرادة" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص مما قاله العلماء أعلاه في تعريف الإرادة المقترنة بالمحبة أن الإرادة كما قال

ابن منظور: " أراد الشيء أحبه وعني به " . وفي ذلك يقول ابن حزم:

" تجد المحب يستدعي سماع اسم من يحب ويستلذ الكلام في أخباره ويجعلها هجيره

(أي: دأبه وعادته) ... فلو أمكن المحب ألا يكون حديث في مكان يكون فيه إلا دُكِرَ من يجبه

لما تعداه " . (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٥-١٦).

١٨١ المفردات، ص ٢٦٣.

١٨٢ لسان العرب، ٩/١٧٩.

١٨٣ تاج العروس، ٦/١٥٧.

١١. الهوى:

قال الله ﷻ:

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا ^ط كَمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ (المائدة، ٧٠)

أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿٤٣﴾ (الفرقان، ٤٣)

إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ^ع إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ^ط وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٣٣﴾ (النجم، ٥٣، ٢٣)

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ^ط فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ^ط وَمَا هُمْ مِنْ ناصرين ﴿٢٩﴾ (الروم، ٢٩، ٣٠)

(أ) قال الراغب: "الهوى ميل النفس إلى الشهوة، وقيل سُمِّيَ بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية" ^{١٨٤}.

(ب) وقال ابن منظور: "قال ابن سيده: الهوى العشق يكون في مداخل الخير والشر" ^{١٨٥}.

(ج) وقال الزبيدي: "والهوى بالقصر العشق، وقال الليث: هوى الضمير، وقال الأزهرى: هو محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه ومنه قوله ﷻ:

"...وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ" (النازعات، ٧٩، ٤٠) أي عن شهواتها وما تدعو إليه من

المعاصي، قال ابن سيده: يكون في مداخل الخير والشر، وقال غيره: من تكلم بالهوى مطلقاً لم يكن إلا مذموماً حتى ينعت بما يخرج معناه كقولهم هوى حسن وهوى موافق للصواب" ^{١٨٦}.

١٨٤ المفردات، ص ٥٤٨.

١٨٥ لسان العرب، ٣٧٣/١٥.

١٨٦ تاج العروس، ٤١٥/١٠.

١٢. الاستهواء:

قال الله ﷻ:

قُلْ أُنذِرُوا مِنْ ذُوبِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرُدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَاهُ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٨﴾ (الأأنام، ٦٨: ٧١)

(أ) قال الراغب: "كالذي استهوته الشياطين، أي حملته على اتباع الهوى" ^{١٨٧}.

(ب) وقال ابن منظور: "واستهوته الشياطين ذهب بهواه وعقله وفي التنزيل العزيز "كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ" وقيل استهوته استهامته وحيرته وقيل زينت الشياطين له هواء حيران في حال حيرته ويقال للمُستهام الذي استهامته الجنُ استهوته الشياطين القتيبي استهوته الشياطين هوت به وأذهبته جعله من هوى يهوي وجعله الزجاج من هوي يهوي أي زينت له الشياطين هواء" ^{١٨٨}.

(ج) وقال الزبيدي: "وقوله ﷻ: ... كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ ... أي ذهب بهواه وعقله، وقال القتيبي: أي هوت به وأذهبته، جعله من هوى يهوي، أو استهامته وحيرته أو زينت له هواء وهذا قول الزجاج جعله من هوى يهوي" ^{١٨٩}.

١٨٧ المفردات، ص ٥٤٨.

١٨٨ لسان العرب، ٣٧١/١٥.

١٨٩ تاج العروس، ٤١٥/١٠.

١٣. الغوى:

قال الله ﷻ:

وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٦٠﴾ (الشعراء، ٢٦٠: ٢٢٤)

(أ) قال الراغب: " قيل معنى غوى فسد عيشه من قولهم غَوِيَ الفصيل وغَوَى نحو هَوِيَ وهَوَى " ١٩٠ .

(ب) وقال ابن منظور: " وقوله ﷻ: ... وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ... قيل في تفسيره الغاؤون الشياطينُ وقيل أيضاً الغاؤونَ من الناس قال الرَّجَّاحُ والمعنى أَنَّ الشاعرَ إِذَا هَجَا بما لا يجوزُ هَوِيَ ذلك قَوْمٌ وَأَحْبُوهُ فهم الغاؤون " ١٩١ .

(ج) وقال الزبيدي^{١٩٢}: " وقوله ﷻ: ... وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ... جاء في التفسير: أي الشياطين أو من ضل من الناس أو الذين يحبون الشاعر إذا هجا قوماً بما لا يجوز، نقله الرَّجَّاحُ، أو يحبونه لمدحه إياهم بما ليس فيهم ويتابعونه على ذلك " ١٩٣ .

١٤. الهَم:

قال الله ﷻ:

١٩٠ مفردات، ص ٣٦٩.

١٩١ لسان العرب، ١٤٠/١٥.

١٩٢ تاج العروس، ١٠/٢٧٣.

١٩٣ مسألة: كيف تعتبر " الغواية " نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه للغواية وخاصة عند تفسيرهم لقوله ﷻ:

وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٦٠﴾ (الشعراء، ٢٦٠: ٢٢٤)، " أن الشاعر إذا هجا بما لا يجوز هوى ذلك قوم

وأحبوه " كما يقول ابن منظور، إذا يظهر من هذا أن الغواية نوع من أنواع الحب وهي أن

يحب بعض الناس الشاعر إذا هجا قوماً بما لا يجوز، أو يحبون هذا الشاعر لمدحه إياهم، كما

يقول الزبيدي في تاج العروس. (الزبيدي، تاج العروس، ١٠/٢٧٣).

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا^ط أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ^ع كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ
وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ رَمَى بِنُجْمٍ مِّنَ الْمُتَلَوِّينَ ﴿٢٤﴾ (يوسف، ١٢: ٢٤)

(أ) قال الراغب: "والهم ما هممت به في نفسك" ١٩٤.

(ب) وقال ابن منظور: "وسئل ثعلب عن قوله ﷺ: **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^ط وَهَمَّ بِهَا
لَوْلَا^ط أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ^ع ...** ، قال: همت زليخا بالمعصية مصرّة على ذلك، وهم
يوسف عليه السلام بالمعصية ولم يأتها ولم يصر عليها فين الهمتين فرق ...
وقال أبو عبيد: هذا على التقديم والتأخير كأنه أراد: ولقد هممت به ولولا أن
رأى برهان ربه لهم بها" ١٩٥.

(ج) وقال الزبيدي: "والهم ما هم به في نفسه أي نواه وأراده وعزم عليه
وسئل ثعلب عن قوله ﷺ: **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا^ط أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ^ع ...**
قال همّت زليخا بالمعصية مصرّة على ذلك وهم يوسف ﷺ بالمعصية ولم
يأت بها ولم يصر عليها فين الهمين فرق وقال أبو حاتم عن أبي عبيدة هذا
على التقديم والتأخير كأنه أراد ولقد همّت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم
بها" ١٩٦.

١٥. الرغب:

قال الله ﷻ:

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ^ط قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي
يَتَمَىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُوهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ

١٩٤ المفردات، ص ٥٤٥.

١٩٥ لسان العرب، ١٢/٦٢٠.

١٩٦ تاج العروس، ٩/١٠٩.

مِنَ الْوَالِدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ
عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ (النساء، ٤: ١٢٧)

فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ (الأنبياء، ٢١: ٩٠)

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَىٰ اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ (التوبة، ٩: ٥٩)

وَأِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾ (الشرح، ٩٤: ٨)

(أ) قال الراغب: "والرَّغْبَةُ والرَّغَبُ والرُّغْبَى السعة في الإرادة، قال رحمته: ...
وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ...، فإذا قيل رغب فيه وإليه يقتضى الحرص عليه قال
رحمته: ... إِنَّا إِلَىٰ اللَّهِ رَاغِبُونَ ١٩٧ .

(ب) وقال ابن منظور: "رَغِبَ يَرْغَبُ رَغْبَةً إِذَا حَرَّصَ عَلَى الشَّيْءِ وَطَمَعَ
فِيهِ، وَالرَّغْبَةُ السُّؤَالُ وَالطَّمَعُ وَأَرْغَبَنِي فِي الشَّيْءِ وَرَغَّبَنِي بِمَعْنَى وَرَغَّبَهُ أَعْطَاهُ
مَا رَغِبَ" ١٩٨ .

(ج) وقال الزبيدي: "رغب فيه: ... أراده، ورغب إليه: ... ابتهل" ١٩٩ .

١٦. التقارب، المقاربة، القرب:

قال الله رحمته:

وَنَدَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْتَهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ (مریم، ١٩: ٥٢)

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۗ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ

١٩٧ المفردات، ص ١٩٨ .

١٩٨ لسان العرب، ١/ ٤٢٢ .

١٩٩ تاج العروس، ١/ ٢٧٣ .

عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرُ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿٥٧﴾ (النساء: ٤٠، ١٧٢)

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۗ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّكَ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ

وَزُهَبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٨﴾ (المائدة: ٥٨)

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿٥٩﴾ (البقرة: ٢، ١٨٦)

(أ) قال الراغب: " القرب والبعد يتقابلان، ... ويستعمل ذلك في المكان وفي الزمان وفي النسبة وفي الحظوة والرعاية ... في الخطوة: الملائكة المقربون، وقال في عيسى عليه السلام: وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين... " ٢٠٠ .

(ب) وقال ابن منظور: " وفي الحديث مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَيْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِراعاً المراد بقُربِ العَبْدِ مِنَ اللَّهِ عز وجل القُربُ بالدُّكْرِ والعمل الصالح لا قُربُ الذاتِ والمكان لأن ذلك من صفات الأَجسام واللَّهِ يَتَعَالَى عن ذلك وَيَتَقَدَّسُ والمراد بقُربِ اللَّهِ ﷻ مِنَ العَبْدِ قُربُ نَعْمِهِ وَالطَّافَهُ مِنْهُ وَبِرُّهُ وَإِحْسَانُهُ إِلَيْهِ وَتَرَادُفُ مَبْنِيهِ عِنْدَهُ وَفِيضُ مَوَاهِبِهِ عَلَيْهِ " ٢٠١ .

(ج) وقال الزبيدي: " وَالتَّقَرُّبُ: التَّدْبِيُّ إِلَى شَيْءٍ وَالتَّوَصُّلُ إِلَى إِنْسَانٍ بِقُرْبَةٍ أَوْ بِحَقٍّ. وَالْإِقْرَابُ: الدُّنُو. يُقَالُ: قَرَبَ فُلَانٌ أَهْلَهُ قُرْبَاناً إِذَا غَشِيَهَا " ٢٠٢ .

١٧. الغرام:

قال الله ﷻ:

٢٠٠ المفردات، ص ٣٩٨.

٢٠١ لسان العرب، ١/ ٦٦٧.

٢٠٢ تاج العروس، ١/ ٤٢٥.

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾

(الفرقان، ٢٥: ٦٥)

إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ (الواقعة، ٥٦: ٦٦)

(أ) قال الراغب: "قال ﷺ: ... إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا" ^{٢٠٣}، من قولهم هو مُغْرَمٌ بالنساء أي يلازمهن ملازمة الغريم" ^{٢٠٤}.

(ب) وقال ابن منظور: "والغرامُ اللازم من العذاب والشرُّ الدائم والبلاءُ والحُبُّ والعشق وما لا يستطيع أن يُتَفَصَّى منه" ^{٢٠٥}.

(ج) وقال الزبيدي: "الغرام الولوع، وقد أغرم بالشيء أي أولع به، ... والمغرم كمكرم أسير الحب ومثقل الدين، والمراد بالحب حب النساء كما هو نص أبي عبيدة" ^{٢٠٦}.

١٨. الهيام:

قال الله ﷻ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٤﴾ (الشعراء، ٢٦: ٢٢٥)

(أ) قال الراغب: "يقال رجل هيمان وهائم شديد العطش، وهام على وجهه ذهب، والهيام داء يأخذ الإبل من العطش ويضرب به المثل فيمن اشتد به العشق، وهام ذهب في الأرض واشتد عشقه وعطش" ^{٢٠٧}.

٢٠٣ قال القرطبي في تفسير قوله ﷻ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ (الفرقان، ٢٥: ٦٥): "أي لازماً دائماً

غير مفارق، ومنه سُمِّيَ الغريم لملازمته، ويقال: فلان مغرم بكذا أي ملازم له مولع به". (تفسير القرطبي، ١٣/ ٧١).

٢٠٤ المفردات، ص ٣٦٠.

٢٠٥ لسان العرب، ١٢/ ٤٣٦.

٢٠٦ تاج العروس، ٩/ ٣.

٢٠٧ المفردات، ص ٥٤٧.

(ب) وقال ابن منظور: "والهيامُ كالجنون وفي التهذيب كالجنون من العشق ... والهائم ... الذاهبُ على وجهه عشقاً هامَ بها هيماً وهيوماً وهياماً وهيماً وهيماً" ٢٠٨.

(ج) وقال الزبيدي: "والهيام بالضم كالجنون من العشق وهو مجاز وقد هام على وجهه بهيم ذهب من العشق" ٢٠٩.

١٩. الخُلة:

قال الله ﷻ:

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿٢٢٥﴾ (النساء، ٤: ١٢٥)

﴿٢٢٥﴾ (الزخرف، ٤٣: ٤٣)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ (البقرة، ٢: ٢٥٤)

(أ) قال الراغب: "والخُلةُ المودَّةُ، إما لأنها تتخلل النفس أي تتوسّطها وإما لأنها تُخللُ النفس فتؤثر فيه تأثير السهم في الرمية، وإما لفرط الحاجة إليها، يقال منه: خالته مخالّة وخلالاً فهو خليل ... فإن الخُلة من تخلل الود نفسه ومخالطته كقوله: قد تخللت مسلك الروح مني وبه سُمِّيَ الخليل خليلاً" ٢١٠.

(ب) وقال ابن منظور: "والخلُّ الودُّ والصديق ... الخُلة بالضم الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خِلاله أي في باطنه والخليل الصديق فعيل بمعنى مُفَاعِلٍ وقد يكون بمعنى مفعول قال وإنما قال ذلك لأن خُلته كانت

٢٠٨ لسان العرب، ١٢/٦٢٦.

٢٠٩ تاج العروس، ٩/١١٢.

٢١٠ المفردات، ص ١٥٣.

مقصورة على حب الله ﷺ فليس فيها لغيره مُتَسَّعٌ ولا شَرِكَةٌ من مَحَابِّ الدنيا والآخرة وهذه حال شريفة لا ينالها أحد بكسب ولا اجتهاد فإن الطباع غالبة وإنما يخص الله بها من يشاء من عباده مثل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين " ٢١١ .

(ج) وقال الزبيدي: "والخُلَّةُ أيضاً الصداقة المختصة التي لا خلل فيها تكون في عفاف الحب وفي دعارة منه ... والخلُّ بالكسر والضم: الصديقُ المَخْتَصُّ أو لا يُضْمُّ إلا مع وُدٍ يقال: كان لي وُدًّا وُخْلًا ... قال الله ﷺ: ... وَأَخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا. أو قيل: الخليل: الصادقُ عن ابن الأعرابي. وقال الزجاج: هو المحبُّ الذي لا خللَ في محبَّته وبه فسَّرَ الآية أي أحبَّه محبَّةً تامَّةً لا خللَ فيها" ٢١٢ .

٢٠. الصداقة:

وقد ذكرناها سابقاً في فصل " حب الآخرين " .

قال الله ﷺ:

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۗ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ

٢١١ لسان العرب، ١١/ ٢١١.

٢١٢ تاج العروس، ٧/ ٣٠٨.

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ (النور: ٢٤، ٦١)

وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿٦٢﴾ (الشعراء: ٢٦، ١٠١)

(أ) قال الراغب: " والصدّاقة صدق الاعتقاد في المودّة وذلك مختصّ بالإنسان دون غيره " ٢١٣ .

(ب) وقال ابن منظور: " والصدّاقة مصدر الصديق واشتقاقه أنه صدّقه المودّة والنصيحة والصديق المصادق لك والجمع صدّقاء وصدّقان وأصدّقاء وأصدّق " ٢١٤ .

(ج) وقال الزبيدي: " والصديق كأمير: الحبيب المصادق لك يُقال ذلك للواحد والجمع والمؤنث " ٢١٥ .

٢١. الصحبة:

وقد ذكرناها سابقاً في فصل " حب الآخرين " .

قال الله ﷻ:

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ (التوبة: ٩، ٤٠)

(أ) قال الراغب: " صاحب الملازم، إنساناً كان أو حيواناً أو مكاناً أو زماناً، بين أن تكون مصاحبته بالبدن وهو الأصل، أو بالعناية والهمة ... ولا يقال

٢١٣ المفردات، ص ٢٧٨ .

٢١٤ لسان العرب، ١٠/ ١٩٣ .

٢١٥ تاج العروس، ٦/ ٤٠٤ .

في العرف إلا لمن كثرت ملازمته " ٢١٦ .

(ب) وقال ابن منظور: "يقال صاحب وأصحاب كما يقال شاهد وأشهد وناصر وأئصار ومن قال صاحب وصُحبة فهو كقولك فاره وفُرهة وغلّام رائق والجمع رُوقة والصُّحبة مصدر قولك صَحِبَ يَصْحَبُ صُحْبَةً وقالوا في النساءِ هنَّ صَواحِبُ يوسف وحكى الفارسي عن أبي الحسن هنَّ صواحيبات يوسف جمعوا صَواحِبَ جمع السلامة كقوله فَهِنَّ يَعْلُكُنَّ حَدَائِدَاتِهَا وقوله جَذِبَ الصَّرَارِيْنَ بِالْكَرُورِ والصُّحَابَةَ مصدر قولك صَاحَبَكَ اللَّهُ وَأَحْسَنَ صَحَابَتَكَ وتقول للرجل عند التوديع مُعَانًا مُصَاحِبًا ومن قال مُعَانًا مُصَاحِبًا فمعناه أنت معان مُصَاحِبٍ ويقال إنه لمُصَاحِبٍ لنا بما يُحِبُّ" ٢١٧ .

(ج) وقال الزبيدي ٢١٨: "صحبه ... عاشره ... والصُّحْبَةُ مَصْدَرُ قَوْلِكَ: صَحِبَ يَصْحَبُ صُحْبَةً. وقالوا: في النساءِ: هُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ. وحكى الفَارِسِيُّ عَن أَبِي الْحَسَنِ: هُنَّ صَوَاحِبَاتُ يُوسُفَ. جَمَعُوا صَوَاحِبَ جَمَعَ السَّلَامَةَ. والصُّحَابَةَ بِالْكَسْرِ: مَصْدَرُ قَوْلِكَ صَاحَبَكَ اللَّهُ وَأَحْسَنَ صَحَابَتَكَ وَهُوَ مَجَازٌ. وَاسْتَصْحَبَهُ: دَعَاهُ إِلَى الصُّحْبَةِ. وَلَازِمَهُ وَكُلُّ مَا لَازِمٌ شَيْئًا فَقَدْ اسْتَصْحَبَهُ" ٢١٩ .

٢١٦ المفردات، ص ٢٧٥ .

٢١٧ لسان العرب، ١/ ٥١٩ .

٢١٨ تاج العروس، ١/ ٣٣٢ .

٢١٩ مسألة: كيف تعتبر "الصحبة" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعاريف العلماء أعلاه للصحبة أنها تعني الملازمة وهي إما أن تكون ملازمة بالبدن أو بالعناية والهمة، وقالوا في اللغة عن النساء: "هن صواحب يوسف" أي اللاتي أحبينه، ولذا قال ابن حزم في هذا:

"فإنك بينما ترى المحيين قد بلغا الغاية من الاختلاف الذي لا يُقَدَّرُ يصلح عند الساكن النفس السلام من الأحقاد في الزمن الطويل ولا ينجبر عند الحقدو أبدأ، فلا تلبث أن تراهما قد عادا إلى أجمال الصحبة، وأهدرت المعاتبه، وسقط الخلاف وانصرفا في ذلك الحين بعينه إلى

٢٢. الإيثار:

قال الله ﷻ:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَبِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَمِنْ يَدَيْهِمْ يُرَدُّونَ فِيهَا رَدًّا وَإِنْ ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْلَوْا بِكُمْ وَكْفَرُوا فَأَتُواكُمْ فِي ظُلْمَةٍ فَأَسْرِ بِكُمْ بِالنَّجَىٰ
 شَحَّ نَفْسِهِ فَأَوْلَتْكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ ﴿٩٠﴾ (الحشر، ٥٩: ٩٠)

قَالُوا تَأَلَّفَ لَقَدْ ءَاتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ (يوسف، ١٢: ٩١)

بَلْ تُوذُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٩٢﴾ (الأعلى، ٨٧: ٩٢)

(أ) قال الراغب: "المآثر ما يروى من مكارم الإنسان، ويستعار الأثر للفضل والإيثار للتفضل، ومنه آثرته ... والاستئثار التفرّد بالشيء من دون غيره، وقولهم: استأثر الله بفلان ... تنبيه أنه ممن اصطفاه وتفرّد تعالى به من دون الورى تشریفاً له " ٢٢٠ .

(ب) وقال ابن منظور: "أثرتُ فلاناً على نفسي من الإيثار، الأصمعي: أكرثك إيثاراً أي فضلك وفلان أثيرٌ عند فلان وذو أثره إذا كان خاصاً" ٢٢١ .

(ج) وقال الزبيدي ٢٢٢: "يقال: فلانٌ أثيري أي من خلصائي. وفي بعض الأصول: أي خلصاني. وفلانٌ أثيرٌ عند فلان وذو أثره إذا كان خاصاً. رجلٌ أثيرٌ: مكيّنٌ مكرّمٌ. وفي الأساس: وهو أثيري أي الذي أوثره وأقدمه" ٢٢٣ .

المضاحكة والمداعبة، هكذا في الوقت الواحد مراراً. وإذا رأيت هذا من اثنين فلا يخالجك شك ولا يداخلك ريب البتة ولا تتمار في أن بينهما سرّاً من الحب دفيناً". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٥).

٢٢٠ المفردات، ص ١٠.

٢٢١ لسان العرب، ٤/٥.

٢٢٢ تاج العروس، ٣/٦.

٢٢٣ مسألة: كيف يعتبر "الإيثار" نوعاً من أنواع الحب؟

٢٣. الضلال:

قال الله ﷻ:

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدْيَنَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَن نَّفْسِهِ ۗ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ (يوسف، ١٢: ٣٠)

قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٤١﴾ (يوسف، ١٢: ٩٥)

(أ) قال الراغب: "وقال ﷻ في يعقوب عليه السلام: ... إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ، وقال أولاده: إن أبانا لفي ضلال مبين، إشارة إلى شغفه بيوسف وشوقه إليه، وكذلك: قد شغفها حباً إنا لراها في ضلال مبين" ٢٢٤.

(ب) وقال ابن منظور: "وقد تطلق الضَّالَّةُ على المعاني ومنه: الكلمة الحكيمة ضالَّةُ المؤمن، وفي رواية: ضالَّةُ كل حكيم، أي لا يزال يتطَّلَّبها كما يتطلب الرجلُ ضالَّته" ٢٢٥.

(ج) وقال الزبيدي^{٢٢٦}: "وقال الرَّاعِبُ: هُوَ الْعُدُولُ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ وَتُضَادُّهُ الْهَدَايَةُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: "...فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَنَّا ۗ..." (يونس، ١٠: ١٠٨)، ويُقال: الضَّالُّ: لِكُلِّ عُدُولٍ عَنِ الْحَقِّ عَمْدًا كَانَ أَوْ سَهْوًا يَسِيرًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا فَإِنَّ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ الَّذِي هُوَ الْمُرْتَضَى

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه للإيثار أن الحب يؤثر محبوبه ويجعله مقدماً ومفضلاً عنده على غيره من خاصته وفي هذا يقول ابن حزم: "تري الحب يجب أهل محبوبه وقرباته وخاصته حتى يكونوا أحظى لديه من أهله ونفسه ومن جميع خاصته". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٢). وهذا دليل على الإيثار بالحب حيث يقدمه كما جاء في قوله ﷻ: ... **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**... (الحشر، ٥٩: ٩).

٢٢٤ المفردات، ص ٢٩٨.

٢٢٥ لسان العرب، ١١/ ٣٩٠.

٢٢٦ تاج العروس، ٧/ ٤١٠.

صَعَبٌ جِدًّا، ولهذا قال ﷺ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا»، ولذا صَحَّ أَنْ يُسْتَعْمَلَ لَفْظُهُ فَيَمَنُ يَكُونُ مِنْهُ خَطَأٌ مَا وَلِذَلِكَ نُسِبَ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَإِلَى الْكُفَّارِ وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الضَّالِّينَ بَوْنٌ بَعِيدٌ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ فِي النَّبِيِّ ﷺ: «وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى» (الضحى، ٩٣: ٧)، أي غير مهتدٍ لِمَا سَبَقَ إِلَيْكَ مِنَ النَّبُوَّةِ، وَقَالَ ﷺ فِي يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «... إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ، وَقَالَ أَوْلَادُهُ: «...إِنْ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» (يوسف، ١٢: ٨)، إِشَارَةً إِلَى شَعْفِهِ بِيُوسُفَ وَشَوْقِهِ إِلَيْهِ» ٢٢٧.

٢٤. الرضى:

قال الله ﷻ:

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۗ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣١﴾ (المائدة، ١١٩)

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۗ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۗ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۗ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

٢٢٧ مسألة: كيف يعتبر "الضلال" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص مما قاله العلماء أعلاه أن معنى الضلال في اللغة هو الشغف بحب المحبوب والشوق إليه، ومنه قوله ﷻ: «...قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» (يوسف، ١٢: ٣٠) ويتبين بذلك أن الضلال من أنواع الحب، قال ابن منظور: "قال الفراء: شغفها حباً أي خرق شغاف قلبها". (ابن منظور، لسان العرب، ١٧٨/٩). فالضلال على هذا منزلة ونوع من الحب يصل إلى صميم القلب وشغافه، يقول ابن حزم:

"والأشياء إذا أفرطت في غايات تضادها، ووقفت في انتهاء حدود اختلافها تشابهت، قدرة من الله عز وجل تضل فيها الأوهام. فهذا الثلج إذا أدمن حبسه في اليد فَعَلَ فعل النار... فنجد المحبين إذا تكافتا في المحبة وتأكدت بينهما تأكيداً شديداً أكثر بهما جُدُّهما بغير معنى". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٥).

لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ (البقرة، ٢: ١٤٤)

تَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۗ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ

الْفَاسِقِينَ ﴿٦٦﴾ (التوبة، ٩: ٩٦)

وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ (مريم، ١٩: ٥٥)

(أ) قال الراغب: "يقال: رضي يرضى رضا فهو مرضي ومرضو، ورضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمراً لأمره ومتتهياً عن نهيه" ٢٢٨.

(ب) وقال ابن منظور: "الرضا ضد السخط ... قال القحيف العُقَيْلي:

إِذَا رَضِيتَ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجِبْنِي رِضَاهَا
عَدَاهُ بَعْلَى لِأَنَّهُ إِذَا رَضِيتَ عَنْهُ أَحْبَبْتَهُ وَأَقْبَلْتَ عَلَيْهِ" ٢٢٩.

(ج) وقال الزبيدي: "وأشدد الأخصس ...

إِذَا رَضِيتَ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجِبْنِي رِضَاهَا
كما في الصحاح. وقال ابن سيده: عَدَاهُ بَعْلَى لِأَنَّهَا إِذَا رَضِيتَ عَنْهُ أَحْبَبْتَهُ
وَأَقْبَلْتَ عَلَيْهِ ... والرضي كغني الضامن ... ووجد في نسخ التهذيب
الضامر، وأيضاً: المُحِبُّ، كل ذلك عن ابن الأعرابي" ٢٣٠.

٢٥. الحنان:

قال الله ﷻ:

وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۗ وَكَارِبًا تَقِيًّا ﴿٥٥﴾ (مريم، ١٩: ١٣)

(أ) قال الراغب: "الحنين النزاع المتضمن للإشفاق، يقال: حنت المرأة والناقة

٢٢٨ المفردات، ص ٢٠٣.

٢٢٩ لسان العرب، ١٤/٣٢٤.

٢٣٠ تاج العروس، ١٩/٤٦٢.

لولدها، وقد يكون مع ذلك صوت ولذلك يُعَبَّرُ بالحنين عن الصوت الدال على النزاع والشفقة أو متصور بصورته وعلى ذلك حنين الجذع ... ولما كان الحنين متضمناً للإشفاق والإشفاق لا ينفك من الرحمة عُبرَ عن الرحمة به في نحو قوله ﷺ: **وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا...**، ومنه قيل الحنان المنان " ٢٣١ .

(ب) وقال ابن منظور: " الحَنَانُ من أسماء الله ﷻ قال ابن الأعرابي الحَنَانُ بتشديد النون بمعنى الرحيم قال ابن الأثير الحَنَانُ الرحيم بعباده ... ومنه قوله ﷻ: **وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا...** وفي الحديث أنه دخل على أم سلمة رضي الله عنها وعندها غلامٌ يُسَمَّى الوليدَ فقال ائْحَدْتُمُ الوليدَ حَنَانًا غَيْرُوا اسْمَهُ أَي تَتَعَطَّفُونَ على هذا الاسم فَتُحِبُّونَهُ " ٢٣٢ .

(ج) وقال الزبيدي: " الحَنَانُ كشدَّادٍ مَنْ يَحِنُّ إلى الشيء ويعطف عليه والحنان اسم الله تعالى فعال من الحنة وهي الرحمة " ٢٣٣ .

٢٦. الإعجاب:

وقد ذكرناه سابقاً في فصل " تعريف الحب " .

قال الله ﷻ:

وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ ۚ وَلَا أُمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۗ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَبَيِّنَآ آيَاتِهِ لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢١٠﴾ (البقرة: ٢١٠)

٢٣١ المفردات، ص ١٣٣ .

٢٣٢ لسان العرب، ١٣/ ١٢٩ .

٢٣٣ تاج العروس، ٩/ ١٨٤ .

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۗ كَأْتِهِمْ خُشْبٌ مُّسْنَدَةٌ ۖ
تَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۗ هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۗ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ ۗ أَنْى يُؤْفَكُونَ ﴿٤٠﴾ (الماعقرون، ٦٣)

(٤٠)

لَا تَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْبَجَكَ خُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا
مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٤١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٢)

أَتَعْجِبِينَ مَنْ أَمَرَ اللَّهُ ۗ رَحِمْتَ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ ۗ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۗ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٣٦﴾
(هود، ١١: ٧٣)

قُلْ أَوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١٠٠﴾ (الجن، ٧٢: ١٠٠)

(أ) قال الراغب: "العجب والتعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال بعض الحكماء: العجب ما لا يُعرَف سببه، ولهذا قيل: لا يصح على الله التعجب إذ هو علام الغيوب لا تخفى عليه خافية، ... ويستعار - العجب - للمؤتق فيقال: أعجبني كذا أي راقني، ويقال لمن يروقه نفسه فلان معجب بنفسه" ٢٣٤.

(ب) وقال ابن منظور: "العُجْبُ والعَجَبُ إنكارٌ ما يردُّ عليك لِقَلَّةِ اعْتِيادِهِ ... وإن أُسْنِدَ إلى الله فليس معناه من الله كمعناه من العباد ... والعُجْبُ الذي يُعِجِبُ مُحَادَثَةُ النِّسَاءِ ولا يأتي الريبة والعُجْبُ والعَجَبُ والعُجْبُ الذي يُعِجِبُهُ القُعود مع النساء" ٢٣٥.

(ج) وقال الزبيدي: "وأعجب به مَبْنِيًّا للمفعول: عَجِبَ وَسُرَّ بِالضَّمِّ من السرور كأعجبه الأمر إذا سره" ٢٣٦.

٢٣٤ المفردات، ص ٣٢٢.

٢٣٥ لسان العرب، ١/ ٥٨٠.

٢٣٦ تاج العروس، ١/ ٣٦٨.

٢٧. الميل:

وقد ذكرناه سابقاً في فصل "تعريف الحب".

قال الله ﷻ:

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا

(النساء: ٢٧)

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا

كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصَلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (النساء: ٤٠٠)

(أ) قال الراغب: "الميل العدول عن الوسط إلى أحد الجانبين، ويستعمل في الجور ... يُقال مِلت إلى فلان إذا عاونته" ٢٣٧.

(ب) وقال ابن منظور: "المَيْلُ: العدول إلى الشيء والإقبال عليه وكذلك المَيْلَانُ ... و تمايل في مشيته تمايلاً واستماله واستمال بقلبه. والتَّمْيِيلُ بين الشيئين: كالترجيح بينهما ... وفي حديث أبي هريرة عن النبي قال: «صِنْفَانِ من أهل النار لم أرهما بعد قوم معهم سيئات كأذناب البقر يضربون الناس بها ونساء كاسيات عاريات مائلاتٌ مُمِيلَاتٌ رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُحْتِ المَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الجنةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا» ٢٣٨.

(ج) وقال الزبيدي ٢٣٩: "مالَ إليه يَمِيلُ مَيْلًا ... عَدَلَ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ... المائلات: يَمِلْنَ إلى الهوى والعِي عن العفاف" ٢٤٠.

٢٣٧ المفردات، ص ٤٧٨.

٢٣٨ لسان العرب، ١١/٦٣٥.

٢٣٩ تاج العروس، ٨/١٢٢.

٢٤٠ مسألة: كيف يعتبر "الميل" نوعاً من أنواع الحب؟

٢٨. الشهوة:

قال الله ﷻ:

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالتَّبِينِ وَالتَّقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالتَّخِيلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالتَّانَعِيمِ وَالتَّحَرِّثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَقَابِرِ ﴿١٤﴾ (آل عمران، ٣: ١٤)

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۗ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾
(الأعراف، ٧: ٨١)

(أ) قال الراغب: " أصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده، وذلك في الدنيا ضربان صادقة وكاذبة، فالصادقة ما يحتل البدن من دونه كشهوة الطعام عند الجوع، والكاذبة ما لا يحتل من دونه، وقد يُسمى المشتهى شهوة، وقد يقال للقوة التي تَشْتَهِي الشيء شهوة" ٢٤١.

(ب) وقال ابن منظور: " شَهَيْتُ الشيء بالكسر ... وشَهَيْتُ الشيء وشَهَاهُ يَشْهَاهُ شَهْوَةً واشْتَهَاهُ وشَهَاهُ أَحْبَبَهُ ورَغِبَ فيه " ٢٤٢.

نستخلص من تعريف العلماء اللغويين أعلاه للميل أنه: "العدول إلى الشيء والإقبال عليه" ومن الطبيعي أن نجد المحب يميل إلى محبوبه، فمن مراحل الحب التي يمر بها المحب الميل شيئاً فشيئاً إلى محبوبه، حتى إنه يصبح كما قال ابن حزم:

"فما يكاد يقبل على سوى محبوبه ولو تعمد غير ذلك، وإن التكلف ليستين لمن يرمقه فيه، والإنصات لحديثه إذا حَدَّثَ... ومنها الإسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه، وتعمد القعود بقربه والدنو منه، واطراح الأشغال الموجبة للزوال عنه، والاستهانة بكل خطب جليل داع إلى مفارقتة والتباطؤ في الشيء عند القيام عنه". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٣).

٢٤١ المفردات، ص ٢٧٠.

٢٤٢ لسان العرب، ١٤/٤٤٥.

(ج) وقال الزبيدي^{٢٤٣}: " واشتهاه وتشهاه أحبه ورغب فيه، وفي المصباح: الشهوة اشتياق النفس إلى الشيء والجمع شهوات وأشهية " ^{٢٤٤}.

٢٩. الصبَا:

قال الله ﷻ:

قَالَ رَبِّ اَلْسَجْنُ اِحْبُ اِلَى مِمَّا يَدْعُوْنِي اِلَيْهِ ۗ وَاِلَّا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ اَصْبُ اِلَيْهِنَّ

وَأَكُنْ مِنَ اَلْجَاهِلِيْنَ ﴿٣٣﴾ (يوسف، ١٢: ٣٣)

(أ) قال الراغب: " صبا فلانٌ يصبو صبواً وصبوةً إذا نزع واشتاق وفعل فعل الصبيان، قال: "...أَصْبُ اِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ اَلْجَاهِلِيْنَ ...، وأصباني فصبوت " ^{٢٤٥}.

(ب) وقال ابن منظور: " الصَّبْوَةُ جَهْلَةُ الفُتُوَّةِ واللَّهْوِ مِنَ العَزْلِ، ومنه التَّصَابِي والصَّبَا صبا صبواً وصبواً وصبى وصبأً " ^{٢٤٦}.

٢٤٣ تاج العروس، ١٠/ ٢٠٥.

٢٤٤ مسألة: كيف تعتبر " الشهوة " نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص مما قاله العلماء اللغويون أعلاه في تعريف الشهوة، أن الشهوة هي المشتهى المحبوب المرغوب فيه، فالشهوة إذاً هي الرغبة إلى المحبوب، وفي قول ابن منظور، التالي: " وتشهاه أحبه ورغب فيه " فمعناه: أن المحبوب مشتهى، فالحب يشتهي محبوبه من جهات عدة ومنها أنه يشتهي الجلوس والحديث معه والنظر إليه حتى أنه كما قال ابن حزم:

" والحب أعزك الله داء عياء وفيه الدواء منه على قدر المعاملة، ومقام مستلذ، وعله مشتهاة لا يودّ سليمها البرء، ولا يتمنى عليها الإفاقة. يُزَيِّن للمرء ما كان يأنف منه، ويسهل عليه ما كان يصعب عنده حتى يحيل الطباع المركبة والجبلة المخلوقة ... وإنني لأسمع كثيراً ممن يقول: الوفاء في قمع الشهوات في الرجال دون النساء، فأطيل العجب من ذلك، وإن لي قولاً لا أحول عنه: الرجال والنساء في الجنوح إلى هذين الشئيين سواء " . (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٢).

٢٤٥ المفردات، ص ٢٧٤.

٢٤٦ لسان العرب، ١٤/ ٤٤٩.

(ج) وقال الزبيدي^{٢٤٧}: "الصبوة جهلة الفتوة، زاد الليث: واللهم من الغزل" ٢٤٨.

٣٠. الابتغاء:

قال الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٧﴾ (البقرة، ٢)

(٢٠٧:

أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتِغَىٰ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۗ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ

الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ (الأنعام، ٦١٤)

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ ابْتِغَىٰ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۗ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۗ وَلَا تَرَوْا

وَازْرَأَةَ وِزْرٍ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ (الأنعام، ١٦٤)

(١٦٤:

(أ) قال الراغب: "يقال بَعَيْتَ الشيء إذا طَلَبْتْ أكثر ما يجب وابتغيت كذلك

٢٤٧ تاج العروس، ١٠/٢٠٦.

٢٤٨ مسألة: كيف تعتبر "الصبوة" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من التأمل في كلام العلماء أعلاه أن معنى الصبا، كما يقول الراغب: "صبا فلان ... إذا نزع واشتاق وفعل فعل الصبيان"، وقد أوضح هذا ابن حزم في كتابه (طوق الحمامة) وفضَّله فقال واصفاً كيف يفعل الحب بصاحبه:

"فكم بخيل جاد، وقطوب تطلُّق، وجبان تشجع، وغلبيط الطبع تطرَّب، وجاهل تأدب، وتفيل تزئِن، وفقير تجمل، وذو سنُّ تفتى، وناسك تفتك، ومصون تبدل ... ومن علاقاته وشواهد الظاهرة لكل ذي بصر الانبساط الكثير الزائد ... وكثرة الغمز الخفي، والميل بالالتكاء، والتعمد لمسِّ اليد عند المحادثة، ولمس ما أمكن من الأعضاء الظاهرة، وشرب فضلة ما أبقى المحبوب في الإناء، وتحري المكان الذي يقابله فيه". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٤-١٥).

... وابتغيتك أعتتك على طلبه ... " ٢٤٩.

(ب) وقال ابن منظور: " بغى الشيء بغواً: نظر إليه كيف هو ... وبغاه بغياً نظر إليه كيف هو، وبغاه بغياً رقبه وانتظره ... وابتغاه وتبعاه واستبعاه كل ذلك طلبه " ٢٥٠.

(ج) وقال الزبيدي^{٢٥١}: " بغيته أي الشيء ما كان خيراً أو شراً طلبته ... كابتغيته وتبعيته واستبعيته ... وشاهد الابتغاء قوله ﷺ: ... فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ ...، وقال الراغب: الابتغاء خص بالاجتهاد في الطلب، فمتى كان الطلب لشيء محمود فالابتغاء فيه محمود نحو: ... ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ... وقوله ﷺ: ... إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ...، والباعى: الطالب " ٢٥٢.

٣١. التفضيل:

قال الله ﷻ:

أَنْزَلْنَا كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (الإسراء، ١٧٠)

(٢١):

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ

عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (الإسراء، ١٧٠: ٧٠)

٢٤٩ المفردات، ص ٦٥.

٢٥٠ لسان العرب، ٧٥/١٤.

٢٥١ تاج العروس، ٢٠٤/١٩.

٢٥٢ مسألة: كيف يعتبر "الابتغاء" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه لـ "الابتغاء" بأنه: الاجتهاد في الطلب، والحب

مجتهد في طلب محبوبه بلا ريب، حتى قال ابن حزم:

"ومن آياته مراعاة الحب لمحبوبه، وحفظه لكل ما يقع منه، ومجته عن أخباره حتى لا تسقط

عنه دقيقة ولا جلييلة، وتتبعه لحركاته". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ٢٠).

(أ) قال الراغب: "الفضل إذا استعمل لزيادة أحد الشئيين على الآخر فعلى ثلاثة أضرب: فضلٌ من حيث الجنس كفضل جنس الحيوان على جنس النبات، وفضل من حيث النوع كفضل الإنسان على غيره من الحيوان وعلى هذا النحو قوله ﷺ: ... **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** ... إلى قوله: ... **تَفْضِيلًا** ... وفضل من حيث الذات كفضل رَجُلٍ على آخر، فالأولان جوهريان لا سبيل للناقص فيهما أن يزيل نقصه ... والفضل الثالث قد يكون عرضياً فيوجد السبيل على اكتسابه ومن هذا النوع التفضيل المذكور في قوله ﷺ: **وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ** ... (النحل: ١٦، ٧١) " ٢٥٣ .

(ب) وقال ابن منظور: "وقوله ﷺ: ... **وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**، قيل تأويله أن الله فضلهم بالتمييز، وقال: ... **عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا** ...، ولم يقل على كل لأن الله ﷺ فَضَّلَ الملائكة فقال: **وَلَا أَمَلْتِكُمْ أَلْقَرَبُونَ** ... وفضلته على غيره تفضيلاً إذا حكمت له بذلك أو صيرته كذلك " ٢٥٤ .

(ج) وقال الزبيدي: "الفضل معروف وهو ضد النقص، ... ورجل فاضل ذو فضل ... كثير الفضل والمعروف والخير والسماح، وهي مفضالة ومفضلة ذات فضل سمحة، والفضيلة خلاف النقيصة وهي الدرجة الرفيعة في الفضل، والاسم من ذلك الفاضلة ... وفضلته على غيره تفضيلاً مَرَّاهُ أي أثبت له مَرِيَّةَ أي خِصْلَةَ تميزه عن غيره أو فَضَّلَهُ حكم له بالتفضيل أو صيرته كذلك " ٢٥٥ .

٢٥٣ المفردات، ص ٣٨٣ .

٢٥٤ لسان العرب، ١١/٥٢٤ .

٢٥٥ تاج العروس، ٨/٦١ .

٣٢. الزنا:

وقد ذكرناها سابقاً في فصل "الحب والزنا"، ويكون في الزنا حباً أحياناً.

قال الله ﷻ:

وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ (الإسراء، ١٧: ٣٢)

(أ) قال الراغب: "الزنا وطء المرأة من غير عقد شرعي" ٢٥٦.

(ب) وقال ابن منظور: "الزنا يمد ويقصر، زنى الرجل يزني زنى مقصور وزنا ممدود وكذلك المرأة" ٢٥٧.

(ج) وقال الزبيدي^{٢٥٨}: "زنى الرجل يزني زناً وزناً بكسرهما ... فَجَرَ، وكذلك المرأة ... قال المناوي: الزنا ... شرعاً: إيلاج الحشفة بفرج مُحَرَّم بعينه خال عن شبهة مشتهى" ٢٥٩.

٢٥٦ المفردات، ص ٢٢٠.

٢٥٧ لسان العرب، ١٤/٣٥٩.

٢٥٨ تاج العروس، ١٩/٤٩٧.

٢٥٩ مسألة: كيف يعتبر "الزنا" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه للزنا أنه: اتجاه بالحب بين الجنسين الذكر والأنثى إلى مرحلة وحالة مضادة ومعاكسة للشرائع والدين، ولكنه لولا وجود الحب والرغبة والزيادة على ذلك بالانسياق وراء الشهوة دون ضوابط لا يحصل الزنا ولا يقع. يقول ابن حزم واصفاً هذه العلاقة:

"وكثيرٌ من الناس يطيعون أنفسهم ويعصون عقولهم ويتبعون أهواءهم، ويرفضون أديانهم، ويتجنبون ما حض الله تعالى عليه ورتبه في الألباب السليمة من العفة وترك المعاصي ومقارعة الهوى، ويخالفون الله ربهم ويوافقون إبليس فيما يحبه من الشهوة المعطية فيوافقون المعصية في جهم.... الرجال والنساء في الجنوح إلى هذين الشئيين سواء، وما رجل عرضت له امرأة جميلة بالحب وطال ذلك ولم يكن ثمَّ مانع إلا وقع في شرك الشيطان واستهوته

٣٣. الحفاوة:

قال الله ﷻ:

قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ (مريم، ١٩: ٤٧)

(أ) قال الراغب: "الحفيُّ البرُّ اللطيف قوله ﷻ: ... إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا، ويقال أَحْفَيْتُ بفلان وَتَحْفَيْتُ بِهِ إِذَا عُنَيْتُ بِذَكَرَانِهِ" ٢٦٠.

(ب) وقال ابن منظور: "والحفاوة بالفتح المبالغة في السؤال عن الرجل والعناية في أمره ... تقول منه: حَفَيْتُ بالكسر حفاوةً وَتَحْفَيْتُ بِهِ أَي بَالِغَتِ فِي إِكْرَامِهِ وَإِطْفَافِهِ" ٢٦١.

(ج) وقال الزبيدي: "وتحفي به تَحْفِيًّا واحتفي به: بالغ في إكرامه وأظهر السرور والفرح. يُقال: هو حفيٌّ أي بَرٌّ مبالغ في الكرامة والتحفي الكلام واللِّقاء الحَسَنَ، وقال الرَّجَاح في قوله ﷻ: ... إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا، أي لطيفاً يُقال: حَفِيٌّ فلان بفلان حِفْوَةٌ إِذَا بَرَّهُ وَأَلْطَفَهُ" ٢٦٢.

٣٤. الشفقة:

قال الله ﷻ:

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ حَشِيَّتِهِ

مُشْفِقُونَ ﴿٢٦﴾ (الأنبياء، ٢١: ٢٨)

المعاصي واستفزه الحرص وتغوله الطمع، وما امرأة دعاها رجل يمثل هذه الحالة إلا وأمكنته، حتماً مقضياً وحكماً نافذاً لا محيد عنه البتة". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٢٠).

٢٦٠ المفردات، ص ١٣٢.

٢٦١ لسان العرب، ١٤/ ١٨٨.

٢٦٢ تاج العروس، ١٩/ ٣٣٠.

كُسَارِعُ هُمْ فِي الْحَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ حَشِيَّةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٦٤﴾

(المؤمنون: ٢٣، ٥٧)

(أ) قال الراغب: "الإشفاق عناية مختلطة بِخَوْفٍ لِأَنَّ الْمُشْفِقَ يُحِبُّ الْمُشْفَقَ عَلَيْهِ وَيَخَافُ مَا يَلْحَقُهُ" ٢٦٣.

(ب) وقال ابن منظور: "الشفق الحيفة ... تقول أنا مُشْفِقٌ عليك أي أخاف ... والشفقة: رِقَّةٌ من نُصْحٍ أو حُبٍ يُؤدِّي إلى خوفٍ" ٢٦٤.

(ج) وقال الزبيدي: "الشفقة حرص الناصح على صلاح المنصوح، يُقال: لي عليه شَفَقَةٌ أي رحمة وورقة وخوف من حلول مكروه به مع نُصحٍ وقد أشفق عليه أن يناله مكروه ..." ٢٦٥.

٣٥. الولاية:

قال الله ﷻ:

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ (البقرة: ٢٥٧)

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ

كَأَنَّهُ وَبِئْسَ حَمِيمٌ ﴿٢٥٨﴾ (فصلت، ٤١، ٣٤)

(أ) قال الراغب: "الولاءُ والثَّوَالِي أن يحصل شيئان فصاعداً حُصُولاً لَيْسَ بَيْنَهُمَا مَا لَيْسَ مِنْهُمَا، وَيُسْتَعَارُ ذَلِكَ لِلْقُرْبِ مِنْ حَيْثُ الْمَكَانُ وَمِنْ حَيْثُ

٢٦٣ المفردات، ص ٢٦٧.

٢٦٤ لسان العرب، ١٠/١٨٠.

٢٦٥ تاج العروس، ١٣/٢٤٤.

- النسبة ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد" ٢٦٦ .
- (ب) قال ابن منظور: " وقوله ﷺ: " اللهم وال من والاه " أي أحب من أحبه ... ووالى فلان فلاناً إذا أحبه " ٢٦٧ .
- (ج) وقال الزبيدي: " والولي له معان كثيرة: فمنها المحب، وهو ضد العدو، اسم من والاه إذا أحبه " ٢٦٨ .

٣٦. الصغى:

قال الله ﷻ:

وَلَتَصْنَعَنَّ إِلَيْهِ أَفْعِدَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ (الأنعام، ٦: ١١٣)

(أ) قال الراغب: " الصغو: الميل، يقال: 'صغت النجوم والشمس صغواً: مالت للغروب'، ٢٦٩ .

(ب) قال ابن منظور: " صغا إليه يصغى ويصغو صغواً وصغواً وصغاً مال ... وقال ابن السكيت: 'صغيت إلى الشيء أصغى صغياً إذا ملت وصغوت أصغو صغوا ... قال الله تعالى: " وَلَتَصْنَعَنَّ إِلَيْهِ أَفْعِدَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ " أي ولتميل وصغوه معك وصغوه وصغاه أي ميله معك، وصاغية الرجل الذين يميلون إليه ويأتونه ويطلبون ما عنده ويعشونه ... وفي حديث ابن عوف: كتبت أمية بن خلف أن يحفظني في صاغيتي بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة . هم خاصة الإنسان والمائلون إليه ... وصغا على القوم صغا

٢٦٦ المفردات، ص ٥٤٧ .

٢٦٧ لسان العرب، ٤٠٩/١٥ .

٢٦٨ تاج العروس، ٣١٠/٢٠ .

٢٦٩ المفردات، صفحة ٢٨٥ .

إذا كان هواه مع غيرهم. " ٢٧٠

(ج) وقال الزبيدي: "صغى يصغى صغاً: مال ... وصاغيتك الذين يميلون اليك ويأتونك في حوائجهم" ٢٧١.

٣٧. الوليعة:

قال الله ﷻ:

أَمْرٌ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتَّكَبَرُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ (التوبة، ١٦: ٩)

(أ) قال الراغب: "الوليعة: كل ما يتخذه الإنسان معتمداً عليه، وليس من أهله، من قولهم: فلان وليجة في القوم: إذا لحق بهم وليس منهم؛ إنساناً كان أو غيره. قال تعالى: "وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ" (التوبة، ١٦: ٩) وذلك مثل قوله: " * يَتَّيَّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ " (المائدة، ٥: ٥١) ٢٧٢.

(ب) قال ابن منظور: "ووليعة الرجل: بطانته وخاصته ودخلته؛ وفي التنزيل: "وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ". قال أبو عبيدة: الوليعة البطانة، وهي مأخوذة من ولج يلج ولوجاً ولجة إذا دخل، أي ولم يتخذوا بينهم وبين الكافرين دخيلة مودة؛ وقال أيضاً: وليجة: كل شيء أوجلته فيه وليس منه، فهو وليجة؛ والرجل يكون في القوم وليس منهم، فهو وليجة فيهم، يقول: 'ولا يتخذوا أولياء ليسوا من المؤمنين دون الله

٢٧٠ لسان العرب، مجلد ١٤، صفحة ٤٦١.

٢٧١ تاج العروس، مجلد رقم ١٠، صفحة ٢١٠.

٢٧٢ المفردات، صفحة ٥٣٣.

(ج) وقال الزبيدي: " قال أبو عبيدة: الوليجة: البطانة والدخيلة وخاصتك من الرجال، تطلق على الواحد وغيره . وفي العناية في آل عمران: استعيرت لمن اختص بك بدليل قولهم: لبست فلاناً، إذا اختصصته. قلت: فهو إذن مجاز. الوليجة: من تتخذ معتمداً عليه من غير أهلك " ٢٧٤.



في الخلاصة، فإن الله ﷻ يذكر سبعة وثلاثين نوعاً من الحب في القرآن الكريم. وكل نوع من الحب يختلف قليلاً عن الأنواع الأخرى، فلا ترادف في اللغة العربية، ولكل كلمة معنى فريد ومحدد مع اختلاف بسيط في المعنى. وأنواع الحب المختلفة المذكورة في القرآن الكريم هي: (١) الحب؛ (٢) المحبة؛ (٣) الاستحباب؛ (٤) الرحمة؛ (٥) الرأفة؛ (٦) الوُد؛ (٧) المودة؛ (٨) الوداد؛ (٩) الإرادة؛ (١٠) الشغف؛ (١١) الهوى؛ (١٢) الاستهواء؛ (١٣) الغوى؛ (١٤) الهم؛ (١٥) الرغب؛ (١٦) التقارب، المقاربة، القرب؛ (١٧) الغرام؛ (١٨) الهيام؛ (١٩) الخلة؛ (٢٠) الصداقة؛ (٢١) الصحبة؛ (٢٢) الإيثار؛ (٢٣) الضلال؛ (٢٤) الرضى؛ (٢٥) الحنان؛ (٢٦) الإعجاب؛ (٢٧) الميل؛ (٢٨) الشهوة؛ (٢٩) الصبأ؛ (٣٠) الابتغاء؛ (٣١) التفضيل؛ (٣٢) الزنا؛ (٣٣) الحفاوة؛ (٣٤) الشفقة؛ (٣٥) الولاية؛ (٣٦) الصغى؛ (٣٧) الوليجة.

٢٧٣ لسان العرب، مجلد ٢، صفحة ٣٩٩.

٢٧٤ تاج العروس، مجلد ٦، صفحة ٢٦٢.

٢٢. الباب الرابع؛ الفصل الثاني:

مراحل الحب

وصف الله ﷺ في القرآن الكريم مراحل عدة للحب البشري ،
وسنقسمها إلى ثلاثة أصناف نذكرها في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: يتضمن مراحل حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس

نذكر في هذا المطلب مراحل الحب التي تتعلّق بحب الناس لله ﷻ،
وتتعلّق أيضاً بحب الناس للناس، فهي تتضمّن النوعين فتُعمّ علاقة حب
الناس لله ﷻ وكذلك علاقة حب الناس للناس. وهذه المراحل هي^{٢٧٥}:

٢٧٥ وجدنا عند بعض العلماء وصف بعض مراحل الحب ، ولكن هذه المراحل غير مبنية
على مصطلحات وآيات القرآن الكريم، فلم نذكرها في رسالتنا هذه، ومن ذكر تلك المراحل
من العلماء:

قال **الأنصاري الهروي** (توفي سنة ٤٨١هـ): " والمحبة هي سمة الطائفة، وعنوان
الطريقة، ومعقد النسبة. وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: محبة تقطع الوسوس،
وتلذّد الخدمة، وتسلى عن المصائب. وهي محبة تنبت من مطالعة المنة، وتثبت باتباع السنة،
وتنمو على الإجابة للفاقة. والدرجة الثانية: محبة تبعث على إثارة الحق على غيره، وتلهج
اللسان بذكره، وتعلّق القلب بشهوده. وهي محبة تظهر من مطالعة الصفات، والنظر في
الآيات، والارتياض بالمقامات. والدرجة الثالثة: محبة خاطفة تقطع العبارة، وتدقق الإشارة،
ولا تنتهي بالنعوت. وهذه المحبة هي قطب هذا الشأن، وما دونها محاب نادت عليها الألسن،
وأدعتها الخليفة، وأوجبها العقول ". (الهروي، منازل السائرين، ص ٨٩-٩٠).

وقال **ابن الجوزي** (توفي سنة ٥٩٧هـ): " أول ما يتجدد الاستحسان للشخص، ثم
يجلب إرادة القرب منه، ثم المودة، وهو أن يود أن لو ملكه، ثم يقوى الود فيصير محبة، ثم
يصير خُلّة، ثم يصير هوى، فيهوي بصاحبه في محابّ المحبوب من غير تمالك، ثم يصير عشقاً،
ثم يصير تبيماً. والتبيم حالة بصير بها المعشوق مالكاً للعاشق، لا يوجد في قلبه سواه، ومنه

١. الفراغ:

الفراغ مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى فراغ مسبق من أي حب آخر. يقول الله ﷻ:

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ ۗ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَطْبَهُرُونَ مِنْهِنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۗ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ

يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٤)

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرٍ مُّوسَىٰ فَرِحًا ۗ إِنَّ كَادَتْ لِتُبَدِيَ بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَي قَلْبِهَا

لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٠﴾ (القصص، ٢٨: ١٠)

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٦٠﴾ (الشرح، ٩٤: ٧)

٢. الفقر:

الفقر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى فقر مسبق. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٠﴾ (فاطر، ٣٥: ١٥)

تيم الله. ثم يزيد التيم فيصير ولها، والولء الخروج عن حد الترتيب، والتعطل عن أحوال التمييز. (ابن الجوزي، ذم الهوى، ص ٢٣٠-٢٣١).

وقال ابن تيمية (توفي سنة ٧٢٨هـ): "حبة القلب للبشر على طبقات: أحدها العلاقة: وهو تعلق القلب بالمحبوب. ثم الصباية: وهو انصباب القلب إليه. ثم الغرام: وهو الحب اللازم. ثم العشق، وآخر المراتب هو التيم: وهو التعبد للمحبوب، والمتيم المعبود، وتيم الله عبد الله فإن الحب يبقى ذاكرةً معبداً مذلاً لمحبيه. وأيضاً فاسم الإناية إليه يقتضي المحبة أيضاً، وما أشبه ذلك من الأسماء كما تقدم". (ابن تيمية، التحفة العراقية، ص ٨٨).

هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ ۗ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾ (محمد، ٤٧: ٣٨)

وقال موسى عليه السلام في القرآن الكريم:

فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ (القصص، ٢٨: ٢٤)

٣. التزئین:

التزئین مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حُب الناس لله جل جلاله وحب الناس للناس إلى تزئین مسبق في نظر أو نفس أو قلب الذي يُحب. يقول الله جل جلاله:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَقَابِلِ ﴿١٤﴾ (آل عمران، ١٤: ١٤)

بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ۖ وَزُيِّنَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ (الفتح، ٤٨: ١٢)

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ (الحجر، ١٥: ٣٩)

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۗ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِيمٌ وَلَئِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ ۖ لِإِيْمَانٍ وَرَيْبَةٍ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهٍ إِلَيْكُمْ ۖ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾ (الحجرات، ٤٩: ٧)

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ

الْقِيَمَةَ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٢﴾ (البقرة، ٢: ٢١٢) ٢٢٦

وسنشرح هذا الأمر لاحقاً في فصل " مثلث الحب " .

٤ . الإعجاب:

الإعجاب مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الإعجاب. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ ۚ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَتَّىٰ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أُعْجَبْتُمْ ۚ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا أُعْجَبُكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۗ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ (البقرة، ٢: ٢٢١)

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُّسْنَدَةٌ ۗ تَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۗ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ ۗ أَنْىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤١﴾ (المتافرون، ٦٣: ٤١)

لَا يَحِلُّ لَكَ الْبَنَاءُ مِنَ الْبَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَا أُعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٢)

قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۗ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٣٢﴾ (هود، ١١: ٧٣)

قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّ أَتَسْمَعُ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١٠١﴾ (الجن، ٧٢: ١٠١)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل " أنواع الحب " .

٢٧٦ وانظر إلى: الأنعام، ٦: ٤٣؛ الأنعام، ٦: ١٣٧؛ الأنفال، ٨: ٤٨؛ النحل، ١٦: ٦٣؛

النمل، ٢٧: ٢٤؛ العنكبوت، ٢٩: ٣٨؛ الأنعام، ٦: ١٠٨؛ النمل، ٢٧: ٤؛ فصلت، ٤١: ٢٥؛

الأنعام، ٦: ١٢٢؛ التوبة، ٩: ٣٧؛ يونس، ١٠: ١٢؛ الرعد، ١٣: ٣٣؛ فاطر، ٣٥: ٨؛ غافر، ٤٠:

٣٧؛ محمد، ٤٧: ١٤؛ يونس، ١٠: ٢٤.

٥. الحُب:

الحُب كلمة تستعمل في معنى عام وفي معنى خاص، فهناك مرحلة من مراحل الحب هي مرحلة الحب. يقول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)

ففي هذه الآية الكريمة نرى أن كلمة "الحب" تطلق على مراحل متفاوتة من الحب وعلى ظاهرة الحب بشكل عام، والله أعلم. وقد ذكرناه سابقاً في فصل "أنواع الحب".

٦. الرِّضَا:

الرِّضَا مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الرِّضَا. يقول الله ﷻ:

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۗ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ (المائدة، ٥: ١١٩)

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنِ الْمُتَجَرِّبِينَ وَاللَّذِينَ أَتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ (التوبة، ٩: ١٠٠)

لَا تَحِذُ قَوْمًا يُّؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَن حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتِيهِمْ ۗ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۗ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

(المجادلة، ٥٨: ٢٢)

جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ. ﴿٨﴾ (البقرة: ٩٨: ٨)

تَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. ﴿٢١﴾ (التوبة: ٩٦: ٢١)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٧. التقرب:

التقرب مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى التقرب. يقول الله ﷻ:

وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْتُهُ نَجِيًّا ﴿٢٤﴾ (مريم: ١٩٠: ٥٢)

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيَّ ذَلِكَ بِأَنْ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنْهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ (المائدة: ٥: ٨٢)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨: الإرادة:

الإرادة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الإرادة. يقول الله ﷻ:

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَنُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيَنَّ بِالْعُرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ (البقرة: ٢٢٨)

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ (الكهف، ١٨: ٢٨)

وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ (الأنعام، ٦: ٥٢)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٩. الابتغاء:

الابتغاء مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الابتغاء. يقول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ (البقرة، ٢: ٢٠٧)

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠٨﴾ (الليل، ٩٢: ٢٠٨)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

١٠. الرُّغْب:

الرُّغْبُ مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الرُّغْب. يقول الله ﷻ:

وَالِإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٩٤﴾ (الشرح، ٩٤: ٨)

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۗ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُوهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ

مِنَ الْوَالِدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ

عَلِيمًا ﴿٢٧﴾ (النساء، ٤: ١٢٧)

فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ إِحْسَانًا وَوَضَحْنَا لَهُ رُوحَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي

الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٢٨﴾ (الأنبياء، ٢١: ٩٠)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

١١. الولاية:

الولاية مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الولاية. يقول الله ﷻ:

إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ ۗ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿٢٩﴾ (الأعراف، ٧: ١٩٦)

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٠﴾ (يونس، ١٠: ٦٢)

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ تُوَفِّي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٣١﴾ (يوسف، ١٢: ١٠١)

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ

مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً ۗ وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ

﴿٣٢﴾ (آل عمران، ٣: ٢٨)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

١٢. الخلَّة:

الخلَّة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الخلَّة. يقول الله ﷻ:

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا

الحب في القرآن الكريم

شَفَعَةً^{٢٥٤} وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ (البقرة، ٢: ٢٥٤)

الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٤٣﴾ (الزخرف، ٤٣: ٤٦)

وَأَخَذَ اللَّهُ إِتْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ (النساء، ٤: ١٢٥)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

١٣. الفرح:

الفرح مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الفرح. يقول الله ﷻ:

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ (يونس، ١٠: ٥٨)

فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ (آل عمران، ٣: ١٧٠)

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ^{٢٦} وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ ﴿١٣﴾ (الرعد، ١٣: ٢٦)

فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٢٣﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٥٣)

١٤. السكن:

السكن مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى السكن. يقول الله ﷻ:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم، ٣٠: ٢١)

١٥. الرجاء:

الرجاء مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الرجاء. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧٠﴾ (يونس، ١٠: ٧)

وَلَا تَهِنُوا فِي آيَاتِنَا الْقَوْمِ ۗ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ ۗ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٤﴾ (النساء، ٤: ١٠٤)

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢١)

وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۗ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ (النور، ٢٤: ٦٠)

١٦. العمل:

العمل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى العمل. يقول الله ﷻ:

وَأَسْتَبَقُوا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ۗ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ (يوسف، ١٢: ٢٥)

قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ ۗ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٣﴾ (يوسف، ١٢: ٣٣)

وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمَلُونَ ﴿١١١﴾ (هود، ١١: ١٢١)

١٧. الذِّكْر:

الذِّكْر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الذِّكْر. يقول الله ﷻ:

قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ

(يوسف، ١٢: ٨٥)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (الأحزاب، ٣٣: ٤١)

فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (البقرة، ٢: ١٥٢)

فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمَنْ

النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ (البقرة، ٢: ٢٠٠)

١٨. النجوى:

النجوى مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى النجوى. يقول الله ﷻ:

وَنَدَيْتَنَّهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْتَنَّهُ يُحْيَا (مريم، ١٩: ٥٢)

خُنْ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ

تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (الإسراء، ١٧: ٤٧)

١٩. الابتلاء:

الابتلاء مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الابتلاء في حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

هَذَا لِكِ اتَّبَعِي الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا (الأحزاب، ٣٣: ١١)

* وَإِذِ اتَّبَعْتَنِي إِبراهيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّتْهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ

ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَبَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (البقرة، ٢: ١٢٤)

٢٠. الاطمئنان:

الاطمئنان مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الاطمئنان. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ

عَنْ ءَايَاتِنَا غَنَفِلُونَ ﴿٢٠﴾ (يونس، ١٠: ٧)

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ (الرعد، ١٣: ٢٨)

٢١. العلم:

العلم مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى العلم. يقول الله ﷻ:

فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ

رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿٥١﴾ (طه، ٢٠: ١١٤)

قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ

سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ النَّنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ

الصَّادِقِينَ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ

﴿٥٢﴾ (يوسف، ١٢: ٥١ - ٥٢)

٢٢. المعرفة:

المعرفة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى المعرفة. يقول الله ﷻ:

الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ
الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ (البقرة، ٢: ١٤٦)

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِن
الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمِنَّا فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٧﴾ (المائدة، ٥: ٨٣)

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٨﴾ (يونس، ١٠: ٤٥)

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٤٩﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٣)

وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۗ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي
الصَّرْحَ ۗ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبْتَهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مَُّرَدٌّ مِّن قَوَارِيرٍ
قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾ (النمل، ٢٧: ٤٤-٤٤)

٢٣. المشيئة:

المشيئة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب
الناس للناس إلى المشيئة. يقول الله ﷻ:

نَسَاؤُكُمْ حَزَنٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَزَنَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾ (البقرة، ٢: ٢٢٣)

تَرَىٰ الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ۗ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ
﴿٥٣﴾ (الشورى، ٤٢: ٢٢)

هُم مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٤﴾ (الزمر، ٣٩: ٣٤)

٢٤. الخوف:

الخوف مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الخوف. يقول الله ﷻ:

وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٤﴾ (الأعراف، ٧: ٢٥٠)

تَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥١﴾ (الحل، ١٦: ٥٠٠)

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ (النساء، ٤: ٩)

٢٥. الحزن:

الحزن مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الحزن في حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿٣٤﴾ (يوسف، ١٢: ١٣)

وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفِي عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ (يوسف، ١٢: ٨٤)

تُرْجَىٰ مِنْ نَشَاءٍ مِّثْنٍ وَتَوَلَّىٰ إِلَيْكَ مِنْ نَشَاءٍ ۖ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ ۚ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥١)

وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿١٢﴾ (التوبة، ٩: ٩٢)

٢٦. الألم:

الألم مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الألم في حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَهِنُوا فِي آتِبَغَاءِ الْقَوْمِ ۗ إِن تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ ۗ
وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤٠﴾ (النساء، ٤: ١٠٤)

٢٧. البكاء:

البكاء مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى البكاء. يقول الله ﷻ:

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۗ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ حَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿١٩٦﴾ (مريم، ١٩٦: ٥٨)

وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أُحِذُّ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ (التوبة، ٩٢: ٩٢)

٢٨. التغيير:

التغيير مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى التغيير. يقول الله ﷻ:

وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ۗ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٥﴾
وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ (الزمر، ٣٩-٥٤: ٥٥)

ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَالِقِينَ ﴿٢٦﴾ * وَمَا أَبْرَأُ

نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ (يوسف، ١٢: ٥٣-)

(٥٣)

يُحْصَلُ فِي الْحُبِّ تَغْيِيرٌ بِمَنْ يُحِبُّ، فَهَذِهِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ، بَعْدَمَا خَانَتْ زَوْجَهَا، أَبَتْ أَنْ تَخُونَ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَكَذَلِكَ فِي حُبِّ النَّاسِ اللَّهُ ﷻ يُحْصَلُ تَسْلِيمٌ وَإِنَابَةٌ، وَهَذَا يَعْنِي تَغْيِيرًا فِي النَّفْسِ.

٢٩. الْقَبْضُ:

الْقَبْضُ مَرَحَلَةٌ مِنْ مَرَاكِلِ الْحُبِّ، وَيُحْصَلُ الْقَبْضُ فِي حُبِّ النَّاسِ اللَّهُ ﷻ وَحُبِّ النَّاسِ لِلنَّاسِ. يَقُولُ اللَّهُ ﷻ:

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كثيرة ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ (البقرة، ٢: ٢٤٥)

٣٠. الْبَسْطُ:

الْبَسْطُ مَرَحَلَةٌ مِنْ مَرَاكِلِ الْحُبِّ، وَيُحْصَلُ الْبَسْطُ فِي حُبِّ النَّاسِ اللَّهُ ﷻ وَحُبِّ النَّاسِ لِلنَّاسِ. يَقُولُ اللَّهُ ﷻ:

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كثيرة ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ (البقرة، ٢: ٢٤٥)

٣١. الْحَاجَةُ إِلَى الْخُلُوةِ:

الْحَاجَةُ إِلَى الْخُلُوةِ مَرَحَلَةٌ مِنْ مَرَاكِلِ الْحُبِّ، وَيَحْتَاجُ حُبُّ النَّاسِ اللَّهُ ﷻ وَحُبُّ النَّاسِ لِلنَّاسِ إِلَى الْحَاجَةِ إِلَى الْخُلُوةِ. يَقُولُ اللَّهُ ﷻ:

قَالَ رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصَبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ (يوسف، ١٢: ٣٣)

ويلاحظ هنا أن يوسف عليه السلام، من بعد ما رأى "برهان ربه"، لم يقل "السجن أفضل إلي"، ولكن قال "الْـسِجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ"، فنستنبط من هذا أن يوسف عليه السلام كان يحب أن يدخل السجن لكي يذكر ربه خالياً ومن غير إزعاج.

٣٢. الصبر:

الصبر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله تعالى وحب الناس للناس إلى الصبر. يقول الله تعالى:

وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ حَمِيلٌ ۗ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ (يوسف، ١٢: ١٨)

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ حَمِيلٌ ۗ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٩﴾ (يوسف، ١٢: ١٩)

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۗ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٢٥﴾ (مريم، ١٩: ٢٥)

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا ۗ وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٦﴾ (الكهف، ١٨: ٢٨)

٣٣. الأمل:

الأمل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله تعالى وحب الناس للناس إلى الأمل. يقول الله تعالى:

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحَظِّي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ (يٰسٓر، ٢١)

أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ

اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف، ١٢: ٨٧-٨٦)

أَمْثَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ

أَمَلًا ﴿٤١﴾ (الكهف، ١٨: ٤٦)

ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (الحجر، ١٥: ٣)

٣٤. الغيرة:

الغيرة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب

الناس للناس إلى الغيرة. يقول الله ﷻ:

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ (يوسف، ١٢: ٤٠)

إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غَضَبُهُ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٢﴾

أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا

صَالِحِينَ ﴿٤٣﴾ (يوسف، ١٢: ٩-٨)

... وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ (الأعراف، ٧: ١٤٣)

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾ (الذاريات، ٥١: ٥٦)

قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَخْتِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أَمَرْتُ

أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٤٥﴾ (الأنعام، ٦: ١٤)

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا

أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٦﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٣)

قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴿٤٣﴾ (الزخرف، ٤٣: ٨١)

يلاحظ هنا أن إخوة يوسف عليه السلام غاروا من حب أبيهم له. ويلاحظ هنا أن الرسول ﷺ أمر أن يقول: " فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ "، وأن موسى عليه السلام قال: " وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ "، فنستنبط هنا أنه يحصل عند الرُّسل نوع من الغيرة من شدة حُبهم لله ﷻ، والله أعلم. وهل يمكن لنا أن نعتبر نهي الله ﷻ عن الشرك به نوعاً من أنواع الغيرة على عباده؟ الله أعلم.

٣٥. اللقاء:

اللقاء مرحلة من مراحل الحب، ويحصل اللقاء في حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ^٤ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ^٥ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٣﴾ (البقرة، ٢: ٢٢٣)

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ^٤ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ^٥ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ^٤ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوُوا اللَّهَ كَمَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلًا غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ^٥

وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٣٤﴾ (البقرة، ٢: ٢٤٩)

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوُوا رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٣٥﴾ (البقرة، ٢: ٤٦)

كما ذكرناه سابقاً في فصل " الحب الزوجي " .

٣٦. المعية:

المعية مرحلة من مراحل الحب، وتحصل المعية في حب الناس لله ﷻ

وحب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ^ع وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ^ط سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ^ع ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ^ع وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَعٍ أُخْرَجَ شَطْرَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ^ط وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ^ط (الفتح، ٤٨: ٢٩)

إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ^ط وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ^ط (الأنفال، ٨: ١٩)

٣٧. قرّة العين:

أن يكون المحبوب قرّة العين مرحلة من مراحل الحب، ويحصل في حب الناس لله ﷻ وفي حب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ^ط وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ^ط (الطور، ٥٢: ٤٨)

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ^ط وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ ^ط إِمَامًا ^ط (الفرقان، ٢٥: ٧٤)

المطلب الثاني: ويتضمّن مراحل حب الناس لله ﷻ

نذكر في هذا المطلب مراحل الحب التي تتعلّق بحب الناس لله ﷻ (وقد تنطبق أو لا تنطبق على حب الناس لبعضهم البعض، ولكن لم نجد هذه المراحل من الحب بين الناس في القرآن الكريم)، وهذه المراحل هي:

٣٨. الوُدّ:

الوُدّ مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الوُدّ. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَجَعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٣٨﴾ (مريم، ١٩: ٩٦)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٣٩. الشفقة:

الشفقة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الشفقة. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ حَشِيَّةٍ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٤٠﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٥٧)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٤٠. الاستئناس، الأنس:

الاستئناس مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الاستئناس في حب الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَّظِيرِينَ إِنَّهُ وَلَنْ يَكُنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِجَدِيبٍ إِنْ دَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَجِىءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِىءُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَرْوَاحَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٣)

٤١. السلام:

السلام مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى السلام. يقول الله ﷻ:

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيَمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ (الرواقعة، ٥٦: ٢٥-٢٦)

وَاللَّهُ يَدْعُوْا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠٠﴾ (يونس، ١٠٠: ٢٥)

سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٣٦﴾ (يس، ٣٦: ٥٨)

لَيْلَةَ الْقَدْرِ حَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ سَهْرٍ ﴿١٠٠﴾ تَنزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿١٠١﴾

سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿٩٧﴾ (القدر، ٩٧: ٣-٥)

٤٢. الاكتفاء:

الاكتفاء مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الاكتفاء. يقول الله ﷻ:

فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُمْ بِهِءَ فَقَدِ اهْتَدَوْا ۗ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۗ

فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ (البقرة، ٢: ١٣٧)

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۗ وَنُحَوِّفُونَكَ بِالذِّبْنَ مِنْ دُونِهِ ۗ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ ۗ

مِنْ هَادٍ ﴿٣٩﴾ (الزمر، ٣٩: ٣٦)

٤٣. الشكر:

الشكر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الشكر. يقول الله ﷻ:

وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۗ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۗ وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ۗ

تَلْشُونَ سَهْرًا ۗ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۗ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ

الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۗ إِنِّي تُبْتُ

إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤٦﴾ (الأحقاف، ٤٦: ١٥)

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٤٧﴾

(إبراهيم، ١٤: ٧)

٤٤: التوكل:

التوكل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى التوكل. يقول الله ﷻ:

وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٦٥﴾ (الطلاق، ٦٥: ٣)

٤٥. "انشرح الصدر":

"انشرح الصدر" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى "انشرح الصدر". يقول الله ﷻ:

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِمَّنْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٩﴾ (الزمر، ٣٩: ٢٢)

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿٩٤﴾ (الشرح، ٩٤: ١)

٤٦. "لين الجلد":

"لين الجلد" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى "لين الجلد". يقول الله ﷻ:

اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٩﴾ (الزمر، ٣٩: ٢٣)

٤٧. "لين القلب":

"لين القلب" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷺ إلى
"لين القلب". يقول الله ﷻ:

اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
ثُمَّ تَلِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ (الزمر، ٣٩: ٢٣)

٤٨. "قشعريرة الجلد":

"قشعريرة الجلد" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله
ﷺ إلى "قشعريرة الجلد". يقول الله ﷻ:

اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
ثُمَّ تَلِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ (الزمر، ٣٩: ٢٣)

٤٩. "وجل القلب":

"وجل القلب" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷺ إلى
"وجل القلب". يقول الله ﷻ:

الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا
وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢٤﴾ (الأنفال، ٨: ٢٤)

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُم وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢٥﴾ (الحج، ٢٢: ٢٥)

٥٠. التبئُّل:

التبئُّل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى التبئُّل.
يقول الله ﷻ:

وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٥٠﴾ (الزمر، ٧٣: أ)

٥١. الإخبات:

الإخبات مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الإخبات.
يقول الله ﷻ:

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٥١﴾ (الحج، ٢٢: ٣٤)

٥٢. الإنابة:

الإنابة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الإنابة.
يقول الله ﷻ:

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۗ قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٥٢﴾ (الرعد، ١٣: ٢٧)

وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٣﴾ (الزمر، ٣٩: ٥٤)

٥٣. التضرّع:

التضرّع مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى التضرّع.
يقول الله ﷻ:

أَدْعُوا رَبَّكُمْ خَوْفًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ (الأعراف، ٥٥)

وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا

تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٥٦﴾ (الأعراف، ٥٦)

٥٤. التوبة:

التوبة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى التوبة.

يقول الله ﷻ:

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنِ
أَنْظُرَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي ﴿٤٤﴾ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ
دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعْفًا ﴿٤٥﴾ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ

(الأعراف، ٧: ١٤٣) ﴿٤٤﴾

٥٥. الاستغفار:

الاستغفار مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى

الاستغفار. يقول الله ﷻ:

وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٤٠﴾ (هود، ١١: ٩٠)

... وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ (المزمل، ٧٣: ٢٠)

وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ

ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴿٤٢﴾ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٤٣﴾ (هود، ١١: ٣٠)

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿٤٤﴾ (نوح، ٧١: ١٠)

٥٦. "العَجَلُ لِلتَّرْضِيَةِ":

"العَجَلُ لِلتَّرْضِيَةِ" مرحلة من مراحل الحب لترضيه المحبوب، ويحصل "العَجَلُ لِلتَّرْضِيَةِ" المحبوب في حب الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٤٦﴾ (طه، ٢٠: ٨٤)
 وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۚ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۚ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٥٦﴾ (الأحقاف، ٤٦: ١٥)

٥٧. الدعاء:

الدعاء مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الدعاء. يقول الله ﷻ:

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ (الأعراف، ٧: ١٨٩)

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ

إِمَامًا ﴿٢٥﴾ (الفرقان، ٢٥: ٧٤)

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ (البقرة، ٢: ١٨٦)

وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ

جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ (غافر، ٤٠: ٦٠)

٥٨. التذکر:

التذکر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷺ إلى التذکر. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٣١﴾
(الأعراف: ٧، ٢٠١)

٥٩. الاتباع:

الاتباع مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷺ إلى الاتباع. يقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾
(آل عمران: ٣، ٣١)

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾
(الأحزاب: ٣٣، ٢١)

٦٠. "تمحيص القلب":

"تمحيص القلب" مرحلة من مراحل الحب، ويحصل "تمحيص القلب" في حب الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ (آل عمران: ٣، ١٤١)
ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَنَّةِ لِيَقُولُوا هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى

مَضَاجِعِهِمْ^{٥٤} وَلِيَبْتَلِيَ^{٥٥} اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ^{٥٦} مَا فِي قُلُوبِكُمْ^{٥٧} وَاللَّهُ عَلِيمٌ^{٥٨} بِذَاتِ

الصُّدُورِ ﴿٥٤﴾ (آل عمران، ٣: ١٥٤)

٦١. الشُّكُّ:

الشُّكُّ مرحلة من مراحل الحب، أي الشُّكُّ في صدق الحب حرصاً على صفاته، ويحصل الشك في حب الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ (يونس، ١٠: ٩٤)

٦٢. الرِّيبُ:

الرِّيبُ مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الريب في حب الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّنْ آتَيْنَا بِهَا فَمَا آخِرُ حُجُوجِكُمْ^{٩٥} أَجَلٍ لَكُمْ^{٩٦} وَمِنْكُمْ^{٩٧} مَنْ يُتَوَفَّى^{٩٨} وَمِنْكُمْ^{٩٩} مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً^{١٠٠} وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً^{١٠١} فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ^{١٠٢} وَرَبَّتْ^{١٠٣} وَأُنْبِتَتْ^{١٠٤} مِنْ كُلِّ رَوْحٍ^{١٠٥} بِهِيجُ ﴿١٠٦﴾ (الحج، ٢٢: ٥٠)

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ^{١٠٦} وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ^{١٠٧} مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠٧﴾ (البقرة، ٢: ٢٣)

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ^{١٠٨} قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لَّيُظْمِنَنَّ^{١٠٩} قَلْبِي^{١١٠} قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً^{١١١} مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ^{١١٢} إِلَيْكَ^{١١٣} ثُمَّ اجْعَلْ^{١١٤} عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ

جُزْءًا^{١١٥} ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً^{١١٦} وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ^{١١٧} حَكِيمٌ ﴿١١٨﴾ (البقرة، ٢: ٢٦٠)

٦٣. الظن:

الظن مرحلة من مراحل الحب، أي الخوف من طرد المحبوب، ويحصل
الظن في حب الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعَجْتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّهُ

فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ (ص، ٣٨: ٢٤)

إِذْ جَاءَوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ
الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ (الأحزاب، ٣٣: ١٠)

٦٤. النظر:

النظر مرحلة من مراحل الحب، أي النظر بالقلب، ويحتاج حب الناس
لله ﷻ إلى النظر. يقول الله ﷻ:

فَانظُرْ إِلَىٰ ءَأَثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ سُمِّيَ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحِي الْمَوْتِ ۗ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ (الروم، ٣٠: ٥٠)

٦٥. التفكير:

التفكير مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى
التفكير. يقول الله ﷻ:

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ
مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿٨﴾ (الروم، ٣٠: ٨)

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلاً تُسَبِّحُنَا فَقِنَا غَدَابَ النَّارِ ﴿٦٦﴾ (آل عمران، ٣: ١٩١)

٦٦. التدبر:

التدبر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى التدبر.
يقول الله ﷻ:

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٦﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٦٨)

كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِنَا وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٦٦﴾ (ص، ٣٨: ٢٩)

٦٧. "استعمال العقل":

"استعمال العقل" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى "استعمال العقل". يقول الله ﷻ:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ (البقرة، ٢: ١٦٤)

٦٨. التبصر:

التبصر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى البصيرة. يقول الله ﷻ:

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ ﴿٦٨﴾ (الأنعام، ٦: ١٠٤)

٦٩. اليقين (علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين):

اليقين مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى اليقين.

يقول الله ﷻ:

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ (التكاثر، ١٠٢: ٥٠)

ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَبَثًا يَلْقِينِ ﴿٥٢﴾ (التكاثر، ١٠٢: ٧)

إِنَّ هَذَا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥٣﴾ (الواقعة، ٥٦: ٩٥)

٧٠. الطمع:

الطمع مرحلة من مراحل الحب، وهو الأمل في حصول المطلوب،

ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الطمع. يقول الله ﷻ:

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ

مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٤﴾ (الأعراف، ٧: ٥٦)

٧١. الحاجة إلى الناس، الحاجة إلى الجلوة:

الحاجة إلى الناس مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج الناس أناساً آخرين

يخالطونهم في حبهم لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿٥٥﴾ (الضحى، ٩٣: ١١)

٧٢. التأوه:

التأوه مرحلة من مراحل الحب، ويحصل التأوه في حب الناس لله ﷻ.

يقول الله ﷻ:

وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ

الحب في القرآن الكريم

لَلَّهِ تَبَرًّا مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ (التوبة، ٩: ١١٤)

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ (هود، ١١: ٧٥)

٧٣. الأوب:

الأوب مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الأوب. يقول الله ﷻ:

هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٣﴾ (ق، ٥٠: ٣٣)

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٣٥﴾ (الإسراء، ١٧: ٣٥)

٧٤. القنوت:

القنوت مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى القنوت. يقول الله ﷻ:

أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءِآنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ﴿٣٥﴾ (الزمر، ٣٩: ٣٥)

٧٥. القهر:

القهر مرحلة من مراحل الحب، وهو الشعور بالهيمنة المطلقة للمحبيب، ويحصل القهر في حب الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

يَنْصَحِي السَّجْنَ ءِآرْبَابَ مُتَّفِقُونَ ۗ خَيْرٌ أَمَّ اللّٰهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٦﴾ (يوسف، ١٢: ٣٩)

٧٦. الإسلام:

الإسلام مرحلة من مراحل الحب، وهو الاستسلام المطلق لإرادة

المحبوب، ويحتاج حب الناس لله ﷺ إلى الإسلام. يقول الله ﷻ:

قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(النمل، ٢٧: ٤٤)

فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ جَعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ (الأنعام، ٦: ١٢٥)

أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۗ قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۗ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ (الزمر، ٣٩: ٢٢)

٧٧. الإيمان:

الإيمان مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷺ إلى

الإيمان. يقول الله ﷻ:

قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا ۗ قُلْ لَمَّ تَوَدُّوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٠﴾

(الحجرات، ٤٩: ١٤)

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۗ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ ۖ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ ۗ الْإِيمَانُ وَرَبِّئْتُمْ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ

الرَّاشِدُونَ ﴿١٠١﴾ (الحجرات، ٤٩: ٧)

٧٨. الإحسان:

الإحسان مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷺ إلى

الإحسان. يقول الله ﷻ:

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ (المنكوت، ٢٩: ٦٩)

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿٥٧﴾ (النحل، ١٦: ١٢٨)

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ

مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ (الأعراف، ٧: ٥٦)

٧٩. الإخلاص:

الإخلاص مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى

الإخلاص. يقول الله ﷻ:

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١٠٠﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ

الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ

إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٠١﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ

﴿١٠٠﴾ (الزمر، ٣٩: ٢-٣)

المطلب الثالث: ويتضمن مراحل حب الناس للناس

نذكر في هذا المطلب مراحل الحب التي تتعلق بحب الناس للناس فقط،

وهذه المراحل هي:

٨٠. المحبة:

المحبة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى المحبة.

يقول الله ﷻ:

إِنِ أَقْدَفِيهِ فِي الثَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ

لَهُ^ع وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّمِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾ (طه، ٢٠: ٣٩)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب" وشرحنا أنها نوع من الحب بين الناس أو نوع من الحب من الله ﷻ إلى الناس.

٨١. "وجود الجمال":

"وجود الجمال" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى "وجود الجمال" الحسي والمعنوي. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ^ع وَرَزَقْنَاكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٤٠﴾ (طه، ٢٠: ١٣١)

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا^ع وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ احْرُجْ عَلَيْهِنَّ^ط فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٤١﴾ (يوسف، ١٢: ٣١)

٨٢. التعارف:

التعارف مرحلة من مراحل الحب، ويحصل التعارف في حب الناس للناس، يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيَا النَّاسُ إِنْآ خَلَقْنٰكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوْآ^ع إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقٰنَكُمْ^ع إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٤٢﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٣)

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوْآ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ^ع قَدْ خَبِرَ الَّذِينَ كَذَبُوْآ بِلِقَآءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوْآ مُهْتَدِيْنَ ﴿٤٣﴾ (يونس، ١٠: ٤٥)

٨٣. المَيْل:

المَيْل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى المَيْل. يقول الله ﷻ:

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا
(النساء: ٤٠، ٢٧)

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا
كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (النساء: ٤٠، ١٢٩)
وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨٤. المودَّة:

المودَّة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى المودَّة. يقول الله ﷻ:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً
وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (الروم: ٣٠، ٢١)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨٥: الرُّأْفَة:

الرُّأْفَة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الرُّأْفَة. يقول الله ﷻ:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (التوبة: ٩، ١٢٨)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨٦. الشهوة:

الشهوة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الشهوة أي الرغبة في القرب الحسي والمعنوي. يقول الله ﷻ:

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ

عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿٤١﴾ (آل عمران، ٣: ١٤)

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا

﴿٢٧﴾ (النساء، ٤: ٢٧)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨٧. الهوى:

الهوى مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الهوى. يقول الله ﷻ:

أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَيْهَا هَوَاهُ وَأَفَانَتْ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿٤٢﴾ (الفرقان، ٢٥: ٤٣)

وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٢٣﴾ (النجم، ٥٣: ٣)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨٨. الهم:

الهمّ مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الهمّ أي توجه القلب. يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۗ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۗ كَذَٰلِكَ لِتَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ

الحب في القرآن الكريم

وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ (يوسف، ١٢: ٢٤)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨٩. المتعة:

المتعة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى المتعة.

يقول الله ﷻ:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ﴿٥٠﴾ (آل عمران، ٣: ١٤)

٩٠. الاستمتاع:

الاستمتاع مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى

الاستمتاع. يقول الله ﷻ:

وَأَمْحَصْنَتْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ﴿٤٠﴾ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَفَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ﴿٤١﴾

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤١﴾ (النساء، ٤: ٢٤)

٩١. الكرم:

الكرم مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الكرم.

يقول الله ﷻ:

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا

أَوْ كَلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفٍ وَلَا تَهَرَّهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٣)

٩٢. الرحمة:

الرحمة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الرحمة.

يقول الله ﷻ:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ (الروم، ٣٠: ٢١)

وَأَكْتَبَتْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَدَابِي أُصِيبُ

بِهِ مِنْ أَشَاءٍ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٥﴾ (الأعراف، ٧: ١٥٦)

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ

وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٤٠﴾ (غافر، ٤٠: ٧)

وبما أن رحمة الله ﷻ " وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ " وهي مكتوبة " لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ "

فهي تشمل حب الناس لبعضهم البعض.

٩٣. اللطف:

اللطف مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى

اللطف. يقول الله ﷻ:

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٤٢﴾ (الشورى، ٤٢: ١٩)

ولأن الله ﷻ هو اللطيف و " لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ " و " يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ " منهم،

نفهم أن حب " مَنْ يَشَاءُ " منهم لبعضهم البعض يتطلب اللطف.

٩٤. المغفرة، الغفران:

المغفرة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى المغفرة. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ (التغابن، ٦٤: ١٤)

٩٥. العفو:

العفو مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى العفو. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ (التغابن، ٦٤: ١٤)

٩٦. الصّفح:

الصّفح مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الصّفح. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ (التغابن، ٦٤: ١٤)

٩٧. المعروف:

المعروف مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى المعروف. يقول الله ﷻ:

أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ ؕ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمَلَهُنَّ ؕ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ؕ

وَأْتَمِرُوا بِبَيْتِكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسْتَزْضِعْ لَهُ أٰخَرَىٰ ﴿٦٥﴾ (الطلاق، ٦٥: ٦)

٩٨. المراودة:

المراودة مرحلة من مراحل الحب، وتحصل المراودة في حب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

قَالَ هِيَ رَاوَدَتِي عَنْ نَفْسِي ۖ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٢٦)

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ ۗ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۗ إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ (يوسف، ١٢: ٣٠) ٢٧٧

٢٧٧ مسألة: لم تعتبر المراودة مرحلة من مراحل الحب؟

قال ابن منظور: "وراود جاريته عن نفسها، وراودته هي عن نفسه إذا حاول كل واحد من صاحبه الوطاء والجماع، ومنه قوله تعالى: ... تَرَاوِدُ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ ... فجعل الفعل لها، وراودته على كذا مراودة ورواداً أي: أَرَدْتُهُ". (ابن منظور، لسان العرب، ٣/ ١٨٧).

وقال الفيروزآبادي: "المراجعة والمراودة"، وقال في موضع آخر: "وراودته عن الأمر وعليه: داريته"، كما قال في موضع آخر أيضاً: "والمراوغة: المراودة". وقال أيضاً في مادة فرغل: "وقولهم في المثل: أغزل من فرغل هو من الغزل والمراودة". وقال أيضاً: "والمراودة: المراجعة والمراددة"، (الفيروزآبادي، القاموس المحيط). وقال الرازي: "وراوده على كذا مراودة ... أي أَرَادَهُ". (الرازي، مختار الصحاح، ص ١١٠).

فنستخلص من أقوال العلماء أعلاه أن المراودة لها عدة معان، منها: الدعوة إلى الوطاء والجماع، ومنها: المراجعة، فتكون المراجعة والمحاولة في الحب ليصل المحبوب إلى الاقتناع بحبه، ومن معانيها أيضاً: الغزل، والغزل شعار الحب. فتكون المراودة هنا هي تكرار المحاولات لوصول المحب إلى قلب محبوبه. فهي إحدى مراحل الحب والوصول للمحبيب.

فالمراودة جزء من الحب كما أن الغيرة جزء من الحب وعلامة على وجوده، فالغيرة مثلاً تقتضي أن المحب يُحب محبوبه، والمراودة لها جانب جنسي كما تقدم في التعريفات السابقة وهي تحصل بين الزوجين، فتكون مراودة مباحة أو مشروعة، وإذا حصلت بين غير

وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيْفِيهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٢٧﴾ (القمر، ٥٤: ٢٧)

٩٩. الاستحياء:

الاستحياء مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الاستحياء في حب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَحَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ (القصص، ٢٨: ٢٥)

١٠٠. عدم الإحساس بالحال:

عدم الإحساس بالحال مرحلة من مراحل الحب، ويحصل عدم الإحساس بالحال في حب الناس. يقول الله ﷻ:

فَمَا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٣١)

الزوجين فإنها تكون مذمومة ومحرمة في الشرع. وهنا نقول بما أنه قد جاء في اللغة أن من معاني المرادة "المراجعة" وإرادة الوصول حب المحبوب ورضاه فإن العبد أيضاً حريص على مراجعة ربه ﷻ بالثبات على أداء الفرائض والإكثار من النوافل مرة بعد مرة ليصل إلى مقام محبة الله ﷻ له، وفي ذلك جاء الحديث القدسي:

«من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته». (رواه البخاري، رقم ٦٥٠٢، كتاب الرقاق، باب التواضع).



في الخلاصة: فقد جمعنا في هذه المطالب الثلاثة جميع مراحل الحب التي استطعنا أن نستنبطها من القرآن الكريم، ورتبناها ضمن ثلاثة مطالب:

(أ) مراحل حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس؛ وهي:

(١) الفراغ؛ (٢) الفقر؛ (٣) التزین؛ (٤) الإعجاب؛ (٥) الحب؛ (٦) الرضا؛ (٧) التقرب؛ (٨) الإرادة؛ (٩) الابتغاء؛ (١٠) الرغب؛ (١١) الولاية؛ (١٢) الخلة؛ (١٣) الفرح؛ (١٤) السكن؛ (١٥) الرجاء؛ (١٦) العمل؛ (١٧) الذكر؛ (١٨) النجوى؛ (١٩) الابتلاء؛ (٢٠) الاطمئنان؛ (٢١) العلم؛ (٢٢) المعرفة؛ (٢٣) المشيئة؛ (٢٤) الخوف؛ (٢٥) الحزن؛ (٢٦) الألم؛ (٢٧) البكاء؛ (٢٨) التغيير؛ (٢٩) القبض؛ (٣٠) البسط؛ (٣١) الحاجة إلى الخلوة؛ (٣٢) الصبر؛ (٣٣) الأمل؛ (٣٤) الغيرة؛ (٣٥) اللقاء؛ (٣٦) المعية؛ (٣٧) قرّة العين.

(ب) مراحل حب الناس لله ﷻ؛ وهي:

(٣٨) الود؛ (٣٩) الشفقة؛ (٤٠) الاستئناس، الأُنس؛ (٤١) السلام؛ (٤٢) الاكتفاء؛ (٤٣) الشكر؛ (٤٤) التوكل؛ (٤٥) انشراح الصدر؛ (٤٦) لين الجلد؛ (٤٧) لين القلب؛ (٤٨) قشعريرة الجلد؛ (٤٩) وجل القلب؛ (٥٠) التبتّل؛ (٥١) الإخبات؛ (٥٢) الإنابة؛ (٥٣) التضرع؛ (٥٤) التوبة؛ (٥٥) الاستغفار؛ (٥٦) العجل للترضية؛ (٥٧) الدعاء؛ (٥٨) التذكّر؛ (٥٩) الاتباع؛ (٦٠) تمحيص القلب؛ (٦١) الشك؛ (٦٢) الريب؛ (٦٣) الظن؛ (٦٤) النظر؛ (٦٥) التفكّر؛ (٦٦) التدبّر؛ (٦٧) استعمال العقل؛ (٦٨) التبصر؛ (٦٩) اليقين (علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين)؛ (٧٠) الطمع؛ (٧١) الحاجة إلى الناس، الحاجة إلى الخلوة؛ (٧٢) التأوّه؛ (٧٣) الأوب؛

(٧٤) القنوت؛ (٧٥) القهر؛ (٧٦) الإسلام؛ (٧٧) الإيمان؛ (٧٨) الإحسان؛ (٧٩) الإخلاص.

(ج) مراحل حب الناس للناس؛ وهي:

(٨٠) المحبة؛ (٨١) وجود الجمال؛ (٨٢) التعارف؛ (٨٣) الميل؛ (٨٤) المودة؛ (٨٥) الرأفة؛ (٨٦) الشهوة؛ (٨٧) الهوى؛ (٨٨) الهم؛ (٨٩) المتعة؛ (٩٠) الاستمتاع؛ (٩١) الكرم؛ (٩٢) الرحمة؛ (٩٣) اللطف؛ (٩٤) المغفرة، الغفران؛ (٩٥) العفو؛ (٩٦) الصفح؛ (٩٧) المعروف؛ (٩٨) المرادة؛ (٩٩) الاستحياء؛ (١٠٠) عدم الإحساس بالحال.

فبلغ مجموعها مائة مرحلة تتضمن جميعها الحب البشري. فالحب البشري مكوّن من هذه المراحل جميعاً، لأن الحب البشري هو ما يحصل في الإنسان أثناء الحب وليس ما يحصل في محبوب الإنسان أثناء الحب. فالحب البشري الكامل مكون من جميع هذه المراحل. ولا نقطع بأن هذه هي جميع مراحل الحب الموجودة في القرآن الكريم، وأنه لا يستنبط منه غيرها، ولكن هذه المراحل التي ذكرناها تشكل - إن شاء الله ﷻ - معظم مراحل الحب الرئيسة بقدر ما أفاض الله ﷻ علينا به، وتعطينا صورة واضحة لعملية مسار الحب، واستنباط سر ما يجري في وقوع الحب أيضاً، كما سنرى إن شاء الله في الفصل الذي يليه عن "الوقوع في الحب".



مسألة: ما الفرق بين حب البشر لله ﷻ وحب البشر للبشر؟

الجواب: إن هناك بعض الفروق بين هذين الحبين، منها: أن حب البشر لله ﷻ أشد، ... **وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ... (البقرة، ٢: ١٦٥)، ومنها أيضاً: أن أعلى ملكتين وهبهما الله ﷻ للإنسان وهما اللب والفؤاد لا دور لهما في حب

البشر للبشر: فقد ذكرنا في فصل "الوقوع في الحب" أن اللب لا عيب فيه ولا عمی ولا ريب ولا يحتاج إلى تثبيت، ويكون دائماً تقياً ذاكراً بصيراً، كما قال ﷺ: **وَلَيَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** (ص: ٣٨، ٢٩)، فلا يصل حب الإنسان للإنسان إلى اللب، لأن حب الإنسان للإنسان يتضمن التغيير والاختلاف. وأما بالنسبة للفؤاد، فهو يحتاج إلى تثبيت، ويهوى الخير عند المؤمنين ويصغي عند الكافرين، وهو يرى، قال ﷺ: **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى** (النجم، ٥٣: ١١)، فلا يصل حب الإنسان للإنسان إلى الفؤاد لأن حب الإنسان للإنسان لا يتضمن رؤية الفؤاد من خلال نور الله ﷻ كما هو الحال في الحب لله ﷻ. أما بالنسبة للقلب وما دون ذلك من ملكات الصدر والنفس فهي تشترك في الحب لله ﷻ والحب للبشر، والله أعلم.

أما بالنسبة للحب الجنسي (وهو حب يتعلق بجسم الإنسان) فلا علاقة له بحب الإنسان لله ﷻ، إلا أن محي الله ﷻ الصادقين الذين بلغوا الدرجات العلى في الحب تتفاعل عند ذكر الله ﷻ جميع ذرات وأجزاء البدن لديهم بالإضافة إلى القلب والعقل والجوارح فيكون لها دور في حب الله ﷻ، ونرى هذا في قوله ﷻ:

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٠﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ

أُمِرْتُ وَأَنَا أَوْلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣١﴾ (الأنعام، ١٦٢-١٦٣).

والله ﷻ أعلم.



الوقوع في الحب

المطلب الأول: مكونات الإنسان وملكاته

قبل أن نعرف ما هو الوقوع في الحب، يجب علينا أن نعرف من هو الإنسان؛ فالوقوع في الحب شيء يحدث في داخل الإنسان، وشيء يحدث للإنسان. ومن غير المنطقي أن نسعى إلى فهم أفعال شيء ما من دون أن نفهم الشيء نفسه.

الإنسان مخلوق من ثلاثة عناصر رئيسة: الجسم، والنفس، والروح. والجسم فردي ومادي؛ والنفس فردي ولكن لطيف؛ والروح فوق الفردي وفوق المادي.

(أ) الجسم:

ذكر الله ﷻ أجسام الناس في القرآن الكريم. يقول الله ﷻ:

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمَلَكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلَكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ (البقرة، ٢: ٢٤٧)

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهم خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ ۖ تَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۗ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۗ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ ۗ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦٣﴾ (الأنفال، ٦٣)

(٤:

وللجسم حواس مثل السمع والبصر. يقول الله ﷻ:

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ

اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ (البقرة، ٢: ٢٠)

وأشار الله ﷻ إلى حواس الجسم الأخرى وهي التذوق، والشم، واللمس. فأشار ﷻ إلى التذوق في الآيتين التاليتين:

وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلْأَكْلِينَ ﴿٢١﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٢٠)

وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَبَّرَةٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَّرَعٌ وَخَيْلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾ (الرعد، ١٣: ٤)

وذكر الله ﷻ اللمس في الآية التالية:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ (النساء، ٤: ٤٣)

وأشار الله ﷻ إلى الشم في الآية التالية:

وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّحْمَانُ ﴿٥٥﴾ (الرحمن، ٥٥: ١٢)

" وَالرَّحْمَانُ " هو " الورق المشموم " ٢٧٨ .

(ب) النفس:

ذكر الله ﷻ ثلاثة "أنواع" أو "أجزاء" من النفس، وهي: " النفس الأمانة بالسوء"، " النفس اللوامة"، " النفس المطمئنة". يقول الله ﷻ:

وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾

(يوسف، ١٢: ٥٣)

وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٥٤﴾ (القيامة، ٧٥: ٢)

يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٥٥﴾ (الفجر، ٨٩: ٢٧) ٢٧٩

وذكر الله ﷻ ملكات نفس الإنسان. كما ذكر الله ﷻ عقل الإنسان.

يقول الله ﷻ:

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ تُحَرَّفُوهَ مِنْ

بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ (البقرة، ٢: ٧٥)

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾ (البقرة، ٢: ٤٤)

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٧٨﴾ (المك، ٦٧: ١٠)

وذكر الله ﷻ قدرة الإنسان على التعلم:

أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٩٦﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٩٧﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٩٨﴾ (العلق، ٩٦: ٣-٥)

وذكر الله ﷻ قدرة الإنسان على الكلام:

قَالَ يَتْلُوا آيَاتِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٢٣٠﴾ (البقرة، ٢: ٢٣٠)

الرَّحْمَنِ ﴿٢٣١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢٣٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٢٣٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٢٣٤﴾ (الرحمن، ٥٥: ١-٤)

وذكر الله ﷻ إرادة الإنسان (مع أن الإرادة تعتبر نوعاً من أنواع الحب،

كما رأينا في فصل "أنواع الحب"):

٢٧٩ وذكر الإمام الغزالي - وربما هذا أفضل ما كُتِبَ في هذا الموضوع - معاني النفس والقلب والعقل والروح في كتابه "كتاب شرح عجائب القلب" وهو الجزء الحادي والعشرون من كتابه العظيم "إحياء علوم الدين"، ولكننا أحببنا أن نتكلم على الحب من القرآن الكريم.

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾

(الإسراء، ١٧، ١٩)

وذكر الله ﷻ عاطفة الإنسان: وهذا ما رأيناه في آخر فصلين ("أنواع الحب" و"مراحل الحب") بالذات لأن الحب عاطفة عند الإنسان بالإضافة إلى "مبيل، من بعد الإعجاب، إلى الحسن". يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ؕ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة، ٥٤)

وذكر الله ﷻ ذاكرة الإنسان:

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمْ أَذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتِظَمُ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢، ٤٥)

وذكر الله ﷻ خيال الإنسان:

قَالَ بَلْ أَلْقَوُا ^طفِيهَا حِجَابَهُمْ وَعَصِيئُهُمْ تُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَآ تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ (طه، ٢٠، ٦٦)

وذكر الله ﷻ إحساس الإنسان:

يَنبِيئَ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ ^ط إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا ^طالْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف، ١٢، ٨٧).

وذكر الله ﷻ شعور الإنسان:

إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ (الشعراء، ٢٦، ١١٣).

وذكر الله ﷻ إيناس الإنسان:

فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ءَانَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا خَبِيرٌ أَوْ جَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٨﴾ (القصص، ٢٨، ٢٩)

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ ءَانَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا خَبِيرٌ أَوْ ءَاتِيكُمْ بِبِشَابٍ مُّبَسَّسٍ لَّعَلَّكُمْ

تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ (النمل، ٢٧: ٧).

وذكر الله ﷻ بصيرة الإنسان:

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ

بِحَفِيفٍ ﴿٤٤﴾ (الأنعام، ٦٦: ١٠٤)

وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ
بَعْضَهُ ۖ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا ۗ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ

الْخَبِيرُ ﴿٤٥﴾ (التحریم، ٦٦: ٣)

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي
أَذْهَبُوا فَتَحَسُّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأَيْسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأَيْسُ مِنْ رَوْحِ

اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف، ١٢: ٨٦-٨٧) ٢٨٠

(ج) الروح:

ذكر الله ﷻ أنه نفخ في الإنسان من روحه:

ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ۗ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مَّا

تَشْكُرُونَ ﴿٤١﴾ (السجدة، ٣٢: ٩)

وبالنسبة للروح، لا يمكن للإنسان أن يعلم الكثير عنها لأن الله ﷻ

قال:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۗ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧٠﴾

(الإسراء، ١٧: ٨٥)

٢٨٠ وذكر الإمام الغزالي - في كتابه الفلسفي "مقاصد الفلاسفة"، الفن الثالث "في الطبيعيات" - الحواس الباطنية للإنسان وهي: الحس المشترك، والقوة المتصورة، والقوة المتخيلة، والقوة الوهمية، والقوة الذاكرة، [ص ٣٥٦]؛ كما ذكر قوتين للنفس وهما: القوة العاملة، والقوة العاملة، [ص ٣٥٩]، ولكننا أحيينا أن نتكلم على الحب من القرآن الكريم.



وذكر الله ﷻ حقائق أخرى للإنسان، وهي: الصدر، والقلب، والفؤاد،
واللُب (وكانها تأتي بين النفس والروح).
أما بالنسبة للصدر فهو مركز الكفر، والوسواس، ولكنه أيضاً مركز
للانسراح. يقول الله ﷻ:

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ
شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ (النحل، ١٦: ١٠٦)
مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤١﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٤٢﴾ مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ ﴿٤٣﴾ (الناس، ١١٤: ٤-٦)

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۗ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ
ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۗ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧٤﴾ (الأنعام، ٦: ١٢٥)

أما بالنسبة للقلب فهو يعمى، ويكون فيه ريب، وغلّ، ولكنه أيضاً
يكون فيه إيمان، واطمئنان، وسكينة. يقول الله ﷻ:

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يُسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا
تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٥١﴾ (الحج، ٢٢: ٤٦)
إِنَّمَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي
رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٤﴾ (التوبة، ٩: ٤٥)

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾ (الحشر، ٥٩: ١٠٠)

قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٩﴾

(الحجرات، ٤٩: ١٤)

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤٨﴾ (الفتح، ٤٨: ٤)

أما بالنسبة للفؤاد، فقد يكون فارغاً، ويحتاج إلى تثبيت، ويهوى الخير في الدنيا عند المؤمنين، ويُصغي عند الكافرين (ويهوى الشر عند الكافرين في الآخرة)، ولكنه يرى. يقول الله ﷻ:

وَأَصْحَابُ فُؤَادٍ أُمِرُوا بِفِرْعَاطٍ ۗ إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾ (القصص، ٢٨: ١٠)

وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۗ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ (هود، ١١: ١٢٠)

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۖ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۗ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٢٥﴾ (الفرقان، ٢٥: ٣٢)

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ (إبراهيم، ١٤: ٣٧)

وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْعِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿٦﴾ (الأنعام، ٦: ١١٣)

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْعِدُهُمْ هَوَاءً ﴿١٤﴾ (إبراهيم، ١٤: ٤٣)

مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿٥٣﴾ (النجم، ٥٣: ١١)

وأخيراً، بالنسبة للُب، فلا عيب فيه، ولا عَمَى، ولا ريب، ولا يحتاج

إلى تثبيت، ويكون دائماً تقياً ذاكراً وبصيراً:

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِؤِى الْأَلْبِيبِ
لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ (المائدة، ٥: ١٠٠)

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي
الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُونِ
يَأْتِؤِى الْأَلْبِيبِ ﴿١٠١﴾ (البقرة، ٢: ١٩٧)

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّا أُولُو الْأَلْبِيبِ ﴿١٠٢﴾ (البقرة، ٢: ٢٦٩)

هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۗ وَيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبِيبِ ﴿١٠٣﴾
(إبراهيم، ١٤: ٥٢)

كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِنَا ۗ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبِيبِ ﴿١٠٤﴾ (ص، ٣٨: ٢٩)

من الواضح أن القلب أرقى وأطهر من الصدر، وأن الفؤاد أرقى
وأطهر من القلب، وأن اللب أرقى وأطهر من الفؤاد. كما هو واضح أيضاً
أن القلب والصدر والفؤاد واللب ليست حقائق جسمانية فحسب، ولكنها
حقائق لطيفة تتسلل بين النفس والروح: فالصدر كأنه يشترك مع النفس في
شُجْهها. يقول الله ﷻ:

وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا
صُلْحًا ۗ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ۗ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢٨﴾ (النساء، ٤: ١٢٨)

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي
صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۗ وَمَنْ يُوقِ
شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ (الحشر، ٥٩: ٩٠)

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ ۗ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ

نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٤﴾ (التغابن، ٦٤: ١٦)

وكذلك كأن اللب يشترك مع الروح في سيره وعلمه. يقول الله ﷻ:

رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ

الْتِقَافِ ﴿٤٠﴾ (غافر، ٤٠: ١٥)

يَبْنِي أَدْهُبُوا فَتَحَسَبُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ

رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٢٧﴾ (يوسف، ١٢: ٨٧)

والله أعلم^{٢٨١}.

المطلب الثاني: سر الوقوع في الحب

بعدما رأينا وسمينا مكونات وملكات الإنسان، نستطيع الآن - إن شاء الله ﷻ - أن نفهم سير الوقوع في الحب وماذا يحصل في جميع مراحل الحب التي ذكرناها سابقاً في فصل "مراحل الحب" وتنبثق من إحدى مكونات أو ملكات الإنسان على الشكل التالي:

١. الجسم: المتعة، الاستمتاع، الألم، "قشعريرة الجلد"، "لين الجلد"، عدم الإحساس بالحال.
٢. النفس: الفراغ، الفقر، الابتلاء، الحزن، الألم، البكاء، التغيير، القبض، البسط، الحاجة إلى الخلوة، المعية، الحاجة إلى الناس، التأوه، القهر.
٣. النفس الأمارة بالسوء: المرادة.

٢٨١ وذكر الحكيم الترمذي - وربما هذا أفضل ما كُتب في هذا الموضوع - معاني الصدر والقلب والفؤاد واللب في كتابه "بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب"، ولكننا أحببنا أن نأتي بالمادة من القرآن الكريم.

٤. النفس اللوامة: الكرم، الرحمة، اللطف، المغفرة، العفو، الصَّفْح، المعروف، الاستحياء، التبتُّل، الإخبات، الإنابة، التضرُّع، التوبة، الاستغفار، الأوبة، القنوط.

٥. النفس مطمئنة: السكون، السلام، الاكتفاء، الشُّكر، التوكُّل.

٦. العقل: العلم، المعرفة، الشُّك، الرِّيب، الظَّن، النَّظْر، التفكُّر، التدبُّر، "استعمال العقل"، "التعارف".

٧. قدرة الإنسان على التعلم: الأتباع.

٨. قدرة الإنسان على الكلام: النجوى.

٩. إرادة الإنسان: العمل، المشيئة، الخوف، الصبر، الأمل، الغيرة، "العجل للترضية"، الدعاء.

١٠. عاطفة الإنسان: الإعجاب، الميل، الحُب، المحبَّة، الوُد، الموَدَّة، الرُّضا، الشفقة، الرأفة، التقرُّب، الإرادة، الابتغاء، الرِّغب، الولاية، الشهوة، الهوى، الهم، الفرح، الرِّجاء، قرة العين، الطمع.

١١. الذاكرة: الذِّكر، التذكُّر.

١٢. الخيال: التزيُّن.

١٣. الإحساس: "وجود الجمال".

١٤. الشعور: الألم، العلم.

١٥. الإيناس: الاستئناس، اليقين (علم اليقين).

١٦. البصيرة: البصيرة، اليقين (عين اليقين، حق اليقين).

١٧. الصدر: "لين الجلد"، الإسلام.

١٨. القلب: الاطمئنان، "لين القلب"، "وجل القلب"، "تمحيص القلب"، الإيمان.

١٩. الفؤاد: الإحسان، الفراغ.

٢٠. اللُّب: الإخلاص.

ومن هنا يتضح نمط معين: كل مراحل الحب ترجع إلى مكونات ومَلَكَات الإنسان بأكملها؛ وكل مكونات ومَلَكَات الإنسان تتخرط - كل بطريقتها الخاصة وحسب طبيعتها - في الحب. بعبارة أخرى، فإن كل شيء يحدث أثناء الوقوع في الحب - من الرجاء إلى الخوف؛ ومن الفرح إلى الغيرة؛ ومن القبض والحاجة إلى الخلوة إلى البسط والحاجة إلى الناس والحاجة إلى الجلوة؛ ومن الاستهواء والهَمَّ والرغب إلى الحزن والألم والبكاء - كلها نتائج مباشرة لعملية قيام جسد ونفس أو روح المُحِبِّ بالتعلُّق والارتباط بالمحبوب. ومن هنا يمكن لنا أن نرى بسهولة ما هو الوقوع في الحب: الوقوع في الحب هو "مِيل جميع مكونات أو مَلَكَات الإنسان إلى الحُسْن، من بعد الإعجاب به". أي أن الوقوع في الحب هو مِيل كل ما في الإنسان إلى المحبوب.

وهذا قد يأتي تدريجياً أو فجأة بناءً على الحالة لدى محب، أو محبوبين مختلفين، ولكن في جميع الأحوال يأتي بالطريقة نفسها والعملية نفسها لأن مكونات ومَلَكَات الإنسان لا تختلف بعينها من شخص إلى آخر. والله ﷻ يقول:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكِ الدِّينُ الْقَوِيمُ وَلِيَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم، ٣٠: ٣٠)

فكل مراحل الحب - من متعة وألم^{٢٨٢} وخوف وطمع وشعور وتفكير

٢٨٢ هذه المراحل تكون أحياناً مؤلمة وأحياناً بلذة، بالتوالي أو معاً، حسب (كما سنرى لاحقاً إن شاء الله في فصل "طبيعة الحب") حالات القبض والبسط وتأثيرهما على ملكات الإنسان المختلفة. يقول الله ﷻ:

- ما هي إلا ملكات الجسم والنفس والروح في عملية ميلها وارتباطها بمحجوب معين. فالحب يتطلب كل ما في الإنسان، فكل ما في الحب من ملكات وغيرها تتشارك في الميل نحو حبيبه، وهذا هو السير العظيم في الوقوع في الحب^{٢٨٣}، والله أعلم.



مسألة: ما الفرق بين الحب البشري لله وحب الأشياء والجمادات لله

ﷺ؟

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(البقرة، ٢: ٢٤٥)

ولكن بعد القبض سيكون إن شاء الله للمؤمن دائماً بسطاً وتيسيراً. يقول الله ﷻ:

..... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٦٥﴾ (الطلاق، ٦٥: ٤)

..... سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٦٥﴾ (الطلاق، ٦٥: ٧)

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٦٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْجِعْ ﴿٦٨﴾ (الشرح، ٩٤: ٥-٨)

٢٨٣ وهذا هو سبب عدم فهم الفكر الحديث للحب: فالعلم الحديث يختصر الإنسان ويسبّطه ليصبح مجرد كائن حيّ يمكن تعريفه من خلال علم الأحياء والفيزياء والكيمياء، ويصبح الحب في نظر الفكر الحديث حالة من الشهوة المهذبة أو المشتدة وليدة الدوافع الكيميائية أو الكهربائية. والعلم الحديث لا يميّز ملكات الإنسان على هذا النحو وينكر وجود "مكونات" الإنسان العليا كالنفس والقلب (الروحي) والروح. لذلك لا يمكن للعلم الحديث أن يرى العملية التي تميل فيها الملكات البشرية و"المكونات" الروحية بشكل منهجي تجاه المحبوب. لذلك فلا يمكنه أن يميز أو يفهم الحب أو الوقوع في الحب بشكل صحيح. وبالطبع نحن لا ننكر العمليات الكيميائية والبيولوجية والجسدية التي تتجلى في الجسم عند وقوع الإنسان في الحب؛ نحن فقط نوّكد أنها آثار الحب وليست سببها - أو على الأقل في حالة الناس الذين تسيطر أنفسهم على أجسادهم إلى درجة ما.

الجواب: إن الحب البشري لله ﷻ يتميز بما وهب الله ﷻ للإنسان من ملكات (كالنفس والروح والعقل والقلب والخيال والإرادة ... إلى آخره كما وصفنا سابقاً) بينما حب الأشياء والجمادات لله ﷻ هو حب فطري طبيعي ولا يتطلب الملكات الخاصة بالإنسان. فإنه يوجد في الحب البشري مراحل وأنواع للحب، وهذه الأنواع والمراحل تعود أصلاً كل واحدة منها إلى إحدى الملكات الخاصة بالإنسان أو أكثر، ولكن لا توجد هذه المراحل والأنواع من الحب في حب الجمادات الطبيعي الفطري لله ﷻ. فالملائكة لا تملك أجساماً مادية، ولكنها تحب الله ﷻ، والصخور مثلاً لا قلب لها ولكنها تحب الله ﷻ أيضاً. فهذا هو الفرق بينهما، وهذا هو تفسير الحب البشري في ضوء الحب الكوني الشامل.



نمو الحب

المطلب الأول: كيف ينمو الحب؟

وتقصد بهذا كيف يشتد الحب، وكيف يتحوّل الحب إلى درجة أعمق وأشد؟ يقول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)

فهذه الآية تثبت أن للحب درجات مع أن تعريف الحب - هو "ميل من بعد الإعجاب بالحسن" - ينطبق على جميع درجات شدة الحب وأنواعه. فكيف تشتدّ قوة الحب أحياناً، ولم يشتدّ الحب في بعض الأحيان، ويفتر ويموت أحياناً أخرى؟

قد رأينا في الفصل السابق ("الوقوع في الحب")، أن الوقوع في الحب هو: "ميل جميع مكونات أو ملكات الإنسان إلى الحسن من بعد الإعجاب به". فيترتب على هذا أن الحب ينمو من خلال ميل مكونات وملكات الإنسان واحدة تلو الأخرى إلى المحبوب. وبالفعل نرى في القرآن الكريم أن الملكات تُغذّي بعضها بعضاً وتقوي بعضها بعضاً إذا اجتمعت على هدف واحد. فعلى سبيل المثال ممارسة الإرادة والعقل تستطيعان أن تُنميا قدرة العاطفة على الحب، كما أن ممارسة العاطفة والعقل تستطيعان أن تُقويا قوة الإرادة، كما أن ممارسة العاطفة والإرادة تستطيعان أن تُعمقا قدرة العقل على الفهم. وهذا شيء يعرفه كل معلّم وكل رب أسرة: فالطفل الذي يجب

شيئاً أو مادة يفهمها بسهولة أكثر من الطفل الذي لا يجيها، وكذلك الطفل الذي يُريد أن يفهم شيئاً يفهمه بسهولة أكثر من الطفل الذي لا يريد هذا الشيء، وهلم جرا. والله ﷻ بين نماذج عدة لهذا المبدء في القرآن الكريم، وعلى سبيل المثال ما يلي:

الإيمان يؤدي إلى هداية القلب، والسمع والطاعة، والعلو:

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٠﴾
(التغابن، ٦٤: ١١)

ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ؕ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ؕ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ (البقرة، ٢: ٢٨٥)

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ١٣٩)

والإيمان + الكفر بالطاغوت يؤديان إلى الاستمسك بالعروة الوثقى:

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۗ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۗ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٦﴾ (البقرة، ٢: ٢٥٦)

والإيمان + العمل الصالح يؤديان إلى الهدى، وتكفير السيئات:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٠٠﴾ (يونس، ١٠: ٩)

يَوْمَ نَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۗ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۖ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ (التغابن، ٦٤: ٩)

والإيمان + التقوى يؤديان إلى الفرقان وتكفير السيئات، وإلى كفلين من

رحمة الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ (الأَنْفَال: ٢٩)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَتَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ (الحديد، ٥٧: ٢٨)

والإيمان + العلم يؤديان إلى رفع الدرجات:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَأَنشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٥١﴾ (المجادلة، ٥٨: ١١)

والتقوى تؤدي إلى العلم، وإلى المخرج والرُّزق:

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٣٢﴾ (البقرة، ٢: ٢٨٢)

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٦١﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٦٢﴾ (الطلاق، ٦٥: ٣-٢)

والتقوى + السمع والطاعة + الإنفاق يؤدوا إلى وقاية شُح النفس:

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩١﴾ (التغابن، ٦٤: ١٦)

والتقوى + الإعطاء + التصديق بالحسنى يؤدي إلى اليسرى:

فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٩١﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٩٢﴾ فَسَنِيَرُهُ لِيَسْرَى ﴿٩٣﴾ (الليل، ٩٢: ٥-٧)

والتقوى + الإحسان يؤديان إلى المعية:

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٦٨﴾ (الحل، ١٦: ١٢٨)

والإحسان يؤدي إلى العلم والحكم:

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَحْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ (يوسف، ١٢: ٢٢)

والهدى يؤدي إلى زيادة الهدى:

وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَيْنَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿٤٧﴾ (صمد، ٤٧: ١٧)

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ (البقرة، ٢: ٢٨٢)

والتقوى تؤدي إلى العلم والعلم يؤدي إلى خشية الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

الْعَلَمَتُوا ﴿٢٨﴾ (فاطر، ٣٥: ٢٨)

والاستقامة + ذكر الله ﷻ يؤديان إلى تنزيل الملائكة بالبيارات وعدم

الخوف والحزن:

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا

وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٥﴾ خُنْ أَوْلِيَاءُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٢٦﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٢٦﴾

(فصلت، ٤١: ٣٠-٣٢)

والجهاد في الله ﷻ يؤدي إلى الهدى:

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٧﴾ (المنكوت، ٢٩: ٦٩)

ومن ناحية عكسية، مرض القلب + الرجس يؤديان إلى زيادة الرجس:

وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ

كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ (التوبة، ٩: ١٢٥)

أما بالنسبة إلى الحب خاصة، فالله ﷻ وعد الوعد التالي:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٦١﴾ (مريم، ١٩: ٩٦)

فالإيمان + العمل الصالح يؤديان إلى ود كـ "جعل إلهي". وربما في

نفس السياق، ألقى الله ﷻ " محبة منه " على موسى عليه السلام، بشكل خاص:

أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي الثَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ

لَهُ ۗ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٢٠﴾ (طه، ٢٠: ٣٩)

ومن ناحية أخرى، الحب لله + اتباع السنة يؤديان إلى حب الله ﷻ للعبد (لأن هذين العنصرين يعينان أن النفس تكون كلها بكاملها جميلة لأنها تتبع الرسول الذي هو على " خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴿٤١﴾ (القلم، ٦٨: ٤١) ". يقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ٣١)

فها هي عاطفة الحب تزداد من خلال ميل المملكات الأخرى إلى المحبوب، والحب لله ﷻ بالإضافة إلى اتباع السنة يُكَافَأُ من الله ﷻ بحب منه للعبد، والله أعلم.



المطلب الثاني: كيف تتحكّم في حبننا؟

إذا كان الحب يزداد من خلال ميل جميع مكونات وملكات الإنسان إلى المحبوب، فكيف يُنمّي الإنسان حباً معيناً، وكيف يُعطل حباً معيناً؟ بعبارة أخرى، كيف يستطيع الإنسان أن يتحكّم فيما يحبه وما لا يحبه؟ كيف تستطيع الإرادة وحدها التحكّم في ميل كل المملكات الأخرى بما فيها النفس الأمّارة بالسوء؟ فرمما يُريد الإنسان أن لا يحب شيئاً لا خير أو لا أمل فيه. وعلى العكس، ربما يُريد الإنسان أن يحب شيئاً فيه خير كثير ولكن لا يميل إليه بشكل طبيعي. يقول الله ﷻ:

... وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

كَثِيرًا ﴿١٩﴾ (النساء، ٤٠: ١٩)

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِيكُمُ الْآلَتِيبُ

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٢٠﴾ (المائدة، ١٠٠: ١٠٠)

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى

أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ (البقرة، ٢: ٢١٦)

الحياة الروحية والأخلاقية تتمحور حول السيطرة على ما يجبه المرء وما لا يجبه؛ وهكذا يمكن لهذا الموضوع أن يكون معقدًا جدًا. والقرآن الكريم يعطينا مفاتيح محددة تُرينا كيف يمكن لنا تقوية أو إضعاف الحب بشكل أسهل.

أما بالنسبة لتقوية حُب ما ينفع الإنسان، فقد رأينا أنها تأتي بشكل طبيعي بالإيمان والعمل الصالح بشكل عام؛ يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٢١﴾ (مریم، ١٩: ٩٦)

فالأمر بسيط؛ مفتاح تقوية الحب الحسن لأمر نافع هو الأعمال الصالحة، وبالتالي فهي التصرف بإحسان. فالإحسان هو جائزة ومكافأة بجد ذاتها. يقول الله ﷻ:

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٥٠﴾ (الرحمن، ٥٥: ٦٠)

ومن ناحية أخرى فإن إضعاف حب ما لا ينفع الإنسان ليس أمراً سهلاً ولكنه ممكن بعون الله ﷻ؛ يقول الله ﷻ:

• أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾

وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٥٢﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ

مُلْتَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٥٣﴾ (البقرة، ٢: ٤٤ - ٤٦)

وهكذا فإن التغيير الداخلي صعب ولكنه ليس مستحيلًا. وهو يتطلب إيماناً مسبقاً بالله ﷻ " الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبَّهُمْ "، ورجاءً في الله وخوفاً منه ﷻ " وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ". ولكن بالإضافة إلى الإيمان والرجاء والخوف (وقد ناقشنا سابقاً في فصل " حب الإنسان لله ﷻ " أن هذه هي الدوافع الأساسية الثلاثة التي يقبلها الله ﷻ في حب الإنسان له وفي كل أفعالنا) فإن التغيير الداخلي يحتاج إلى ثلاث فضائل رئيسية هي: (١) الصبر؛ (٢) التواضع؛ (٣) الصلاة وذكر الله ﷻ.

أولاً، بالنسبة للتواضع (فضيلة رقم ٢)، يجب أن نقول إن التواضع الحقيقي يأتي من معرفة النفس؛ ومعرفة النفس تتطلب من الناحية العملية مراقبة النفس بحذر. يقول الله ﷻ:

بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٠٠﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٠١﴾ (القيامة، ٧٥: ١٤-١٥)

ومراقبة النفس تعني أنه على الإنسان أن يسيطر على ما يسمح لنفسه بأن يستمتع به. يقول الله ﷻ:

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ (التوبة، ٩: ٦٩)

فَوَيْلٌ لِّلْمُكَدِّبِينَ ﴿١٠٢﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٠٣﴾ (الطور، ٥٢: ١١-١٢)

فإذا كانت نفس الإنسان ومكوناته وملكاته مستمتعة ومتعلقة بمحسوب ليس من مصلحته الحقيقية أن يجبه، (وكان حقاً يريد أن يتوقف عن هذا الحب المؤذي) فعليه أن يكف عن هذا الاستمتاع وأن يتوقف عن التفكير فيه. ولتحقيق هذا فعليه التفكير في شيء آخر والانشغال بالتفكير في الله ﷻ وتحديدًا ذكر الله (فضيلة رقم ٣). يقول الله ﷻ:

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾

(الحديد، ٥٧: ١٦)

أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۗ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
 وَالْمُنْكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿١٦﴾ (العنكبوت، ٢٩: ٤٥)

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ
 وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطَهَّرُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ
 تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿١٨﴾ (الرعد، ١٣: ٢٧-٢٨)

وليحذر من إصرار الشيطان على تلهيته بصوته واستفرازه. يقول الله

ﷻ:

وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمُ نَجْوَاكَ وَرَجِلَكَ وَشَارِكُهُمْ فِي
 الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتِهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٦﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ
 عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿١٧﴾ (الإسراء، ١٧: ٦٤-٦٥)

لَعَنَهُ اللَّهُ ۗ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١٦﴾ وَلَا ضَلَّانَهُمْ وَلَا مَتِّدِنَهُمْ
 وَلَا مُرْتَهِنَهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْهَمَهُمْ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يَتَّخِذِ
 الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١٧﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۗ وَمَا
 يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٨﴾ (النساء، ٤: ١١٨-١٢٠)

فشر الوسواس الخناس "الذي يؤسوس في صدور الناس" ﴿١٦﴾

(الناس، ١١٤: ٥) عائق كبير في الحياة الروحية ويمكن له تعطيل أفضل جهودنا إن
 سمحنا له. ففضيلة الصبر (فضيلة رقم ١) أمر أساسي. من دون الصبر في
 الصلاة وذكر الله ﷻ لا توجد طريقة - نفسياً وروحياً - للهروب من
 الأفكار والشهوات المؤذية والسلبية. والبشر داخلياً عالقون بين بديلين: أن

يكون لهم "قرين" أو أن ينشغلوا في ذكر الله ﷻ، وهو الرحمن الرحيم. يقول الله ﷻ:

وَمَنْ يَعْنُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٦٦﴾ (الزخرف، ٤٣: ٣٦)

وليخلص الإنسان نفسه من حب سليبي، عليه أن يذكر الله كثيراً - إن لم يكن باستمرار - وأن يتجاهل الإغراءات أو الأفكار السلبية. بالنسبة لتجاهل الإغراءات والأفكار السلبية، يقول الله ﷻ:

قُلِ اللَّهُ شَرُّ ذَرْمِهِمْ فِي حَوَاصِبِهِمْ يَعْبُونَ ﴿٩١﴾ (الأنعام، ٦: ٩١)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَلْهَكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٢﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْتُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩٣﴾ (المتافقون، ٦٣: ٩٠-٩١)

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ ﴿٩٤﴾ (طه، ٢٠: ٩٤)

وبالنسبة لذكر الله ﷻ كثيراً، يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٩٥﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩٦﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٤١-٤٢)

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ ءِ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِّنْ هٰذَا رَشَدًا ﴿٩٨﴾ (الكهف، ١٨: ٢٣ - ٢٤)

أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخْوَاكَ بِعَايَتِي وَلَا تَنبِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٩٩﴾ (طه، ٢٠: ٤٢)

فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۗ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوقُوتًا ﴿١٠٣﴾ (النساء، ٤: ١٠٣)

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢٨٤﴾
 الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٨٥﴾ (آل عمران، ٣: ١٩٠-١٩١)

وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٨٥﴾ (الإنسان، ٧٦: ٢٥)

وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٢٨٤﴾ (الزلزل، ٧٣: ٨)

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَيْشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ
 عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَلَا تَطَّعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ
 هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨٥﴾ (الكهف، ١٨: ٢٨)

من خلال ذكر الله المستمر^{٢٨٥} - بتواضع وصبر ومثابرة - يصبح من
 الممكن أن يتغلب الإنسان على الهوى وأن يتغلب على شهواته، بالإضافة إلى
 التغلب على الحب الكاذب والرغبات الدنيوية. والله ﷻ يساعد المتقي
 و"تَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا":

...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ تَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢١٦﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
 فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢١٧﴾ (الطلاق، ٦٥: ٢-٣)

٢٨٤ انظر أيضاً إلى: البقرة، ٢: ٢٠٠؛ الأعراف، ٧: ٥٥-٥٦ و ١٨٠ و ٢٠٥؛ الأنفال، ٨،
 ٤٥؛ النور، ٢٤: ٣٧؛ الشعراء، ٢٦: ٢٢٧؛ الجمعة، ٦٢: ٩-١٠؛ الأعلى، ٨٧: ١٤-١٥.
 ٢٨٥ انظر أيضاً: البقرة، ٢: ١١٤؛ النساء، ٤: ١٤٢؛ الأعراف، ٧: ١٧٩ - ١٨٠؛ الكهف،
 ١٨: ٢٨، ١٠٠ - ١٠١؛ طه، ٢٠: ٩٩ - ١٠١، ١٢٤ - ١٢٧؛ الفرقان، ٢٥: ١٨؛ الزمر،
 ٣٩: ٢٢ - ٢٣؛ النجم، ٢٩: ٣٠؛ المجادلة، ٥٨: ١٩؛ الجن، ٧٢: ١٧؛ الماعون، ١٠٧: ٤ -
 ٦.

الحب في القرآن الكريم

فيصبح الحب حب الشيء الحسن أو البر، وهذا الحب يفيد المحب.
وحب الشيء الحسن والبر وعدم حب ما هو شر يؤدي إلى الجنة والفلاح.
يقول الله ﷻ:

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤٢﴾

(النازعات، ٧٩: ٤٠ - ٤١)

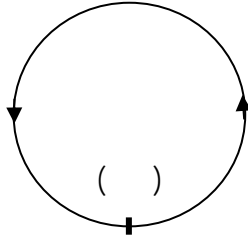
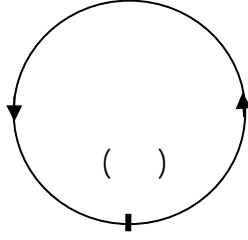


دائرتا الحب

قد رأينا في الفصل السابق ("نمو الحب") أن الحب ينمو من خلال ميل وممارسة جميع مكونات وملكات الإنسان نحو المحبوب. وقد رأينا أيضاً أنه من ناحية عكسية أن مرض القلب والرجس يؤديان إلى زيادة الرجس. فما الذي يحصل بعد هذا النمو من الحب أو هذه الزيادة من الرجس؟ يقول الله ﷻ:

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ
الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ (البقرة، ٢: ٢٥٧)

يُلاحظ أنّ حال الذين آمنوا في أول أمرهم في هذه الآية هو الظلمات (يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ) بالنسبة إلى ما سيكونون عليه (إِلَى النُّورِ)، بينما حال الذين كفروا في أول أمرهم في هذه الآية هو النور (يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ) بالنسبة إلى ما سيكونون عليه (إِلَى الظُّلُمَاتِ)، وهذا بالرغم من أن "اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا"، و أن "الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ"، على الشكل التالي:



ما معنى هذا؟ الجواب في الآية نفسها: الله ﷻ يُخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور، فهذا يعني أنهم سيصبحون في النور بالنسبة للظلمات التي كانوا فيها. فهنا يبدأ صعود المؤمنين مما يُعتبر ظلمات بالنسبة إلى النور الذي سيصعدون إليه، ولكن هذا لا يعني أن ظلمات المؤمنين أشد ظلمة من نور الذين كفروا. وكذلك بالنسبة للذين كفروا: يبدوون فيما يُعتبر نوراً بالنسبة إلى الظلمات التي سيهبطون إليها، ولكن لا يعني هذا أن نور الذين كفروا

ربما نرى نفس هذا الوضع أيضاً في قول الله ﷻ:

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَقَبْنَا فَأْتَهُ تَفَنُّبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَجْنَا كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْأَعْيُنَ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٥٦﴾ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ ﴿٥٧﴾ * قُلْ أُوْنِتِيكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ

٢٨٦ وهنا نضرب مثالا آخر يبين من خلاله أن أول مقامات المؤمن بالنسبة لآخر المقامات التي يصل إليها من الإيمان والمعرفة كنسبة النور إلى الظلمات، وهو: أن سيدنا رسول الله ﷺ خاطبه رب العزة ﷻ بقوله: **وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ** ﴿٧٠﴾ (الضحى: ٩٣). وأنا نعلم أن رسول الله ﷺ لم يكن ضالًّا بمعنى الانحراف والغي وعمل أعمال شيرار الخلق: فقد تواتر عنه ﷺ في كتب السيرة أنه كان معروفاً في الجاهلية بـ"الصادق الأمين" لما فيه من الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة؛ وقد غسّلت الملائكة صدره الشريف وقلبه منذ طفولته كما جاء في كتب التفسير في معنى قوله ﷻ: **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ** ﴿٩٤﴾ (الشرح: ٩٤)؛ وقد جاء في الصحاح أيضاً أنه ﷺ كان يختلي في غار حراء الليالي ذوات العدد يتفكر ويتحنّث، وكان مبتعداً عما كان يفعله أهل الجاهلية من الآثام واللهاو؛ فالله ﷻ شهد على كل ذلك في بداية البعثة بقوله ﷻ: **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٍ** ﴿٦٨﴾ (القلم: ٦٨)؛ ثم بقوله ﷻ في سيدنا رسول الله ﷺ: **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ** ﴿٥٣﴾ (النجم: ٥٣). فهذا معناه أن الرسول ﷺ لم يكن ضالًّا بمعنى الانحراف الذي ذكرناه سابقاً، وإنما معنى الضلال هنا هو أنه كان لم يصل بعد لدرجة النبوة ولا لدرجة خاتم الرسل التي كانت تنتظره فيما بعد. فكان مقامه أولاً بالنسبة إلى ما صار إليه من دوام الارتقاء وعلو المنزلة كنسبة الضلال إلى الهدى والظلمات إلى النور.

لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ (آل عمران: ١٣- ١٦)

ففي هذه الآيات أيضاً: فمتان متمثلتان في دائرتين، دائرة حب الله ﷻ والجنة والأزواج المطهرة والرضوان، ودائرة حب الدنيا المتمثلة بحب الشهوات وتقديمها على طاعة الله ﷻ. وهاتان الدائرتان تمثلان الفتنتين اللتين اقتتلتا حيث إن إحداهما مؤمنة تقاتل في سبيل الله والأخرى كافرة.

ومما تقدم يتبين أن كلاً من الذين آمنوا والذين كفروا في ازدياد دائم لما هم فيه. فالمؤمنون في حالة ترقٍ دائمٍ وصعود في الدرجات العُلى من مقام إلى مقام، والكافرون بعكس ذلك لأنهم في نزول وهبوط دائم في الدرجات السفلى. والمقصود هنا بـ "المؤمنين" هم المؤمنون الصادقون الذين لم يخطوا إيمانهم وطاعاتهم بالمعاصي والكبائر^{٢٨٧}. وكذلك المقصود بـ "الكافرين" هنا الذين لم يعملوا أعمالاً صالحة. أما إذا وجدت فئة خلطت بين الإيمان والنفاق أو بين الإيمان والطاعات وبعض المعاصي فحالمهم مختلف، وهؤلاء هم الذين قال الله ﷻ عنهم:

وَأَخْرُونَ أَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧﴾ (التوبة: ٩، ١٠: ١٠٢)

ووضع هؤلاء غير واضح تماماً، و"عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ". أما بالنسبة للذين آمنوا والذين كفروا حقاً، فوضعهم في زيادة واستمرار فيما هم عليه كما ذكرنا. وبالنسبة للمؤمنين نرى هذا أيضاً في جزائهم على حسناتهم الذي أقله ضعف حسناتهم:

٢٨٧ يقول الله ﷻ:

إِن تَجْتَنِبُوا كُتُبَهَا مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ تُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٤٠﴾ (النساء: ٤٠، ٤١)

وَالَّذِينَ تَجْتَنِبُونَ كُتُبَ الْإِيمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٤٢﴾ (الشورى: ٤٢، ٤٣)

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۗ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا

(النساء، ٤: ٤٠)

وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآيَاتِي تُقَرَّبُكُمْ عَلَيْنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ هُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الَّتَعْرِفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ (سبا، ٣٤: ٣٧)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرُسُلِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٨﴾ (الحديد، ٥٧: ٣٨)

أو قد يكون جزاؤهم عشرة أضعاف حسنتهم:

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلِهَا ۗ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ (الأنعام، ٦: ١٦٠)

أو قد يكون جزاؤهم أضعافاً كثيرة:

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافاً كَثِيرَةً ۗ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ (البقرة، ٢: ٢٤٥)

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ ۗ وَهُوَ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٥٧﴾ (الحديد، ٥٧: ١١)

إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ

(الحديد، ٥٧، ١٨)

إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ (التغابن، ٦٤: ٦٤)

(١٧)

أو قد يكون جزاؤهم سبعمائة ضعف حسنتهم:

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ (البقرة، ٢: ٢٦١)

أو قد يكون جزاؤهم من غير حساب على الإطلاق:

زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ

الْقِيمَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٦﴾ (البقرة، ٢: ٢١٢)

تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۗ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ

الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ ۗ وَتَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ (آل عمران، ٣: ٢٧)

فَتَقْبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأُنْبِتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا ۗ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا

الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۗ قَالَ يَنْمَرِمُنِي ۗ أَنْ لَكَ هَذَا ۗ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ

يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٨﴾ (آل عمران، ٣: ٣٧)

لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

﴿٢٩﴾ (النور، ٢٤: ٣٨)

قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۗ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ

وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٠﴾ (الزمر، ٣٩: ٤٠)

مِّنْ عَمَلٍ سَيِّئَةٍ فَلَا تُجْزَىٰ إِلَّا بِمِثْلِهَا ۗ وَمَنْ عَمَلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِ ۗ وَهُوَ

مُؤْمِنٌ ۗ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤١﴾ (غافر، ٤٠: ٤١)

بطبيعة الحال، حُب المؤمن لله ﷻ وحب الله ﷻ للمؤمن هما أفضل

رزق وجزاء. فنفهم من "أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ" أن الله ﷻ سيعطي المؤمنين

حُباً حقيقياً له وسيعمق إيمانهم به ﷻ. وبالتالي فإن حب المؤمن لله ﷻ

وحب الله للمؤمن يزيد مع زيادة إيمان المؤمن. و"صعود" المؤمن هو زيادة

مستمرة في الحب - بالإضافة إلى زيادة مستمرة في الإيمان - وهكذا يمكن أن

نسميها "الدائرة الأعلى للحب". وفي هذه الدائرة فإن حب الله ﷻ يُجَمَل

نفس المؤمن والذي يملك الآن قدرة أكبر على الحب، وهذا بدوره يؤدي إلى

حب أعظم وهلم جرأً إلى ما لا نهاية في دائرة مغلقة ومستديمة من الحب

("الأعلى"). وهذه دائرة مغلقة تماماً أمام الكافرين، وفي هذه الدائرة الحب

يُكَافَأُ بمزيد من الحب والمزيد من الحب يُكَافَأُ بمزيد آخر وهلم جرأً "بِغَيْرِ

حِسَابٍ . يقول الله ﷻ:

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٥٠﴾ (الرحمن، ٥٥: ٦٠)

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا أَحْسَنَىٰ وَزِيَادَةً ۗ وَلَا يَرَهُنَّ وُجُوهُهُمْ قَتْرٌ وَلَا ذَلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ (يونس، ١٠: ٢٦)

وأما بالنسبة للذين كفروا، فالله ﷻ أطلق عليهم لفظ " دائرة السوء " :

وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ ۗ بِاللَّهِ ظَنِّ السَّوْءِ ۗ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٤٨﴾ (الفتح، ٤٨: ٦١)

فالمهبط المستمر الذي تغذيه عملية المهبوط نفسها هي أيضاً ما نراه في حالة الزاني: فالزنا - ولو كان فيه نوع من أنواع الحب (كما رأينا سابقا في فصل " الحب والزنا ") - يُغذي الحب " الأسفل " الذي بدأ به، وهذا واضح من كلام الله ﷻ:

وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿١٧﴾ (الإسراء، ١٧: ٣٢)

" وَسَاءَ سَبِيلًا " : السبيل يسوء لأن الزنا يزيد شدة حب الزاني في الزنا، وهذا بالتالي يُخرب أي سبيل نحو الله ﷻ وحبه ويُحيط ويغلق على الزاني في " دائرة السوء ". وربما من هنا تأتي خطورة مجرد النظر إلى جمال المرأة خارج الزواج المشروع. يقول الله ﷻ:

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُضْنَ مِمَّنْ أَبْصَرِهِنَّ وَخَفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۗ وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۗ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِيْنَ غَيْرَ أُولِي الْإِرَابَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۗ وَلَا يَضْرِبْنَ

بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعَلِّمَ مَا تُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ۗ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿٢٤﴾ (النور، ٢٤: ٣١)

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ۗ
ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٩)

فهناك دائرتان مغلقتان ومستديمتان للحب واحدة منهما عليا وهي:
دائرة الحب المشروع أو حب الله ﷻ، والأخرى: سُغلى وهي دائرة الحب غير
المشروع.



وبما أن كلا الدائرتين في نمو مستمر، فهل دائرة السوء تؤدي إلى نفس
شديدة دائرة حُب الخير نفسها؟ كلا، لأن المحبوب في دائرة حب الخير هو الله
ﷻ، وحب الله ﷻ يبقى مختلفاً عن حب السوء ولو أشد حب السوء. يقول
الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ
حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)

وبعبارة أخرى، مهما اشتدَّ حبُّ سيء، لا يمكن أن يكون بقوة حبِّ الله
ﷻ. حب الله ﷻ يمكن له أن يصبح غير محدود لأنه "أُلقي" من الله ﷻ.
يقول الله ﷻ:

أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ
لَهُ ۗ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٢٩﴾ (طه، ٢٩: ٢٩)

مسألة: هل الحب لمصلحة الذي يُحِب أم الذي يُحَب؟

رأينا أعلاه أن الحب "الأعلى" يؤدي بطبيعة الحال إلى مزيد من الحب الأعلى، بينما الحب "الأسفل" يؤدي إلى مزيد من الحب الأسفل. فهذا يعني أن الحب يفيد أو يضر الذي يُحِب حسب نيته: فالحب "الأعلى" يزيد إيمان وحب المؤمن - وهذا لمصلحته بالتأكيد؛ بينما الحب "الأسفل" يزيد كفر وشهوة الظالم - وهذا ضد مصلحته بالتأكيد.

وهذا عكس ما يظنه الناس عموماً: فإن كثيراً من الناس يعتقدون أن الحب يفيد المحبوب أكثر مما يفيد أو يضر الذي يحب، كأن الحب هدية تأتي من الذي يحب إلى المحبوب لكي يستفيد منها المحبوب. وواقع الأمر أنه قد لا يعلم أو يشعر المحبوب بحب شخص يحبه حتى ولو استفاد من ذلك الحب. فعلى سبيل المثال إن حَبَّ شخصٌ شجرة هل تعلم هذه الشجرة بحبه ولو أنها استفادت من حمايته وسقايته لها؟ وقد لا يريد المحبوب حب من يحبه (وقد يكون مضرًا له) مثل ما وقع لسيدنا يوسف عليه السلام الذي فضل السجن على حب امرأة العزيز فقال:

قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصَبُ إِلَيْهِنَّ

وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٣٣).

فخلاصة الأمر هي أن الحب دائماً يفيد أو يضر المحب حسب طبيعة هذا الحب، وبالنسبة للمحبوب قد يفيد أو قد يضر وقد لا يفيد ولا يضر ولا يؤثر، والله أعلم.

مثلث الحب

المطلب الأول: لِمَ يحتاج الحب إلى تزيين مسبق

قد ذكرنا سابقاً (في فصل "مراحل الحب") أن التزيين مرحلة من مراحل الحب، وأن حُبَّ الناس لله ﷻ وحب الناس للناس يحتاج إلى تزيين مسبق في نظر أو نفس أو قلب الذي يُحِبُّ. وذكرنا الآيات التالية وأشرنا إلى آيات أخرى:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسْوَمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿٤٤﴾

(آل عمران، ٣: ١٤)

بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ۖ وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ ۖ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿٣٣﴾ (الفتح، ٤٨: ١٢)

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٦﴾ (الحجر، ١٥: ٣٩)

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۗ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ ۖ الْإِيمَانُ وَزَيْنُوهُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ

الرَّشِيدُونَ ﴿٥٠﴾ (الحجرات، ٤٩: ٧)

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ

الْقَيْمَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٣﴾ (البقرة، ٢: ٢١٢) ٢٨٩

السؤال الذي يُسأل هنا هو لِمَ يحتاج الحب إلى تزئِين مسبق؟ يقول الله

ﷻ:

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ

قَالُوا بَلَىٰ ۗ شَهِدْنَا ۗ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٧٢﴾ (الأعراف، ٧:

١٧٢:

فهذه الآية ٢٨٩ تُثَبِّتُنا أنه كان عندنا علم فطري بوجود الله عند خلق

سيدنا آدم ﷺ وقبل حياتنا الدنيا، وبالتالي فهذه الآية تُعني أنه يوجد في نفس

أو في روح الإنسان هذا العلم. ولكن لا يوجد عند الإنسان علم بمدركات

الأشياء الأخرى عند ولادته. يقول الله ﷻ:

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ

وَالْأَفْئِدَةَ ۗ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ (النحل، ١٦: ٧٨)

٢٨٨ وانظر إلى: الأنعام، ٦: ٤٣؛ الأنعام، ٦: ١٣٧؛ الأنفال، ٨: ٤٨؛ النحل، ١٦: ٦٣؛

النمل، ٢٧: ٢٤؛ العنكبوت، ٢٩: ٣٨؛ الأنعام، ٦: ١٠٨؛ النمل، ٢٧: ٤؛ فصلت، ٤١: ٢٥؛

الأنعام، ٦: ١٢٢؛ التوبة، ٩: ٣٧؛ يونس، ١٠: ١٢؛ الرعد، ١٣: ٣٣؛ فاطر، ٣٥: ٨؛ غافر، ٤٠:

٣٧؛ محمد، ٤٧: ١٤؛ يونس، ١٠: ٢٤.

٢٨٩ وقد شرح ابن كثير هذه الآية كالتالي: " يُخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من

أصلابه ، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكيهم، وأنه لا إله إلا هو ". (ابن كثير،

تفسير القرآن العظيم، ص ٧٩٧). وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة: عن ابن عباس رضي

الله عنهما قال رسول الله ﷺ:

«أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فثرهم بين

يديه كالذر ثم كلمهم قبلاً، قال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۗ شَهِدْنَا ۗ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا

عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٧٢﴾...». (رواه أحمد في مسنده، رقم ٢٧٢/١).

لكن هنالك استثناء^{٢٩٠} - والله أعلم - لهذه الآية كعيسى عليه السلام الذي كلّم الناس في المهدي. يقول الله تعالى:

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرٌ نِعْمَى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْنَاكَ بِرُوحِ
الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ط وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ ط وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ط وَتُبْرِئُ
الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ط وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ط وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ
عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩١﴾

٢٩١
(الأنعام: ١١٠)

أما بالنسبة للإنسان بعامة (باستثناء من أكرمهم الله تعالى كسيدنا عيسى عليه السلام) فإنه كان لا يعلم شيئاً عند ولادته، ولكن كما ذكرنا (في فصل "الوقوع في الحب") أن كل إنسان طبعي يمتلك ملكة القدرة على التعلم. وبما أنه لا يعلم شيئاً، لا يعلم أيضاً ما هي مراتب الجمال، وماذا يجب عليه أن يجب. وبالتالي يحتاج الإنسان للترؤن لكي يجب. وبالنسبة للإيمان، فالله تعالى يُزَيِّن الجمال في قلب المؤمن. يقول الله تعالى:

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ تعالى لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ

٢٩٠ لقد ورد في الحديث الشريف المروي في الصحيحين أن هناك استثناء لثلاثة من البشر تكلموا في المهدي وهم: سيدنا عيسى عليه السلام، والطفل الذي تكلم في براءة جريج الراهب، وطفل رضيع في بني إسرائيل. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله تعالى:

«لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة، عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل فقال: اللهم اجعلني مثلها». رواه البخاري، رقم ٣٤٣٦، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم، ومسلم، رقم ٢٥٥٠، في كتاب البر والصلة، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.

٢٩١ انظر إلى: آل عمران، ٣: ٤٦؛ مريم، ١٩: ٢٩.

إِلَيْكُمْ الْإِيمَنَ وَرَزَقْنَاهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ

الرَّاشِدُونَ ﴿٤٩﴾ (الحجرات، ٤٩: ٧)

وأما بالنسبة للحياة الدنيا، فالشيطان يُزَيِّنُ لِأَتْبَاعِهِ جَمَاهَا:

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٠﴾ (الحجر، ١٥: ٣٩)

وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤَهُمْ لِئُدْوَهِمُ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۗ فَذَرْهُمْ ۗ وَمَا يَفْتُرُونَ ﴿٥١﴾

(الأنعام، ٦: ١٣٧)

وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِّنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۗ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْيَانَ نَكَصَ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ (الأفال، ٨: ٤٨)

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَهُمْ عَدَاؤُ اللَّهِ ۗ ﴿٥٣﴾ (التحل، ١٦: ٦٣)

وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٥٤﴾ (النمل، ٢٧: ٢٤)

وَعَادَاً وَثُمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن مَّسْكِنِهِمْ ۗ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٥٥﴾ (العنكبوت، ٢٩: ٣٨)

وَقِيصْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَّتْ مِن قَبْلِهِمْ مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٥٦﴾ (فصلت، ٤١: ٢٥)

ويبدو - والله أعلم - أنه حتى تزئين الأشياء من قبل الشيطان هو في طبيعة الإنسان نفسه، لأن تزئين أعمال الكافرين السيئة أيضاً من الله، أو من ذات الإنسان:

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٥٧﴾ (النمل، ٢٧: ٤)

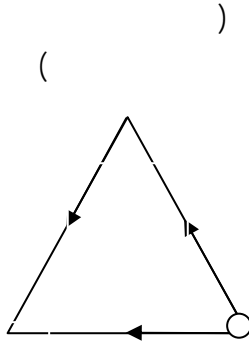
الحب في القرآن الكريم

أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسِرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٥﴾ (فاطر، ٣٥: أ)

أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿٤٧﴾ (ص، ٤٧: ١٤)

فعلى أية حال، ومهما كان مصدر الحب فهو يحتاج إلى تزئین مسبق، كما رأينا مراراً.

وبما أن الإنسان يحب من خلال التزئین، يمكن لنا أن نقول أن الإنسان (في بداية الحب على الأقل)، لا يُحب محبوبه بشكل مباشر بقدر ما يُحب التزئین. فتصبح عملية الحب مثلثاً على الشكل التالي:



فترى في هذا المثلث أن الإنسان في بداية الحب يُحب صورة مزئنة (في عقله أو في نفسه أو في قلبه) عن المحبوب بنفس القدر الذي يُحب "المحبوب" حقيقةً، فبالتالي يُحب محبوبه من خلال صورته الخاصة عن هذا المحبوب بغض النظر عما إذا كانت هذه الصورة تمثل حقيقة المحبوب أم لا: وهذا هو

معنى الأسهم في الصورة أعلاه. وهذا الأمر هو الذي يُفسَّر كيف يمكن للإنسان أن يحب شيئاً من دون أن يعرفه حق المعرفة: فإنه يحب الصورة التي عنده في عقله أكثر أو بنفس القدر الذي يحب المحبوب، وقد لا يعرف المحبوب حقاً ولكن يظن أنه يعرفه لأن لديه حبا لصورته عنده.

على سبيل المثال لو تصورنا أن قيساً هو الإنسان (في أسفل يمين المثلث) وليلى هي محبوبة (في أسفل يسار المثلث) وصورة ليلى في عقل قيس التي في سنام هذا المثلث، فالمثلث يُبين لنا أن قيساً يحب صورة ليلى عنده بنفس القدر الذي يُحب حقيقة ليلى فيه، وهذه الصورة لليلى عنده هي التي تثير الحب عنده، لأنه لا يعرف حقيقة ليلى. وعند اكتشافه لحقيقة ليلى مع الخبرة فيها ربما ينصرف عن حبها لأنها ليست كالصورة المزيّنة في عقله. فكم من حب انتهى عند اكتشاف حقيقة المحبوب!

هذا المثلث صحيح بشكل عام في بداية الحب، فالمحوب مُبعد بدرجة عن الذي يُحبه. في بعض الأحيان - وعلى سبيل المثال في حالة الشهوات - يكون المحبوب مُبعداً بأكثر من درجة. يقول الله ﷻ:

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَيْنِ وَالقَنْطَرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَمِ وَالأَحْرَثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ ﴿١٤﴾ (آل عمران، ١٤)

في هذه الآية نرى أن بين الناس و"النساء والبين والقنطرة المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعم والأحرث" على الأقل درجتين: الأولى: هي التزئ والثانية: هي الحب، والثالثة: هي الشهوة، أو قد يكون التزئ أول درجة ثم حب الشهوة ثاني درجة. أي، بمعنى آخر، أن الناس يُحبون الشهوة نفسها أو حتى يُحبون أن يُحبوا الشهوة من خلال التزئ قبل أن يُحبوا "النساء والبين والقنطرة المقنطرة من الذهب والفضة والخيل

الْمُسُومَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْتِ ^{٤١} . الفائدة من هذا الموضوع هي أولاً: أنه يتبين لنا أن هذا النوع من الحب ليس له أية علاقة بالحقيقة ذاتها، وثانياً: أنه بالإمكان لنا أن نقطع هذا الحب برفض تزيينه، كما ذكرنا سابقاً (في فصل " الوقوع في الحب ") وحسب قول الله ﷻ:

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَعَلَىٰ الْغَنَّةِ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۗ ^{٤٢}

(النازعات، ٧٩، ٤٠-٤١)



مسألة: هل الإنسان مُبعد عن محبوبه حتى يحب الله ﷻ؟ نعلم أن الله

ﷻ قريب:

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي

وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ^{١٨٦} (البقرة، ٢، ١٨٦)

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۗ فَأَيَّمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ^{١١٥} (البقرة، ٢، ١١٥)

ونعلم أنه يوجد في الإنسان شيء يشهد على حقيقة وجود الله ﷻ:

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ

قَالُوا بَلَىٰ ۗ شَهِدْنَا ۗ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ^{١٢٣} (الأعراف، ٧، ١٢٣)

(١٧٢:

ولكن نعلم أن الإنسان لا يدرك الله ﷻ من خلال بصره:

لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ^{١٦٤} (الأنعام، ٦، ١٠٣)

فكيف يُحب الإنسان ما لا يُدركه؟ لقد بين الله ﷻ جواب هذا

السؤال في القرآن الكريم. يقول الله ﷻ:

وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۗ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ

إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ

ففي هذه الآية نرى أنّ الإنسان يجب الله ﷻ أولاً من خلال الإيمان الذي زيّنه الله ﷻ في قلبه. بعد هذا يبدأ الإنسان بمعرفة الله ﷻ وأسمائه وصفاته (التي كان لا يعلم منها إلا لفظها من دون أن يفهم حقائقها) من خلال أفعال الله ﷻ وآياته. يقول الله ﷻ عن قصة يوسف الطيّب في القرآن الكريم:

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلسَّالِئِينَ ﴿٧٦﴾ (يوسف، ١٢: ٧٦)

نَزَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ دُشَاءٍ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ (يوسف، ١٢: ٧٦)

ولكن كيف يحدث هذا بالضبط؟ كيف يعرف البشر الله ﷻ؟

المطلب الثاني: كيف يصل الإنسان إلى معرفة ربه؟

الله ﷻ وضع اثني عشر نوعاً من الأفعال والآيات التي يعرف المؤمن من خلالها الله ﷻ ففي دعاء يوسف الطيّب يقول الله ﷻ:

رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۗ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

أَنْتَ وَلِيُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ تُوَفِّي مُسْلِمًا وَالْحَقْفَىٰ بِالصَّلَاحِينَ ﴿١٠١﴾ (يوسف، ١٢: ١٠١)

فالمؤمن يبدأ بمعرفة الله ﷻ:

أولاً: من خلال الإيمان بالله ﷻ (وهذا مفهوم في الدعاء: "رَب").

وثانياً: من خلال التواضع (ونفهم هذا لأن سيدنا يوسف الطيّب ينادي الله ﷻ "رَب" - فالشيطان يؤمن بالله ﷻ ولكنه يفتقد التواضع).

ثالثاً: من خلال التفكير في نِعَم الله بامتنان ("قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ").

ورابعاً: من خلال الرؤى التي يُنعم الله ﷻ على عباده بها ("وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ").

وخامساً: من خلال الطبيعة وجماها وعظمتها (" **فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ") ٢٩٢ .

آيات الله ﷻ في أنعماله وخلقه

٢٩٢

هنا مسألة مهمة جداً وهي: أن سيدنا موسى عليه السلام لما سأله فرعون " ما رب العالمين؟ "، لم يجب بشيء أو بوصف عن نفس الله ﷻ، ولكنه أشار إلى أفعال الله ﷻ من خلال الخلق والطبيعة. وهذا يعني أن الخلق والطبيعة يحتويان على أقوى دليل لمعرفة الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠٠﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٠١﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعْبِقُونَ ﴿٢٠٢﴾ قَالَ رَبُّكُمْ رَبُّكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٠٣﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٠٤﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٠٥﴾ قَالَ لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٢٠٦﴾ (الشعراء، ٢٦، ٢٣-٢٩)

ومعرفة الخلق والطبيعة يدلان على الله ﷻ ويؤديان إلى الهدى أيضاً ففي آية أخرى أشار سيدنا موسى عليه السلام إلى فرعون على الله ﷻ وعلى الهدى من خلال الطبيعة، يقول الله ﷻ:

قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُنمَوْنِ ﴿٢٠٧﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٢٠٨﴾ (طه، ٢٠، ٤٩-٥٠)

وكذلك أمر سيدنا رسول الله ﷺ أن يشير إلى الله ﷻ ويستدل منطقياً وعقلياً وحتى بالبصيرة على وجوده ﷻ من خلال الخلق والطبيعة في آيات عدة، منها الآيات التالية:

قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ (يونس، ١٠، ١٠١)

قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَخِيذٌ وَلِيَا فَاظِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤٠﴾ (الأنعام، ٦، ١٤١)

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَأَتَّخِذُكُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لأنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُهُ آخِلَقِي عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦٠﴾ (الرعد، ١٣، ١٦١)

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ أَلَسْبَعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٦١﴾ (المؤمنون، ٢٣، ٨٦)

أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ بَاهٍ فَهَجَوْا مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَنْبُو شَجَرَهَا أَوَّلَهُمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿١٦٢﴾ أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ جِلْجَالَهَا أَنْهَارًا

وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ
الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْتُمُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٥﴾ أَمَّنْ
يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ ۚ تَعَلَى اللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٦٦﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ ۚ قُلْ هَاتُوا
بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٧﴾ (النمل، ٦٧: ٦٤-٦٤)

سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ (الزخرف، ٤٣: ٨٢)

(انظر أيضاً: البقرة، ٢: ١٦٤ - ١٦٥؛ آل عمران، ٣: ١٨٩ - ١٩١ والرحمن، ٥٥:

١٣ - ١).

وكذلك سيدنا إبراهيم عليه السلام أشار إلى الله تعالى من خلال الخلق والطبيعة:

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٢﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ
قَالَ أَتُحْسِنُونَ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۖ وَلَا أَحَافَ مَا تُشْرِكُونَ ۖ بئسَ إِذَا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۖ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ
عِلْمًا ۖ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٣﴾ (الانعام، ٧٩: ٨٠-٧٩)

قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ۖ وَأَنَا عَلَىٰ ذِكْرِ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦٤﴾ (الأنبياء، ٢١١: ٥٦)

وكذلك الأنبياء مثل سيدنا نوح عليه السلام وسيدنا هود عليه السلام وسيدنا صالح عليه السلام كلهم
أمرُوا أن يُشيرُوا إلى وجود الله تعالى ومعرفته من خلال الخلق والطبيعة. يقول الله تعالى:

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِي اللَّهِ شَيْءٌ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِمَّنْ دُونِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ
أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ قَالُوا إِنْ أُنشِرُوا لَبئسَ بَشَرًا مِّثْلَنَا ۖ تَرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ
﴿٦٥﴾ (إبراهيم، ١٤: ١٠)

وكذلك أهل الكهف عرفوا على الله تعالى من خلال الطبيعة:

وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ ۖ إِنَّهَا لَقَدْ فَلَتْنَا إِذَا
شَطَطْنَا ﴿٦٦﴾ (الكهف، ١٨: ١٠)

والله تعالى يقول للبشرية بشكل مباشر:

فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ نَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُعْجِزٌ لِّمَنْ يَعْلَمُ الْآيَاتِ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
﴿٦٧﴾ (الروم، ٣٠: ٥٠)

وسادساً : من خلال حب الله ﷻ له (" أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ") .
وسابعاً: من خلال التدبّر - أو على الأقل من خلال التفكّر في -

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿١﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢﴾ ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَاقًا ﴿٣﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٤﴾
وَعَبًّا وَقُضْبًا ﴿٥﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٦﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٧﴾ وَفَكِكَةً وَأَبًا ﴿٨﴾ مَتَّعْنَا لَكُمْ وَلَا تَعْمِكُمْ ﴿٩﴾ (عبس، ٨٠: ٢٤ - ٣٢)

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٢﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٣﴾ وَإِلَى
الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٤﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٥﴾ (الغاشية، ٨٨: ١٧ - ٢١)

والعالم الجلي هو ما يشير إلى ما هو غير جلي ("فـ" مَدَّ الظِّلَّ" هو رمز لما هو غير جلي لأنه موعود في الجنة كما في سورة الواقعة (٥٦: ٣٠): " وَظِلٌّ مُمَدُّودٌ "؛ يقول الله ﷻ:

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿١﴾ ثُمَّ قَبِضْنَاهُ إِلَيْنَا
قَبْضًا يُسِيرًا ﴿٢﴾ (الفرقان، ٢٥: ٤٥ - ٤٦)

وَالطُّورِ ﴿١﴾ (الطور، ٥٢: ١)

وأخيراً لا يفوتنا أن نذكر بأن الله ﷻ عرّف على عظمة الخلق والطبيعة من خلال إقسامه بهم، كقوله ﷻ:

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَدَنَهَا ﴿٥﴾
وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَنَهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ (الشمس، ٩١: ٧-١)

وَالْقَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيْالٍ عُشْرِ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ (الفرج، ٨٩: ٥-١)
وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ (العصر، ١٠٣: ١)

وَالْعَنَدِيَّتِ صَبْحًا ﴿١﴾ (العنكبوت، ١٠٠: ١)

وَالنِّينِ وَالرَّيْثُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ (النين، ٩٥: ١-٢)

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾ (الليل، ٩٢: ١-٢)

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ (الضحى، ٩٣: ١-٢)

فَلَا أُفْسِدُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿١﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٢﴾ (الواقعة، ٥٦: ٧٥-٧٦)

والله ﷻ يقسم بنفسه كرب الخلق والطبيعة:

فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطُقُونَ ﴿١﴾ (الذاريات، ٥١: ٢٣)

صفات وأسماء الله الحسنى في كل لحظة وفي كل ظرف، وآثارها على الإنسان (" أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ").

وثامناً: من خلال التفكير في حقيقة الموت وعجز كل إنسان أمام الموت (" تَوْفِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ ") ٢٩٣.

وتاسعاً: من خلال الإسلام لله والقيام بالأعمال الصالحة (" مُسْلِمًا وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ ").

وعاشراً: من خلال ممارسة الدعاء والصلاة (وهذه الآية نفسها هي صلاة) وخاصة الصلاة في العزلة (وقد رأينا في فصل " حب الإنسان لله ﷺ " كيف أن السجن كان أمراً يحبه سيدنا يوسف عليه السلام بسبب جمال ذكر الله في العزلة).

وحادي عشر: من خلال النظر إلى استجابة الله ﷺ للدعاء (وهذا مفهوم ضمناً في دعاء سيدنا يوسف عليه السلام) والنظر إلى كيف يحدد الله الأقدار. وثاني عشر وأخيراً: - وهذا يفهم ضمناً من قراءة هذه الآية من القرآن الكريم - من خلال كلام الله ﷺ، أي من خلال القرآن الكريم.

باختصار فإن معرفة الله ﷺ تزداد من خلال الإيمان والتواضع والحب والأعمال الصالحة والتدبر والتفكير في كل شيء داخل النفس وفي العالم. وبعبارة أخرى، فإن معرفة الله ﷺ تنمو بالطريقة نفسها التي ينمو فيها حب الله ﷺ، وذلك من خلال التركيز والتعلق التدريجي للقلب والنفس وكل ملكاتهما ومكوناتهما على ما يُراد معرفته - أي الله ﷺ. فبعد النظر إلى أعمال الله ﷺ وآياته من خلال هذه الطرق الإثني عشر، يبدأ المؤمن بالتعرف

٢٩٣ يقول الله ﷺ:

قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ (يونس، ١٠٤)

على أسماء الله ﷻ وصفاته بشكل متزايد وبالتالي يبدأ بحب الله ﷻ بشكل "مباشر" أكثر، أو على الأقل ببعْد أقل، والله أعلم. وبعد أن يعرف المؤمن آيات الله ﷻ من خلال هذه الطرق يكون عند المؤمن شيء من المعرفة بالله ﷻ وبالتالي يبدأ حُبّه لله ﷻ "مباشرة" أو بدرجة أقل من البعد، والله أعلم.



إضافة إلى هذا، إذا كان عند المؤمن درجة كافية من الإحسان، يبدأ الله ﷻ بالإنعام على عبده بعلم منه. فيوسف عليه السلام، عندما "رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ" ^ع (يوسف، ١٢: ٢٤) كان من المحسنين:

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٤﴾ (يوسف، ١٢: ٢٤)

...إِنَّا تَرَنَّكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٥﴾ (يوسف، ١٢: ٣٦)

وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٦﴾ (يوسف، ١٢: ٥٦)

وكذلك أبوه يعقوب عليه السلام الذي كان يعلم من الله ﷻ ما لا يعلمه الناس:

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَبُوا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤُومُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف، ١٢: ٨٦-٨٧)

وكذلك سيدنا نوح عليه السلام الذي قال:

أَتَلْعَبُكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠٦﴾ (الأعراف، ٧: ٦٢)

وكذلك سيدنا محمد ﷺ وحتى في تفاصيل حياته المنزلية. يقول الله ﷻ: وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ

بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ

الْحَبِيرُ ﴿٦٥﴾ (النحر، ٦٦: ٣)

وهذا العلم الذي قد يأتي من الله ﷻ لأنبيائه ورسله ليس محصوراً في الأنبياء، لأنه أعطي إلى الخضر:

فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّنْ لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ (الكهف، ١٨١)

(٦٥:

ونقل ابن كثير في تفسيره أن كثيراً من العلماء^{٢٩٤} لم يعتبروا الخضر نبياً: "وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبياً، بل كان ولياً. فالله أعلم"^{٢٩٥}.

ويشير الله ﷻ إلى هؤلاء المؤمنين الذين ليسوا أنبياء ولكنهم "عارفين" بالله ﷻ:

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ

الرَّحْمَنُ فَسَأَلَ بِهِ عِبَرًا ﴿٦٦﴾ (الفرقان، ٢٥: ٥٩)

ولعل هناك إشارة إلى "معرفة خاصة" من الله ﷻ في "شاهد منته"، يقول الله ﷻ:

أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً

أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۚ مِنَ الْأَحْزَابِ ۚ قَالَنَارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ

إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَنْ تَكُنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٧﴾ (هود، ١١: ١٧)

ونفهم أنه حين يملك المرء "معرفة خاصة" من الله ﷻ وحين يكون

٢٩٤ وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه (فتح الباري): أن هناك من خالف ابن كثير في قوله بأن كثيراً من العلماء لم يعتبروا الخضر نبياً، منهم القرطبي، وابن عطية. (ابن حجر، فتح الباري، المجلد: ٦، ص: ٤٣٤).

٢٩٥ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص: ١١٦٩.

من " العارفين " ويكون لديه " **شَاهِدٌ مِّنْهُ** "، فإن ذلك يعني أنه لديه معرفة روحية - معرفة تأتي من خلال الروح. ولا نعرف الكثير عن الروح (نسبياً)^{٢٩٦}، ولكننا نعرف أن الله ﷻ قد يلقي المعرفة على من يشاء ويعطيها منه ﷻ. يقول الله ﷻ:

يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢٠٦﴾ (النحل، ١٦: ٢٠٦)

رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿٥٠﴾ (غافر، ٤٠: ٥٠)

يَبْنِي أَدْهَبُوا فَتَحَسَبُوهَا مِنْ يُونُسَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْكُفْرُونَ ﴿٤٧﴾ (يوسف، ١٢: ٤٧)

في الخلاصة، فإن الحب والإحسان يزيدان العلم كما أن العلم والإحسان يزيدان الحب - وهذا ما رأيناه تماماً في فصل " نحو الحب " - وبعد أن يزيدان معرفة الله ﷻ والإحسان يُصبح الحب مباشرة وليس من خلال مثلث التزيين من الحب، والله أعلم. ولهذا عبّر يوسف^{٢٩٧} ﷺ عن حبه لله

٢٩٦ يقول الله ﷻ:

وَسْتَلْوَنَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧﴾ (الإسراء، ١٧: ٨٥)

٢٩٧ وفهم الكثير حين نلاحظ أن سورة يوسف ﷻ هي السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي تروي قصة كاملة من بدايتها إلى نهايتها في سورة واحدة؛ وهي قصة لا يُشار إليها في سورة أخرى في القرآن الكريم، ولا تحتوي على عناصر من قصص الأنبياء الآخرين إلا موضوع السورة (قصة سيدنا يوسف ﷻ). ونحن لم نبدأ حتى بمناقشة - كما تفعل بعض تفاسير القرآن الغامضة - الرمزية لعالم السورة المصغر على أنها قصة العقل (سيدنا يوسف ﷻ)؛ وابن الروح والقلب (يعقوب وزوجته)؛ وحسه في البئر مع حواسه الجسدية (أخوته العشر)؛ وإغوائه من قِبَل النفس الأمارة بالسوء (زوجة العزيز)؛ وسُجُن من الدنيا ثم حرره

غازي بن محمد بن طلال

حَلَّالٌ فِي قَوْلِهِ: " أَنْتَ وَلِيٌّ - فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ " (يوسف، ١٢: ١٠١)؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.



الملك - بعبارة أخرى فهي قصة الحالة الإنسانية نفسها في الدنيا وبالتالي فهي بتعريفها أجمل وأصدق قصة ممكنة.

٢٧. الباب الرابع؛ الفصل السابع:

مراتب الجمال والحب

قد ذكرنا سابقاً (في فصل " دائرتي الحب ") أنه يوجد دائرتان من الحب: دائرة عُليا ودائرة سفلى؛ دائرة حب الخير ودائرة حب السوء. ولكن ذكرنا أن الله ﷻ جعل الجمال في كل شيء خلقه. يقول الله ﷻ:

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٣٢﴾ (السجدة، ٣٢: ٧)

فإذا كان الجمال في كل شيء، وإذا كان الحب هو حياً مهماً كان المحبوب، فلماذا يُفضل نوع من أنواع الحب على نوع آخر، ولم يُفضل نوع من أنواع الجمال على نوع آخر؟ فيما يلي نوضح الأجوبة لهذين السؤالين إن شاء الله ﷻ.

المطلب الأول: مواطن ومراتب الجمال

جعل الله ﷻ الحسن في كل شيء، كما ذكرنا:

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٣٢﴾ (السجدة، ٣٢: ٧)

والله ﷻ هو أحسن - وبالتالي أجمل - الخالقين:

ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا

الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٣٢﴾ (المؤمنون، ٢٣: ١٤)

وأسماء الله ﷻ وصفاته هي "الأسماء الحسنى"، أي الصفات والأسماء الجميلة. يقول الله ﷻ:

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۗ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ

وَلَا تُخَافَتْ بِهَا وَآتَتْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٧٠﴾ (الإسراء، ١٧٠: ١١٠)

وَاللَّهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ (الأعراف، ١٨٠: ٧)

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٢٠﴾ (طه، ٢٠: ٨)

وذكر الله ﷻ جمال كتابه العزيز، القرآن الكريم:

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۗ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِم مِّن ذِكْرِ

اللَّهِ ۗ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ

مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ هُدَىٰ

اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٢﴾ (الزمر، ٢٢ - ٢٣)

وذكر الله ﷻ جمال أجمال قصة، وهي قصة موجودة في القرآن الكريم،

قصة سيدنا يوسف عليه السلام والتي اقتبسنا منها الكثير في نقاشنا عن الحب. يقول

الله ﷻ:

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِن

قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٣)

وذكر الله ﷻ جمال الصلاة في العزلة (كما ناقشنا في فصل "حب

الإنسان لله ﷻ"):

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾ (الشرح، ٧: ٧ - ٨)

وَأذْكَرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٩﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ

وَكَيْلًا ﴿١٠﴾ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١١﴾ (الزمل، ٧٣: ٨ - ١٠)

وذكر الله ﷻ جمال رسوله ﷺ:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كثيراً ﴿٢١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢١)

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ (المائدة، ٥: ١٥)

وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٤٦)

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (التوبة، ٩: ١٢٨)

وَذَكَرَ اللَّهُ ﷻ جَمَالَ الْآخِرَةِ:

وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفْلا

تَعْقِلُونَ ﴿٦﴾ (القصص، ٢٨: ٦٠)

وذكر الله ﷻ جمال الفضائل، كالصبر:

وَجَاءُوا عَلَيَّ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ

الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ ﴿١٢٨﴾ (يوسف، ١٢: ١٨)

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ

هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ (يوسف، ١٢: ٨٣)

فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٧٠﴾ (المارج، ٧٠: ٥)

وأيضاً كالكرم:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا

لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٤٩)

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكُ إِن كُنْتُنَّ تَرْضَيْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَتَعَالَى أَمْتَعَكُنَّ

وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢٨)

وذكر الله ﷻ فضائل المؤمنين، وبالتالي جمالهم، في آيات كثيرة، ومنها:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ
 فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطْفَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ
 سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢١﴾ (الفتح، ٤٨: ٢٩)

وكذلك قول الله ﷻ:

وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۚ وَلَأُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا
 تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ
 يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
 يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ (البقرة، ٢: ٢٢١)

وذكر الله ﷻ جمال صورة الإنسان وجمال تقويمه:

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۗ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٦٤﴾ (التغابن، ٦٤: ٣)
 اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ
 وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ ۗ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ (غافر، ٤٠: ٦٤)

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿١﴾ (التين، ٩٥: ٤)

وذكر الله ﷻ جمال النساء بالتحديد:

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۗ وَرِزْقُ
 رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٢٠﴾ (طه، ٢٠: ١٣١)

لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْهُنَّ إِذَا مَا
 مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٢)

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا

ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُدْرِبْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ
 ءَابَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي
 إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِيْنَ غَيْرِ أُولَى
 الْإِرْتَبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۗ وَلَا يَضْرِبْنَ
 بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ ۖ مِنَ زِينَتِهِنَّ ۗ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
 تُفْلِحُونَ ﴿٢٤﴾ (النور، ٢٤: ٣١)

وذكر الله ﷻ الجمال الجسدي الإيجابي، وفضل التزيّن أثناء الأفعال
 الروحية (كالصلاة)، والأعمال الطبيعية (كالأكل):

• يَبْنِي ۖ آدَمَ خُدُودًا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْمُسْرِفِينَ ﴿٧٠﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ الرِّزْقِ ۗ قُلْ هِيَ
 لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
 يَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ (الأعراف، ٧: ٣١-٣٢)

والله ﷻ ذكر ضمناً جمال الكلام والشعر:

وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٤٥﴾ وَأَنَّهُمْ
 يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٤٦﴾ (الشعراء، ٢٤٤: ٢٤٦-٢٤٦)

وذكر الله ﷻ جمال البهائم:

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْمَعُونَ وَحِينَ يُسْرَحُونَ ﴿٦٠﴾ (النحل، ٦٠: ٦٦)

وذكر الله ﷻ لذة الطعام والشراب وبالتالي عن جمالهما:

قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا
 أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٨﴾ (الکهف، ١٨: ١٩)
 وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۗ وَمِن كُلِّ

تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِرَ لَتَبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ (فاطر، ٣٥: ١٢)

وذكر الله ﷻ جمال الحياة الدنيا بشكل عام:

وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۚ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ (القصص، ٢٨: ٦٠)

وذكر الله ﷻ زينة الغنى المادي:

وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا
لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى
يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٠٠﴾ (يونس، ١٠: ٨٨)

وذكر الله ﷻ تزئین الأعمال السيئة:

وَقِيضْنَا لَهُمْ قَرْنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ
خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٤١﴾ (فصلت، ٤١: ٢٥)

وذكر الله ﷻ تزئین أقبح الأعمال مثل قتل الأولاد والشرك:

وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ
لِيُرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتُرُونَ ﴿٦٧﴾
(الأنعام، ٦٧: ١٣٧)

في الخلاصة، هناك أنواع مختلفة من الجمال لكل شيء خلقه الله ﷻ. فكيف يعرف الإنسان مراتب هذه الدرجات من الجمال؟ وكيف يُفضل الإنسان نوعاً من أنواع الجمال على نوع آخر إذا لم يكن بينها مراتب من الجمال؟ الجواب هو أن الله ﷻ مَدَحَ وَدَمَ أنواعاً من الحب، ورتبها وفضل بعضها على بعض. وتُعرف رتبة جمال الشيء من مرتبة الحب الذي يحبه. وهذا واضح فيما يلي.

المطلب الثاني: مراتب الحب

وعد الله ﷻ حبه وفضله لقوم يُحبونه:

يَتَأْتِي الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة: ٥٤)

وجعل الله ﷻ هذا الحب أشد وأقوى من أي حب آخر:

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعَذَابِ ﴿٦٥﴾ (البقرة: ١٦٥)

وبيّن الله ﷻ فضل حبه ﷻ وحب ذكره على أي حب آخر:

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ ءَأْوَابٌ ﴿٣٨﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّغِيغَتِ الْجِيَادُ ﴿٣٩﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٤٠﴾ (ص: ٣٨، ٣٩-٤٠)

وبالطبع فإن حب ذكر الله ﷻ يعني حب القرآن الكريم

"... ذِي الذِّكْرِ" (ص: ٣٨، ٤١) يقول الله ﷻ:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٨﴾ (الأنفال: ٨)

وبعد حبه، وحب ذكره، جعل الله ﷻ حب الرسول ﷺ أولى من حب

الناس لأنفسهم:

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ

أُولَىٰ بَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَٰكُمْ مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦٠﴾ (الأحزاب: ٣٣، ٦٠)

وبعد حب الرسول ﷺ جعل الجنة أولى بحب الناس:

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦١﴾ (التوبة: ٩، ١١١)

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَسِيٍّ ۖ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَلَّزِينَ هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتُلُوا وَقَتُلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿٦٢﴾ (آل عمران: ٣، ١٩٥)

وبيّن الله ﷻ فضل حب الإيمان:

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِيمٌ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٦٣﴾ (الحجرات: ٤٩، ٧)

ومدح الله ﷻ حب المؤمنين أيضاً:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٤﴾ (الحشر: ٥٩، ٩٠)

ومدح الله ﷻ حب كل شيء طيب بشكل عام:

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ (المائدة، ١٠٠)

وكما ذكرنا أعلاه، ذكر الله ﷻ دون مدح بعض أنواع حب الخير:

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٥١﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشيِّ الصَّفِيحَتُ

الْحِجَابُ ﴿٥٢﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٥٣﴾ (ص، ٣٨)

(٣٠-٣٢):

وذكر الله ﷻ حب الشهوات ولكن بين فضل حسن الآخرة عليها:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ

وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ

عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ (آل عمران، ٣: ١٤)

وذم الله ﷻ حب الدنيا:

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢١﴾ وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢٢﴾ (القيامة، ٧٥: ٢٠-٢١)

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا

مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ (الإسراء، ١٧: ١٨)

وكذلك ذم الله ﷻ حب المال:

وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٨٩﴾ (الفجر، ٨٩: ٢٠)

ثم حذر الله ﷻ من الزنا والحب غير المشروع:

وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿١٧﴾ (الإسراء، ١٧: ٣٢)

وأخيراً، ذم الله ﷻ الشرك وحب الأنداد من دون الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ

حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعَذَابِ ﴿١٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)



فمن هذا كله - وهناك آيات أخرى لم نذكرها - تبيّن لنا مراتب الحب والتسلسل الهرمي في فضل أنواع الحب، بداية من الله ﷻ وأسمائه، والذِكر والقرآن الكريم، ثم رسوله، ثم الجنة، ثم الإيمان، ثم المؤمنين، ثم حب الخير؛ والدركات السفلى من الحب (من الأعلى إلى الأدنى) هي: حب الدنيا، ثم حب الشهوات، ثم الزنا، ثم أخيراً حب الأنداد من دون الله ﷻ. وبمعنى آخر أفضل حب هو حب الله ﷻ وبالتالي أسماؤه الحسنی وكذلك ذكره ﷻ والقرآن الكريم، ثم حب الرسول ﷺ، ثم حب الجنة، ثم حب الجمال الداخلي الخاص (الإيمان)، ثم حب الجمال الداخلي العام (المؤمنين)، ثم حب الجمال الخارجي الخاص (جمال النساء)، ثم حب الجمال الخارجي العام (حب الخير). وأسفل دركات الحب (من الأعلى إلى الأدنى) هي: حب الشهوات، ثم حب الشرّ، ثم حب الشيطان.

فهذا يعني بدوره أن أجمل الجمال هو جمال الله ﷻ وأسمائه وذكره، ثم جمال الرسول ﷺ، ثم جمال الجنة، ثم الجمال الداخلي الخاص (الإيمان)، ثم الجمال الداخلي العام (المؤمنين والخير)، ثم الجمال الخارجي الخاص (جمال الجنس الآخر)، ثم الأشياء الجميلة في الطبيعة، ثم الجمال الخارجي العام (حب الخير الدنيوي). وأسفل دركات الجمال (من الأعلى إلى الأدنى) هي: زينة الشهوات، ثم زينة الشرّ، ثم زينة الشيطان. وبعبارة أخرى، فإن أعلى درجات الجمال هو الجمال الإلهي؛ ثم الجمال المقدّس (ابتداءً بجمال رسول الله ﷺ)؛ ثم الجمال الداخلي؛ ثم الجمال الخارجي؛ ثم زينة الشهوات الداخلية؛ ثم زينة الشهوات الخارجية. فمن خلال ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم لهذه الأنواع من الحب والجمال، فقد تبيّنت مراتبهم وتسلسلهم الهرمي. فليس كل حب هو محمود وليس كل جميل يستحق الحب، كما رأينا. وقد أشار رسول الله ﷺ إلى نفس هذا الترتيب الهرمي للحب في

الحب في القرآن الكريم

وصفه لأسباب النكاح، في حديثه الشريف التالي:

«تُنكحُ المرأةُ لأربعٍ، لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربتُ
يداك»^{٢٩٨}.

"المال" هو الجمال الخارجي العام، و"جمال" المرأة هو الجمال
الخارجي الخاص، و"الحسب" هو الجمال الداخلي العام، و"الدين" هو
الجمال الداخلي الخاص. فكأن الرسول ﷺ يقول "أن الحب هو المِيل
للجمال ولكن للحب مراتب، وحب الله ﷻ خيرٌ من حب الناس، وحب
الناس خيرٌ من حب الجمال الجسدي، وحب الجمال الجسدي خيرٌ من حب
المال"، والله أعلم.



٢٩٨ رواه البخاري رقم ٥٠٩٠، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، ومسلم رقم ١٤٦٦،
كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين.

نقيضا للجمال والحب

المطلب الأول: نقيض الجمال (البشاعة والقبح)

رأينا فيما سبق أن مراتب الجمال تمتد من تزيين حب الأنداد من دون الله ﷻ إلى حب الله ﷻ، فكيف يكون للجمال نقيض؟ وإن لم يكن للجمال نقيض فما هي "البشاعة" أو "القبح"؟ وبما أن الله ﷻ أحسن كل شيء خلقه، فأين القبح؟ وكما ذكرنا سابقاً، يقول الله ﷻ:

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ (السجدة، ٣٢: ٧)

ويلاحظ بالفعل أن كلمة "البشاعة" ليست موجودة في القرآن الكريم مطلقاً، الأمر الذي يدل على أن كل شيء مخلوق فيه شيء من الجمال ولو أن فيه نقصاً بالنسبة لشيء أجهل، حسب مرتبة جماله كما رأينا. وحتى كلمة "القبح" ^{٢٩٩} لم تطلق في القرآن الكريم على أي شيء خلقه الله ﷻ، ولكن

٢٩٩ يعرف الراغب القبح كالتالي:

" ما ينبو عنه البصر من الأعيان وما تنبو عنه النفس من الأعمال والأحوال وقد قُبِحَ قَبَاحَةً فهو قبيح، وقوله: ... **مِنَ الْمَقْبُوحِينَ** ﴿٥٥﴾ أي من الموسومين بحالة مُنكرة، وذلك إشارة إلى ما وصف الله تعالى به الكفار من الرِّجَاسَةِ والنَّجَاسَةِ إلى غير ذلك من الصفات، وما وصفهم به يوم القيامة من سواد الوجوه وُرُوقَةِ الْعُيُونِ وسحبهم بالأغلال والسلاسل ونحو ذلك، يقال قَبِحَهُ اللهُ عن الخير أي نَحَاهُ، ويقال لعظم الساعد، مما يلي النصف منه إلى المرفق قبيحٌ". (الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٣٩١).

ويعرف الرازي القبح كالتالي:

"الجمال هو الحسن والقبح ضد الحسن يكون في الصورة وفي الفعل". (الرازي، مختار الصحاح، ص ٥٨).

ذُكرت مرة واحدة، إيماءً إلى فرعون وجنوده يوم القيامة:

وَاتَّبَعْنَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٥٢﴾ (القصص، ٢٨: ٤٢)

فُقبِح فرعون وجنوده ليس من أعمال الله ﷻ ولكن من أعمالهم، والله ﷻ لم يذكر في القرآن الكريم أنه يوجد شيء قبيح في الكون الذي خلقه. وبالتالي يمكن لنا أن نستنتج أن القُبْح نقص نسبي من الجمال، وتفضيل جمال أدنى على جمال أعلى، وليس شيئاً بذاته، والله أعلم.

المطلب الثاني: نقيض الحب (الكره والبُغض)

قد ذكرنا سابقاً (في فصل "حب الله للناس") أن الله ﷻ لا يكره أحداً ولكن يكره أعمالاً معينة. لكن ذكر الله ﷻ أن المؤمنين يكرهون الأشياء السيئة. يقول الله ﷻ:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَنُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٢﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٢)

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ وَرَزَقْنَاهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ

ويعرّف ابن منظور القبح كالتالي:

"القبحُ ضد الحسن يكون في الصورة والفعل ... قال الأزهري: هو نقيض الحسن عامٌّ في كل شيء". (ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٥٥٢).

فخلاصة الأمر: أن القبح هو الذي يجعل المرء ينفّر لأن القبح ضد الحسن والجمال بالصورة وبالفعل.

الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾ (الحجرات، ٤٩: ٧)

وعلى العكس من ذلك، فالكافرون والظالمون يكرهون الحق والأشياء
الخيرية:

لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ (الأنفال، ٨: ٨)

وكذلك يكرهون نور الله ﷻ:

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ ﴿٩﴾ (التوبة، ٩: ٣٢)

ويكرهون أيضاً دين الحق:

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْمُشْرِكُونَ ﴿١٠﴾ (التوبة، ٩: ٣٣)

ويكرهون الجهاد:

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿١١﴾

(التوبة، ٩: ٨١)

ويكرهون القرآن الكريم:

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿١٢﴾ (محمد، ٩: ٤٧)

ويكرهون حتى رضوان الله ﷻ:

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿١٣﴾ (محمد، ٤٧: ٢٨)

(٢٨:

يكرهون رضوان الله ﷻ مع أن رضوان الله ﷻ أكبر من أي خيرٍ آخر

يمكن للإنسان أن يسعى إليه. يقول الله ﷻ:

وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

أما بالنسبة للرسول والأنبياء والذين تَغَلَّبُوا على شُحِّ أنفسهم، فيُحِبُّونَ الخَيرَ ويكرهون الشر ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، فيُطِيعُونَ اللهَ ﷻ تماماً:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ (الحشر، ٥٩: ٩٠)

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٤﴾ (التغابن، ٦٤: ١٦٠)

ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ؕ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ؕ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ (البقرة، ٢: ٢٨٥)

والخلاصة أن الكره فيما يبدو يعتمد على حالة الكاره الخاصة: فالمؤمنون يكرهون الشرّ، والكافرون يكرهون الخير، ولكن يمكن للمؤمنين الذين لم يتمموا تَغَلُّبَهُمْ على نفوسهم أن يحبوا شيئاً شراً لهم أو يكرهوا شيئاً خيراً لهم. فهذا يعني أن الكره بحد ذاته ليس شيئاً كَرِهياً، ولكن يُصَبِّحُ كَرِهياً عند الذين هم كَرِهون أصلاً. فالكره بالتالي يصدر من المحبة: فالمؤمنون يكرهون الشر من محبتهم لله ﷻ، والكافرون يكرهون الخير من محبتهم للشر ومن محبتهم لِشُحِّ نفوسهم. وهذا يعني أنه إذا كان الكره نقيض الحب عاطفياً، فإنه أيضاً، كالتقيح، ليس شيئاً بحد ذاته، ولكنه عكس الحب ولذا فهو مكروه، والله أعلم.

انتهاء الحب

المطلب الأول: حب الله ﷻ للناس

هل ينتهي الحب؟ وعند من؟ ومتى؟ وكيف؟ ولم؟

(١) أما بالنسبة لحب الله ﷻ لخلقه الذين يستحقون حبه (كرسله وأنبيائه والمحسنين كما رأينا سابقاً في فصل "حب الله ﷻ للناس" وفي فصل "حب الله ﷻ لرسله وأنبيائه")، فهذا الحب لا ينتهي لأنه من صفات الله ﷻ (كما رأينا في فصل "الله ﷻ والحب")، وصفات الله ﷻ أبدية لا تتغير ولا تتبدل. يقول الله ﷻ:

.... وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۗ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّئِكَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٤﴾ (الأنعام، ٦٤: ٣٤)

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۗ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ (الأنعام، ٦٥: ١١٥)

لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۗ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٦﴾ (يونس، ١٠: ٦٤)

وَأَتَىٰ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ۗ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٦٧﴾ (الكهف، ١٨: ٢٧)

سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ۗ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٨﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٦٢)

.... فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۗ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٦٩﴾ (فاطر، ٣٥: ٤٣)

سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ۗ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٧٠﴾ (الفتح، ٤٨: ٢٣)

مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٨﴾ (ق، ٥٠: ٢٩)

سُنَّةٌ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ (الإسراء، ١٧: ٧٧)

فإن حب الله ﷻ للناس لا يتغير ولا ينتهي أبداً. التغيير يحدث حين يتغير هؤلاء الذين يحبهم الله ﷻ لدرجة أنهم يصبحون أشراراً ويرفضون حب الله ﷻ. وحتى حينئذن فليس حب الله ﷻ الذي يتغير، بل هؤلاء هم الذين أداروا ظهورهم لحب الله ﷻ؛ يقول الله ﷻ:

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعَمًا أَنْتُمْ عَلَيْهَا قَوْمٌ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ

اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ (الأنفال، ٨: ٥٣)

... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴿١١﴾ (الرعد، ١٣: ١١)

المطلب الثاني: حب الناس لله ﷻ

(ب) وأما بالنسبة لحب البشر لله ﷻ، فإننا عرفنا الحب (في فصل "تعريف الحب") أنه: "مبيلٌ من بعد الإعجاب إلى الحُسن". وبما أن "حُسن الله ﷻ" أو "جماله" لا يتغير ولا يتبدل، فهذا يعني أن الطريقة الوحيدة التي يمكن فيها أن يتغير حب الإنسان لله ﷻ هي إذا تغير الإنسان نفسه، وبالتالي تغير إعجابه وميله إلى محبوه الذي هو الله ﷻ. وقد رأينا سابقاً أيضاً (في فصل "طبيعة الحب") أن الحب في حالة تغير مستمر، وأن الإنسان نفسه في حالة تغير مستمر؛ وبين الله ﷻ في القرآن الكريم أنه حتى الإيمان قد يتغير ويزيد ويقل إلى آخر لحظة في حياة الإنسان:

لِيَزِدَّادُوا إِيْمَانًا مَّعَ إِيْمَانِهِمْ ﴿٤٨﴾ (الفتح، ٤٨: ٤)

وَزِدَّتْهُمْ هُدًى ﴿١٨﴾ (الكهف، ١٨: ١٣)

الحب في القرآن الكريم

وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ^{١٩} (مريم، ٧٦)

وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ^{١٧} (محمد، ٤٧: ١٧)

وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا ^{٧٤} (المدثر، ٣١: ٧٤)

أَيْكُمْ زَادَتْهُ هُنْدِيَةً إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا (التوبة، ٩: ١٢٤)

فَأَحْشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيمَانًا (آل عمران، ٣: ١٧٣)

وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ^{٣٣} (الأحزاب، ٣٣: ٢٢)

وَإِذَا تَلَّيْتِ عَلَيْهِمْ ءَايَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا (الأنفال، ٨: ٢٠)

وَلَكِنْ لَيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ^{٢٦٠} (البقرة، ٢: ٢٦٠)

فإذا تغير الإنسان وخف إيمانه، فسينقص أيضاً حبه لله ﷻ، كما إذا زاد إيمان الإنسان بالله فإنه سيزيد أيضاً حبه لله ﷻ (وقد ذكرنا هذين الاحتمالين في فصل "دائرتي الحب" وفي فصل "نحو الحب"). فالخلاصة هنا هي أن حب الإنسان لله ﷻ قد يتغير ليس لأن محبوبه يتغير (والله ﷻ لا يتغير أبداً) ولكن لأن الإنسان هو نفسه قد يتغير وقد يتغير قلبه ونفسه. وفي طبيعة الحال ينطبق هذا أيضاً على حب الإنسان "في الله ﷻ" كحب المؤمنين لرسول الله ﷺ وللقرآن الكريم وذكر الله ﷻ والشعائر الدينية الأخرى.

وقد ينتهي حب الإنسان لله ﷻ إذا أصبح هذا الإنسان كافراً كلياً، إلا أنه كما ذكرنا سابقاً (في فصل "الكون والحب") كل أعضائه وكل ذرة فيه ستبقى تحب الله ﷻ (ما دامت موجودة) بحب طبيعي فطري رغماً عن نفسه الكافرة التي أصبحت محجوبة عن حب الله ﷻ. وذكرنا سابقاً أننا لا نعلم شيئاً يمكن له أن لا يحب الله ﷻ إلا نفس الإنسان الكافر، فنضيف هنا أن الشيء الوحيد الذي يمكن أن ينتهي فيه الحب لله ﷻ هو أيضاً نفس الإنسان الكافر.



مسألة: بناءً على ماذا يتغير حال الإنسان وإيمانه وحبه؟

يتغير إيمان الإنسان بناءً على تغيير نيته وعمله: فإن كانت نيته وعمله صالحاً فإن إيمانه سيزيد، وإن كانت نيته وعمله سيئاً فإيمانه سينقص.
يقول الله ﷻ:

كَلَّا بَلَّ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾ (المطففين، ٨٣: ١٤)

وكذلك جاء عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول:"

«تُعْرَضُ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ حَتَّى تُصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَيْبَضٍ مِثْلَ الصَّفَا فَلَا تُضْرَهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْحِيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ»^{٣٠٠}.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِبَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَعْفَرَ وَتَابَ سَقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تُعْلُوَ قَلْبُهُ وَهُوَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ **كَلَّا بَلَّ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾** (المطففين، ٨٣: ١٤)»^{٣٠١}.

ويلاحظ أنه حتى بعض أولياء الله رضي الله عنهم غير الكاملين قد ينسلخ من الإيمان والتقوى (كالمذكور في الآيات التالية وهو بلعام ابن باعوراء)^{٣٠٢}:

^{٣٠٠} رواه مسلم في الصحيح، رقم ١٤٤، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً.
^{٣٠١} رواه الترمذي، رقم ٣٣٣٤، كتاب التفسير، باب سورة المطففين، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَادْبَحَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
الْغَاوِينَ ﴿١٧٦﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ
كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٧﴾ (الأعراف، ١٧٥-١٧٦)

فليحذر المؤمن من أن يرتكب إثماً ويتراجع في إيمانه وبالتالي في حبه
لله ﷻ لأن الشيطان ينتظر أن يزل الإنسان. قال الله ﷻ:

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنْ الشَّيْطَانُ كَانَ
لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ (الإسراء، ١٧، ٥٣)

قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْت عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَ
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٤﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَارِثٌ جَهَنَّمَ جِزَاءُ مَا كَرَّمْتَ بِنُورًا
﴿٦٥﴾ وَأَسْتَفْرِزْ مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُم بِصُوتِكَ وَأَحْلَبَ عَلَيْهِمْ يُخَيِّلِكَ وَرَجَلَكَ وَسَارِكُهُمْ فِي
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٦﴾ (الإسراء، ١٧، ٦٤-٦٦)

قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ (الأعراف، ٧، ١٦)
قَالَ رَبِّ بِمَا أُغْوِيَنِي لِأُرِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ (الحجر، ١٥، ٣٩)
قَالَ فَيَعِزُّنَكَ لِأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ (ص، ٣٨، ٨٢)

وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ وَلَا مِئِينَهُمْ وَلَا مُرْنَهُمْ فَلْيَبْتِكُنْ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مِرْيَتَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ
خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾
(النساء، ٤، ١١٩)

وهذه الزلة قد تتم باستدراج خفي لا يعلم الإنسان مصدرها، فلا
يحميه منها إلا أتباع شريعة الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ. يقول الله ﷻ:

وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِقَايِمَتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ (الأعراف، ٧: ١٨٢)

فَدَرَزْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ (القم، ٦٨: ٤٤)



المطلب الثالث: حب الناس لغير الله ﷻ

(ج) أما بالنسبة لحب الإنسان لغير الله ﷻ، فهو (كما رأينا سابقاً) أنواع كالتالي: (١) حب الإنسان للأشياء؛ (٢) حب الإنسان للشهوات؛ (٣) حب الإنسان لأصدقائه؛ (٤) حب الإنسان لزوجته؛ (٥) حب الإنسان لعائلته وأقاربه؛ (٦) حب الإنسان للمؤمنين؛ (٧) حب أهل الكتاب؛ (٨) وحب الإنسان للناس جميعاً.

بالنسبة للأنواع الأربعة الأخيرة المذكورة أعلاه (حب الإنسان لعائلته وأقاربه؛ حب الإنسان للمؤمنين؛ حب أهل الكتاب؛ وحب الإنسان للناس جميعاً)، فهذه الأنواع من الحب تتأثر حسب حب الإنسان لله ﷻ، لأن الله ﷻ أوصى بهم كما رأينا (في فصل "حب الآخرين: الناس جميعاً، وأهل الكتاب، والمؤمنين، والأصدقاء"). فكلما زاد حب الإنسان لله ﷻ زادت أيضاً هذه الأنواع الأربعة من الحب، وكلما نقص أو خف حب الإنسان لله ﷻ نقصت أيضاً هذه الأنواع الأربعة من الحب^{٣٠٣}. لكن هذا لا يعني أنه لا

٣٠٣ وبالطبع فإن حب العائلة والأقارب وحب المؤمنين وأهل الكتاب وكل البشر ينتهي في الآخرة إن لم يكن هذا الحب مبنياً على حب الله ﷻ؛ يقول الله ﷻ:

فَإِذَا نْفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ (المؤمنون، ٢٣: ١٠١)

لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْضَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٠﴾ (المتحة، ٦٠: ٣)

يكون للإنسان ميل خاص لأحد من عائلته أو من المؤمنين أو من أهل الكتاب أو من الناس جميعاً (بناءً على علاقة أو تجربة خاصة أو خصوصية لا علاقة لها مباشرة في المحبة بالله ﷺ). وقد يجب الإنسان الآخرين حباً خاصاً لحاجة خاصة عنده محايدة لا علاقة لها بحب الله ﷻ. يقول الله ﷻ عن سيدنا يعقوب عليه السلام وأبنائه:

وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَتْ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ (يوسف، ١٢: ٦٨)

أما بالنسبة للنوعين الأولين المذكورين أعلاه: (حب الإنسان للأشياء وحب الإنسان للشهوات) فهما من الحب الذي قد يتغير ويزيد أو ينقص أو ينتهي في أي لحظة بما أن الإنسان وحبه في حالة تغير مستمر، لأنهما من أنواع الحب الأسفل (كما رأينا في فصل "مراتب الجمال والحب") ومبنية على أوهام وشهوات وليست متعلقة بالله ﷻ، وبالتالي لا ثبات لهما. وبالنسبة للنوع الثالث من الحب: (حب الأصدقاء) فهو ينقسم إلى نوعين: أصدقاء الخير، وأصدقاء الشر.

بالنسبة لأصدقاء الشر، فإنه من السهل أن تتغير هذه الصداقة لأنها مبنية على وهم، والوهم أمر غير حقيقي. يقول الله ﷻ:

وَلَيْنَ أَصْبِحُكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبَسْتَنِي كُنْتُ

وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿٦٩﴾ يُصْرُوهُمْ يُودُ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَيْبِهِ ﴿٧٠﴾ وَصَحْبَيْهِ وَأَخِيهِ

﴿٧١﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَبَعُ ﴿٧٢﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَمِيمًا ثُمَّ يُنَجِّهِ ﴿٧٣﴾ (المعارج، ٧٠: ١٠-١٤)

يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٧٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٧٥﴾ وَصَحْبَيْهِ وَبَنِيهِ ﴿٧٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْيِيهِ ﴿٧٧﴾

(عبس، ٨٠: ٣٤-٣٧)

مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٣٧﴾ (النساء، ٤٠: ٧٣)

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿٧﴾ (الممتحنة، ٦٠: ٧)

وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ

كَأَنَّهُ وَلىٌ حَمِيمٌ ﴿١١﴾ (فصلت، ٤١: ٢٤)

وإن كانت هذه الصداقة لا تتغير في الدنيا فلا بد لها أن تنتهي في الآخرة لأن كل وهم فإن في الآخرة. يقول الله ﷻ:

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَأَتُهُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ

نَصِيرِينَ ﴿٢٤﴾ (العنكبوت، ٢٩: ٢٥)

يَوْمَئِذٍ لِيَتَنَّى لَمَّا أَخَذَتْهُمُ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ (الفرقان، ٢٥: ٢٨)

وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَبَ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَّبَرًا مَبْنِيًّا كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٧﴾ (البقرة، ٢: ١٦٧)

لكن بالنسبة لأصدقاء الخير، فلا تتغير هذه الصداقة بسهولة لأنها ليست مبنية على وهم، ولأن الحب الذي في هذه الصداقة الخيرة نتيجة تعلق الملكات الواحدة تلو الأخرى إلى الصديق المحبوب ولأنها نوع من أنواع الحب في الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿١٧﴾ (الزخرف، ٤٣: ١٧)

أما بالنسبة للنوع الرابع من الحب (وهو الحب الزوجي)، فإن كان هنالك حباً حقيقياً وليس جسمانياً فقط فإن تغيره أمرٌ غير سهل لأنه كما رأينا سابقاً (في فصل "الحب الزوجي") "جعل إلهي" أو "خلق إلهي"، وقد

تم ربطه من خلال الحب في الله ﷻ وميل الملكات واحدة تلو الأخرى إلى المحبوب بشكل تدريجي وكامل.

وهذا لا يعني أن هذا الحب - إن كان حقيقياً أصلاً - لا يتغير أبداً: فقد يتغير بسبب تغير جمال المحب النفسي أو جمال المحبوب النفسي. فإن ظهر من المحبوب قبح جديد لم يكن موجوداً منذ الأساس (كما يحصل بعد ارتكاب الأعمال السيئة) فربما يتأثر حب الذي يُحبه. يقول الله ﷻ:

إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ
وَصَلِحَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٦٦﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ
أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسَلِّمَتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنِبَتٍ قَنِبَتٍ تَنبِتِ غَيْبَاتٍ سَتَجِدُنَّ فِيهَا بِكَارًا
﴿التحریم، ٦٦: ٤-٥﴾

ولكن من الوفاء أن لا يتغير هذا الحب بسبب تغير جسم المحبوب أو جماله أو جمالها الجسدي كما يحصل في التقدم في السن أو بعد حادث ما. فالله ﷻ أكد على قيمة فضيلة الوفاء في نفس المؤمن:

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ (آل عمران، ٣٠: ٧٦)
وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٧٧﴾ (النجم، ٥٣: ٣٧)

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۗ إِنَّ
الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿١٧٧﴾ (الإسراء، ١٧: ٣٤)

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۗ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا
يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسْئُولِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ (الفتح، ٤٨: ١٠٠)
وقد أشار الله ﷻ إلى عظمة الوفاء في الحب الزوجي ودناءة خيانة هذا الحب والميثاق الغليظ الذي هو جزء لا يتجزأ منه في قوله ﷻ:

وَأِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠٤﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢٠٥﴾ (النساء، ٤: ٢٠٠-٢١)

فإنَّه ﷺ يذكُرنا بسِيئةٍ أخذِ أو سلبِ أيِّ شيءٍ من الزوجة أو الزوج (بما فيه الحب نفسه) بعد إفضاء كل من الزوجين بعضهما لبعض. وربما هذا هو سر سبب كون الطلاق أبغض الحلال إلى الله ﷻ، كما قال رسول الله ﷺ: «أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق»^{٣٠٤}.

فالخلاصة هو أن الحب الزوجي الحقيقي له قيمة عظيمة، وفيه ميثاق غليظ بشهادة الله ﷻ، ويجب الوفاء فيه ولا ينبغي له أن يتغير أبداً في الدنيا أو في الآخرة إلا بسبب تغير المحبوب إلى الأسوأ نفسياً، ولا بسبب تغير المحبوب إلى الأقبح جسدياً كما هي طبيعة الأجساد، والله أعلم.

٣٠٤ رواه أبو داود، رقم ٢١٧٨، كتاب الطلاق، باب في كراهية الطلاق. وابن ماجه، رقم

٢٠١٨، كتاب الطلاق، باب طلاق السنة.

طبيعة الحب

بَيَّنَّ اللهُ ﷻ في القرآن الكريم أنه يوجد في طبيعة الحب قواعد عامة. ونبَّهَ فيما يلي بعضها:

المطلب الأول: الحب في تغير دائم

بطبيعة الحال كل شيء يتغير. لكن إضافة إلى ذلك التغير العام، كل من يعيش أحوال الحب يتغير بشكل دائم ومستمر (في هذا العالم على الأقل). هذا لأن الله ﷻ "كل يوم في شأنٍ يُبدِيه لا يُبْتَدِيه":

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿١٠١﴾ (الرحمن، ٥٥: ٢٩)
ولأن الله ﷻ يَخْلُقُ خَلْقًا جَدِيدًا:

أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٥٠﴾ (ق، ٥٠: ١٥)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٠١﴾ (إبراهيم، ١٤: ١٩-٢٠)

ولكن التغير ليس تغييراً فقط، وإنما فيه قبض وبسط، وذلك لأن الله ﷻ يقبض ويبسط:

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافاً كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٢٤﴾ (البقرة، ٢: ٢٤٥)

ويمكن لنا أن نرى في مراحل الحب (كما ذكرنا سابقاً في فصل "مراحل الحب") أثر القبض والبسط. فمن مراحل الحب مثل الحزن والألم والخوف

والبكاء والقنوت والاستغفار والتبُّل والإحبات والإنابة والتضرُّع و"وجل القلب"، كل هذه هي من مراحل "القبض". وكذلك الفرح والسكون والشكر والسلام والاكتفاء والاطمئنان والإعجاب والمحبة والمودة والود والرضا، كل هذه هي من مراحل "البسط". فالإنسان يعيش آثار القبض والبسط بشكل طبيعي عندما يعيش مراحل الحب. ولذلك كل من يُحب هو في حالة تغير مستمر، وهو بين أحوال القبض والبسط في الحب بشكل دائم، على الأقل في هذا العالم؛ يقول الله ﷻ:

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦٦﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦٧﴾ (الشرح، ٥: ٩٤ - ٦)



وربما هذا التغير المستمر هو سبب عدم وجود الكلل والملل في الحب الحقيقي. فالإنسان لا يسأم من دعاء الخير، وبالتالي لا يسأم من الدعاء (والدعاء مرحلة من مراحل الحب كما رأينا). يقول الله ﷻ:

لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَسْأَلْهُ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ (فصلت، ٤٩: ٤٩)

وكذلك لا يسأم أهل الجنة من الحب، كما سنرى إن شاء الله (في فصل "الحب والجمال في الجنة"). يقول الله ﷻ:

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ (الحجر، ١٥: ٤٨)

وربما سبب هذا كله هو أن الله ﷻ لا يمسه الكلل والملل. يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾

(ق، ٥٠: ٣٨)

فهذا كله لنقول إنَّ في الحب تغيراً مستمراً، ولكن هذا التغيير لا يسبب مللاً من الحب للإنسان الذي يحب، والله أعلم.

المطلب الثاني: حاجة الحب

الإنسان الذي يُحب بحاجة مستمرة إلى محبوه، والحاجة تعني النقص. وقد ذكرنا سابقاً فقر الإنسان، وبالتالي حاجة الإنسان. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٣٥﴾ (فاطر، ٣٥: ١٥)

هَتَانِشُمْ هَتَوْلَاءِ تَدَعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ ۗ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾ (محمد، ٤٧: ٣٨)

وبطبيعة الحال، كل شيء بحاجة لله ﷻ:

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٢٠﴾ (الرحمن، ٥٥: ٢٩٠)

ولكن بما أن كل شيء يُحب الله ﷻ (كما رأينا سابقاً في فصل " الكون والحب ")، يمكن لنا أن نعتبر أن السؤال المستمر لله ﷻ والفقر إليه جزء لا يتجزأ من الحب. فالحب يعني بالضرورة حاجة، والذي يجب يحتاج محبوه.

المطلب الثالث: خصوصية الحب

للحب خصوصية خاصة. فالإنسان لا يستطيع أن يحب من كل قلبه حبيين من النوع نفسه. ولهذا يقول الله ﷻ:

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۗ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۗ وَإِنْ تُصَلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ (النساء، ٤: ١٢٩)

وسبب هذه الخصوصية هي أن للإنسان قلباً واحداً فقط، والحب يملأ هذا القلب، فلا يستطيع الإنسان أن يملأه بحبين لأنه لا يتسع لهما.

يقول الله ﷻ:

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ ۗ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ اَلَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهَا اُمَّهَاتِكُمْ ۗ وَمَا جَعَلَ اَدْعِيَاءَكُمْ اَبْنَاءَكُمْ ۗ ذٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِاَفْوَاهِكُمْ ۗ وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ

يَهْدِي السَّبِيْلَ ﴿٤١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٤٠)

وربما تأتي الغيرة من هذه القاعدة: فكما يعلم الإنسان أن قلبه لا يستطيع أن يحب إلا حباً واحداً، يعلم أن محبوه لا يستطيع أن يحب إلا حباً واحداً، فيغار إذا أبدى محبوه ميلاً إلى أي شيء آخر غيره، والله أعلم. وعلى أية حال، فللحب خصوصية تطلب من الإنسان كل قلبه وكل مكوناته وكل ممتلكاته، ويملاها كلها بحب واحد، ولا يسمح لحب أي شيء آخر أن يدخل في هذا القلب إذا كان الحب كاملاً. ويقول الله ﷻ للرسول ﷺ:

قُلْ اِنَّ صَلَاتِيْ وَنُسُكِيْ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِيْ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿١٢٧﴾ لَا شَرِيْكَ لَهٗ ۗ وَبَدِّلْكَ اُمَّرْتُمْ وَاَنَا اَوَّلُ الْمُسْلِمِيْنَ ﴿١٢٨﴾ (الأنعام، ٦٤: ١٦٢-١٦٣)

المطلب الرابع: قدرة الحب

للحب قدرة عظيمة. فالحب يُغيّر من يُحب، وهذا ما رأيناه في الفصلين "مراحل الحب" و "نمو الحب". وبهذا التغيير يقهر الحب الشخص الذي يُحب - والقبض الذي ذكرناه أعلاه هو عنصر من هذا القهر - ولكن هو قهر خيرٍ لأنه يُغيّر نفس الذي يُحب إلى الأفضل، ويفصله عن طبيعته السفلى وجشعه وذاته (الأنثى). وأشار سيدنا يوسف عليه السلام لهذا القهر الخيّر، وهو في السجن وليس له إلا الله. يقول الله ﷻ:

يَصْحَبِي السِّجْنِ اَزْرَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ ۗ خَيْرٌ اَمْرًا لّٰلّٰهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٢٨﴾ (يوسف، ١٢: ٣٩)

بعبارة أخرى، فإن سيدنا يوسف عليه السلام وهو في السجن وقد قهره حب

الله ﷻ، الربّ الواحد، كان أسعد وأفضل حالاً من هؤلاء الملتهمين عن الله بأمور أخرى (أرتاب) وهم أحرار في الدنيا.

فنهاية الحب هو القهر الأكبر وهو الموت. فالذي يُحب يموت في محبوه أو لمحبوبه، وسنرى هذا - إن شاء الله ﷻ - في فصل "الحب والموت". ويكفي هنا أن نشير إلى بُشْرَى الموت في الحب كما ذكرها الله ﷻ في الآية الكريمة:

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوَزُّنِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩٠﴾ (التوبة، ٩: ١١١)

والخلاصة أن للحب قوة عظيمة، فالحب يقهر من يُحب، ثم يستدرجه عبر مراحل الحب إلى موته، ومن ثم إلى الخلود في محبوه، فللحب قدرة على الإفناء والإبقاء، فما أعظم قدرة الحب! يقول الله ﷻ:

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٤٤﴾
وَلَنَبَلِّغُنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَنَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ (البقرة، ٢)

٣١. الباب الرابع؛ الفصل الحادي عشر:

الحب والسعادة

لا يوجد فرح ولا رضى ولا سلام ولا متعة من غير حب من طريقة أو من أخرى. وسبب ذلك أن الفرح والرضى والمتعة، كما رأينا سابقاً (في فصل "أنواع الحب" وفي فصل "مراحل الحب")، هي من أنواع أو مراحل الحب. فكيف يكون فرح بشيء من غير حبه؟ أو رضى بشيء من غير حبه؟ أو يجد السلام في شيء من دون أن يحبه؟ أو متعة بشيء من غير حبه أو اللذة فيه؟ وأوضح الله ﷻ هذا في قوله الكريم:

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۗ (الأحزاب، ٣٣: ٤)

فبما أن الإنسان ليس له إلا قلب واحد، فلا يستطيع أن يرضى بشيء لا يحبه. يقول الله ﷻ:

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالتَّبَنِينَ وَالتَّقْنَطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالتَّقْنَطِيرِ وَالتَّقْنَطِيرِ وَالتَّقْنَطِيرِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤٠﴾ (آل عمران، ١٤٠: ١٤٠)

فهنا نرى أن متاع الحياة الدنيا كلها وزينتها وشهواتها جميعها مرتبط بالحب. ومن ناحية أخرى، نرى أنه يوجد فرح في الفرار من شيء لا نحبه، وبالتالي يوجد فرح في الميل إلى الشيء الذي نحبه (وهو نقيض ما لا نحبه). يقول الله ﷻ:

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ (التوبة، ٨٧: ٨٧)

فالمخلفون فرحوا بمقعدهم لأنهم كانوا يكرهون الجهاد ويحبون ما يظنونه أمنًا، وهذا يدل على أن الفرح يأتي من الحب حتى لو كان الحب لشيء دنيء أو سيء. وهذا يفسر أيضاً كيف تكون المتعة في الحياة الدنيا بالرغم من الموت الذي يُنتظر في آخرها. يقول الله ﷻ:

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا نِمْعَةً أَلْحَيْنَ قَدْ اسْتَكْرَمْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَلَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٧٨﴾ (الأنعام: ٦٤، ١٢٨)

وهذا يفسر كذلك أيضاً كيف يكون الرضى في الحياة الدنيا والاطمئنان بها عند الغافلين:

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧٠﴾ (يونس: ١٠، ٧٠)

فالغافلون يطمئنون للحياة الدنيا ويرضون بها بالرغم من أن السلام الحقيقي واطمئنان القلب الحقيقي والسكينة الحقيقية فقط في ذكر الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ (الرعد: ١٣، ٢٨)

وكذلك يرضون بالحياة الدنيا بالرغم من الرضى المتبادل الذي يكون بين الله ﷻ والمؤمنين في الدنيا والآخرة. يقول الله ﷻ:

جَزَاءُ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ﴿٩٨﴾ (البقرة: ٩٨، ٩٨)

(انظر إلى: المائدة، ٥: ١١٩؛ التوبة، ٩: ١٠٠؛ المجادلة، ٥٨: ٢٢؛ الفجر، ٨٩: ٢٧-٣٠).

ولكن بالرغم من الفرح والمتعة والرضى الذي قد يشعر به الكافرون والمشركون والغافلون والظالمون نتيجة ميلهم إلى ما يحبونه في الحياة الدنيا،

الحب في القرآن الكريم

فإن الحياة الدنيا بدون ذكر الله ﷻ وعبادته تكون بالضرورة حياة فيها شيء من الكآبة (ربما لأن كل إنسان يعرف أنها ستنتهي آجلاً أم عاجلاً).
يقول الله ﷻ:

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١١٤﴾
(طه، ٢٠: ١٢٤)

وهنا نأتي إلى نقطة مهمة جداً يبرزها الإعجاز القرآني: وهي كلمة "السعادة" فهي لم ترد ولا مرة واحدة في القرآن الكريم في وصف الحياة الدنيا وحياة الكفار والمشركين والغافلين والظالمين. وإنما أتت كلمة السعادة مرتين في القرآن الكريم فقط، كلتاها تشير إلى الجنة وهما في الآيات التالية من سورة هود ﷻ:

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنْفِقُونَ فِيهَا مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۗ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٥﴾ * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَيُنْفِقُونَ فِيهَا مِمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۗ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴿١٠٦﴾ (هود، ١١: ١٠٥-١٠٨)

فالسعداء هم الذين يكونون في الجنة خالدين فيها، ولا يكون أحد من الكفار والمشركين والغافلين والظالمين سعيداً حقيقة، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وذلك بالرغم من الفرح والمتعة والرضى الذي قد يشعروا به في الحياة الدنيا. ومعنى آخر: لا سعادة حقيقة بدون حب الله ﷻ.



مسألة: هل تنطبق كلمة "سعادة" على المؤمنين الصالحين في الدنيا في

ضوء القرآن الكريم؟

يقول الله ﷻ:

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَبِهًا
وَلَهُمْ فِيهَا أَرْوَاحٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ (البقرة، ٢٥)

فيما أن السعادة نعمة على الإنسان وبالتالي رزق من الله ﷻ، وبما أن كل رزق يرزق المؤمن به في الجنة يذكره في رزق ما في الدنيا، فهذا يعني أنه قد تكون سعادة ما للمؤمن الصالح في الدنيا ولو أن رزق الجنة ليس نفس رزق الأرض (وبطبيعة الحال أفضل منها) ولكن " مُتَشَبِهًا " لها فقط، والله أعلم.



مسألة: لم لا تكون سعادة حقيقية للكافرين والمشركين والغافلين والظالمين في الدنيا؟
قد ذكرنا سابقاً قول الله ﷻ:

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿٢٤﴾ (طه، ٢٤)

وذكرنا أيضاً أن الفرح والمتعة والرضى والسلام كلها تعتمد على الحب. فهذا يعني بالضرورة أن حب الكافرين والمشركين والغافلين والظالمين لا يكفي لكي يؤدي إلى درجة السعادة الكاملة. فسعادتهم يبقى فيها نقص لأن حبهم يبقى فيه نقص بالنسبة لحب المؤمن ولأنهم لا يصلون إلى حالة المعية الكاملة الدائمة مع محبوبهم لكونه ليس الله ﷻ الباقي وبالتالي فهو فانٍ وهذا واضح في قول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)

فالحب الدنيوي لا يكفي لكي يؤدي إلى السعادة لأنه لا يملأ الإنسان بشكل كافٍ تامٍ كاملٍ دائمٍ. وكما رأينا سابقاً مراراً، أن الله ﷻ نفخ فيه من روحه (انظر إلى: السجدة، ٣٢: ٧-٩؛ ص، ٣٨: ٧٢؛ الحجر، ١٥: ٢٨-٣٤)، وبالتالي لا يكفيهِ ولا يملؤه بشكل كامل إلا حب الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتْ بِهِ فَقَدْ آهَتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ

فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ (البقرة، ٢: ١٢٧)

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ

هَادٍ ﴿٣٦﴾ (الزمر، ٣٩: ٣٦)

ولهذا فإن سعادة الإنسان وحبهِ وحياتهِ الحقيقية هي في الآخرة أو عند الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ (العنكبوت، ٢٩: ٦٤)

والله أعلم.



٣٢. الباب الرابع؛ الفصل الثاني عشر:

الحب والجمال في الجنة

هل يوجد حب وجمال في الجنة؟ بالنسبة للجمال للجواب واضح، فالجنة كلها جمال، وفيها النظر إلى الجميل، وهو الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٣٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٣٣﴾ (القيامة، ٧٥: ٢٢-٢٣)

وإضافة إلى ذلك فالجنة مليئة بأهل الأرواح الجميلة، بدءاً برسول الله ﷺ. يقول الله ﷻ:

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّاهِدَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٣٤﴾ (النساء، ٤: ٦٩)

ولا يفوتنا أن نذكر جمال حور الجنة. يقول الله ﷻ:

وَكَوَاعِبُ أُنثَىٰ ﴿٣٥﴾ (النبا، ٧٨: ٣٣)

فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ (الواقعة، ٥٦: ٣٦-٣٧)

فِيهِنَّ قَنَصِرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٨﴾ (الرحمن، ٥٥: ٥٦)

حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٣٩﴾ (الرحمن، ٥٥: ٧٢)

كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٤٠﴾ (الدخان، ٤٤: ٥٤)

مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٤١﴾ (الطور، ٥٢: ٢٠)

وَحُورٌ عِينٌ ﴿٤٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٤٣﴾ (الواقعة، ٥٦: ٢٢-٢٣)

وَعِنْدَهُمْ قَنَصِرَاتُ الْطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٤﴾ (الصافات، ٣٧: ٤٨)

وَعِنْدَهُمْ قَنَصِرَاتُ الْطَّرْفِ أُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ (ص، ٣٨: ٥٢)



ولكن هل هذا يعني أن في الجنة حباً^{٣٠}؟ كما رأينا سابقاً (في فصل

٣٠٥ من الواضح أن الجنة هي مآب الرضى والفرح والسعادة والسلام. يقول الله ﷻ عن الرضى في الجنة:

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ (الحاقة، ٦٩: ٢١)

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨٨﴾ لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ﴿٨٩﴾ (الغاشية، ٨٨: ٨ - ٩)

يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ﴿٢٢﴾ أَرْجَعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْتَضَةً ﴿٢٣﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبْدِي ﴿٢٤﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٢٥﴾ (الفجر، ٨٩: ٢٧ - ٣٠)

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ (الفارعة، ١٠١: ٧)

ويقول الله ﷻ عن الفرح في الجنة:

فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ (آل عمران، ٣: ١٧٠)

ويقول الله ﷻ عن السعادة في الجنة:

يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ فَمِنْهُمْ سُقِيَٰ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۗ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۗ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ ﴿١٠٨﴾ (هود، ١١: ١٠٥ - ١٠٨)

ويقول الله ﷻ عن السلام في الجنة:

سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ (يس، ٣٦: ٥٨)

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا ﴿٥٩﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٦٠﴾ (الواقعة، ٥٦: ٢٥ - ٢٦)

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٦١﴾ آدَخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينٍ ﴿٦٢﴾ (الحجر، ٤٥: ٤٦ - ٤٧)

* هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ (الأنعام، ٦: ١٢٧)

(انظر أيضاً: ١٠: ١٠؛ ١٤: ٢٣؛ ١٦: ٣٢؛ ١٩: ٦٢؛ ٢٥: ٧٥؛ ٣٣: ٤٣؛ ٥٠: ٣٤؛ ٥٦: ٩١).

وقد رأينا في فصل "أنواع الحب" وفي فصل "مراحل الحب" أن الرضى نوع من أنواع الحب ومرحلة من مراحل الحب، وأن الفرح والسلام مرحلتين من مراحل الحب. هذا

"طبيعة الحب" يوجد في الحب قبض، ويوجد في الحب نقص، ويوجد في الحب حاجة، ويوجد في الحب حزن؛ والجنة ليس فيها هذه الصعوبات. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٨﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينٍ ﴿٤٩﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٠﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٥١﴾ (الحجر، ٤٥: ٤٨-٤٨)

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴿٥٢﴾ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٥٣﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَّا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٥٤﴾ (فاطر، ٣٥: ٣٤-٣٥)

فالجواب على هذا السؤال هو أن كل رزق يُرزق به الإنسان في الدنيا موجود في الجنة (والحب رزق للإنسان). يقول الله ﷻ:

وَنَبِّئِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿٥٥﴾ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا ﴿٥٦﴾ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٧﴾ (البقرة، ٢: ٢٥)

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧٠﴾ (الزلزلة، ٩٩: ٧)

ومع أن رزق الجنة شبيه برزق الأرض، لكن يختلف رزق الجنة عن رزق الأرض بشيء معين. يقول الله ﷻ:

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ نَفْصَلُ لِقَوْمٍ يُعَامُونَ ﴿٣٣﴾ (الأعراف، ٧: ٣٢)

يعني أنه لا بد من أن يكون هناك حب من نوع ما في الجنة؛ فمن دون الحب لا توجد سعادة وبالتالي لا تكون الجنة بغير حب.

فرزق الجنة وزينتها خالصة بينما رزق الأرض يكون فيه بالضرورة نقص ما. يقول الله ﷻ:

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّرِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَهَمٌّ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۗ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿٤٧﴾ (عند، ٤٧)

(١٥:

فكذلك الحب في الجنة: لا يكون في الجنة حب غير الحب الخالص والخير. وهذا الحب موجود فقط عند المتقين. فحتى درجة الخلّة من الحب لا وجود لها في الجنة إلا إذا أتت بالتقوى:

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْآخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ (الزخرف، ٤٣-٦٦-٦٧)

ولذا، فالأزواج الصالحون والزوجات الصالحات مع بعضهم البعض في الجنة (ومع أولادهم أيضاً) لأنّ الحب الخير والحب في الله يخلد^{٣٠٦}. يقول الله ﷻ:

هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْبَابِكُمْ مُتَّكِئُونَ ﴿٣٦﴾ (يس، ٣٦-٥٦)

أَدْخِلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ تُحِبُّونَ ﴿٤٣﴾ (الزخرف، ٤٣-٧٠)

٣٠٦ بل أكثر من ذلك: كل غل أو نقص في الحب الخير ينزع في الجنة لكي يصبح الحب في الجنة محض وخالص. يقول الله ﷻ:

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَفَدَّ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ (الأعراف، ٧٠-٤٣)

أَدْخَلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٥﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٦﴾ (الحجر، ٤٦-٤٨)

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
 إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ (غافر، ٤٠: ٨)

جَنَّاتِ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿١٢﴾ (الرعد، ١٣: ٢٣)

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِنَا يُحِبُّونَ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ
 شَيْءٍ ﴿٢١﴾ (الطور، ٥٢: ٢١)

وعلى العكس من ذلك، الأزواج الظالمون والزوجات الظالمات مع بعضهم البعض في النار لأن الحب المبني على "النفس الأمارة بالسوء" ينتهي. يقول الله ﷻ:

أَحْسَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ (الصافات، ٣٧: ٢٢)

فخلاصة القول هنا هو أنه يوجد في الجنة كل ما يُحبه أهل الجنة، وكل من يحبهم، وأنه يوجد في الجنة حب، ولكن الحب في الجنة يختلف عن الحب في الدنيا. الحب في الجنة هو فقط ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين من دون معاناة وقبض، كالحب في الدنيا، والله أعلم. يقول الله ﷻ:

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣١﴾ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ
 بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٣٢﴾ يَعْبادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ
 تَحْزَنُونَ ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٣٤﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ
 وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٣٥﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴿٣٦﴾ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ
 الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴿٣٧﴾ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٨﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ (الزخرف، ٤٣: ٦٦-٧٢)

الباب الخامس: المحبوب (الجمال واللقاء والرضوان)

٣٣. الباب الخامس؛ الفصل الأول:

الجمال والحُسن ومكوناتهما

المطلب الأول: معنى "الجمال" ومعنى "الحُسن"

ما هو الفرق بين الجمال والحُسن؟ فيما يلي رأي العلماء في ذلك:

أما بالنسبة للجمال:

فيقول الراغب: "الجَمَالُ: الحُسْنُ الكثير، وذلك ضربان، أحدهما: جمال يختص الإنسانُ به في نفسه أو بدنه أو فعله، والثاني: ما يوصلُ به إلى غيره، وعلى هذا الوجه ما رُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» تنبيهاً أنه منه تفيض الخيرات الكثيرة فَيُحِبُّ مَنْ يُخْتَصُّ بِذَلِكَ، وقال ﷺ: «**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرْتَمِحُونَ ...**» (التحل، ١٦: ٦) قال ﷺ: «**... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ...**» (يوسف، ١٢: ١٨) || ٣٠٧ .

ويقول الزبيدي: "والجمال الحُسن ، يكون في الخلق وفي الخُلُق" ٣٠٨ .

وأما بالنسبة للحُسن:

يقول الراغب: "الحُسْنُ عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه وذلك ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن

٣٠٧ المفردات، ص ٩٧.

٣٠٨ تاج العروس، ٧/ ٢٦٣.

من جهة الحس " ٣٠٩ .

وقال الزبيدي: " الحُسْنُ بالضم الجمالُ، ظاهره ترادفهما. وقال الأصمعي: الحُسْنُ في العينين، والجمال في الأنف، وفي الصحاح الحُسْنُ نقيض القبح. وقال الأزهري: الحُسْنُ نَعْتُ لما حَسُنَ " ٣١٠ .

يَتَضَحُّ من أقوال العلماء أنه يوجد شيء من الترادف بين المصطلحين " جمال " و " حُسْن " ، وأن العلماء ليس لديهم دليل قطعي في هذا الموضوع. ومع هذا يلاحظ أن وصف " الجمال " يُستعمل إذا كان الجميل واحداً، فالله ﷻ جميل، والصبر جميل^{٣١١} ، وفي الأنعام جمال^{٣١٢} . أما بالنسبة لوصف " الحُسْن " ، فهو يُستعمل إذا كان المقصود أكثر من واحد أو تعدد في أنواع جمال الموصوف: فلله الأسماء الحسنى^{٣١٣} ، و " الإحسان " يعني الفضائل كلها كما ذكرنا، وحُسْن المرأة يُطلق على كُل حُسْن مُجمل في شكلها الظاهري، والله أعلم.



المطلب الثاني: مُكوّنات الجمال والحسن

الجمال أو الحُسْن صفة، والصفة عموماً لا تتجزأ - بذاتها - ولكن هل يوجد في هذه الصفة مُكوّنات؟ بمعنى آخر، هل للجمال أو للحُسْن عناصر

٣٠٩ المفردات، ص ١١٨ .

٣١٠ تاج العروس، ٧/ ٢٦٣ .

٣١١ يوسف، ١٣: ٨٣ .

٣١٢ النحل، ١٦: ٦ .

٣١٣ انظر إلى: الأعراف، ٧: ١٨؛ الإسراء، ١٧: ١١٠؛ طه، ٢٠: ٨؛ الحشر، ٥٩: ٢٤ .

يُمكن لنا أن نسميها ونفهمها؟ يقول الله ﷻ:

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٥﴾
بِحُسْبَانٍ ﴿٦﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٧﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٨﴾ أَلَّا
تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٩﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿١٠﴾ وَالْأَرْضَ
وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١١﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١٢﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ
﴿١٣﴾ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٤﴾ (الرحمن، ٥٥: ١-١٣)

فنرى هنا، في بداية سورة الرحمن، أن الله ﷻ ذكر الميزان ثلاث مرات.
وجاء في تفسير الجلالين:

" **﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾** أثبت العدل. **﴿ أَلَّا تَطْغَوْا ﴾** أي لأجل
أن لا تجوروا **﴿ فِي الْمِيزَانِ ﴾** ما يوزن به. **﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ﴾** بالعدل
﴿ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ تُنقصوا الموزون " ٣١٤.

لكن يُلاحظ أن الله ﷻ ذكر الميزان بين ذكره للشمس والقمر والنجم
والشجر والسماء والأرض وما تُنبت الأرض، وأن الله ﷻ لم يذكر أشياء
تُنسب عادة للعدل قبل وبعد الميزان. بل ذكر الله ﷻ ما في خلقه من
طبيعة الخلق قبل وبعد الميزان ولم يذكر ثواباً وعقاباً وأشياء أخرى يتوقع
العقل أن يجدها مع ذكر العدل. فلذلك ربما يكون في ذكر "الميزان" إشارة إلى
"ميزان" أكبر، وهو التوازن والتناغم الطبيعي في خلق الله ﷻ. ودليلنا على
هذا هو "الحسبان" الذي ذكره الله ﷻ: **الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٦﴾ وَالنَّجْمُ
وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٧﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٨﴾** (الرحمن، ٥٥: ٧-٥)

ونعلم - كما ذكرنا سابقاً مراراً - أن الله ﷻ وضع الجمال في كل
شيء خلقه:

٣١٤ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٧٠٩.

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ (السجدة، ٣٢: ٧)

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۗ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ

إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ (النمل، ٢٧: ٨٨)

فإنه يوجد أيضاً بالضرورة جمال في السماوات والأرض وفي مكونات كل منهما التي ذكرها الله ﷻ في بداية سورة الرحمن. فهل هذا يعني أن الميزان جزء من الجمال؟ أو بالأحرى، هل هذا يعني أن الميزان هو تركيب الجمال؟ ذكر الرسول ﷺ فضائل عدة لبعض سور وآيات القرآن الكريم. لكن بالنسبة لسورة الرحمن ذكر شيئاً فريداً من نوعه:

فعن سيدنا علي ؑ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لكل شيء عروس وعروس القرآن الرحمن»^{٣١٥}.

فكرة "العروس" تختلف عن فكرة "المرأة" أو "الزوجة" بشيئين: بالجمال (لأن العروس تكون عادة جميلة) وبالاحتفال (لأن العروس تختلف عن المرأة بمجداث العرس، والعُرس احتفال). فهل يوجد في حديث رسول الله ﷺ إشارة إلى جمال سورة الرحمن؟ وهل في حديث رسول الله ﷺ إشارة أيضاً إلى أنه يوجد في سورة الرحمن ذكر وشرح للجمال؟ وهذا يجعلنا نقول بأنه يوجد في ذكر الميزان إشارة إلى الجمال.

ذكر الله ﷻ مكوّنات الميزان، وهي: (١) إقامة، (٢) الوزن، (٣) القسط بينهما. في الإقامة شيء عمودي، وفي الوزن شيء أفقي، وفي القسط تناغم بينهما. من ناحية أخرى، يوجد في الإقامة شيء جلالِي (لأن الإقامة تتطلب الحق)، ويوجد في الوزن شيء إكرامي (لأن الوزن يتطلب شيئاً متوفراً وموجوداً، وبالتالي رزقاً من الله ﷻ)، ويوجد في القسط شيء كمالي. فإن كان هذا الطرح صحيحاً، فيمكن لنا أن نقول إن مكوّنات الجمال هي وجود

٣١٥ رواه البيهقي، رقم ٢/٤٩٠، كتاب شعب الإيمان، باب تعظيم القرآن.

الحب في القرآن الكريم

الجلال والجمال والتوفيق بينهما، وبالتالي الكمال.

وربما تكون إشارة أخرى لمكونات الجمال في بداية ونهاية سورة الرحمن. فأول آية في السورة هي: "الرَّحْمَنُ"، والرحمن (كما رأينا في فصل "الله ﷻ والحب") مصدر الحب ومصدر الخلق، وبالتالي مصدر الجمال. وآخر آية في سورة الرحمن هي: **تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** (الرحمن، ٥٥: ٧٨). فربما نرى أيضاً في هذا الاسم من أسماء الله سير مكونات الجمال: فمكونات الجمال هي الجلال والإكرام والبركة بينهما. والله أعلم.

والإمام الفخر الرازي قسّم أسماء الله الحسنى (وبالتالي الجمال نفسه) إلى قسمين وهما الجلال والإكرام فقال:

"صفات الله تعالى نوعان سلبية وهي المسماة في القرآن بالجلال، وإضافية وهي المسماة في القرآن الكريم بالإكرام وإليه الإشارة بقوله: ... **ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**" (الرحمن، ٥٥: ٢٧) "٣١٦".

وكذلك صنّف بعض العلماء الآخرين (مثل الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي في كتابه "الإنسان الكامل") أسماء الله الحسنى إلى صنفين: أسماء الذات الإلهية (مثل: الأحد)، وأسماء الصفات. وصنّف أسماء الصفات إلى ثلاثة أصناف، وهي: أسماء جمال (مثل: الرحيم والجميل)، وأسماء جلال (مثل: العزيز والجبار)، وأسماء كمال (مثل: الملك والرّب)، فهل "الحسن" كلّهُ مُكوّن من إكرام وجلال والتكامل بينهما؟ الله أعلم.

٣١٦ الفخر الرازي، شرح أسماء الله الحسنى، ص ٣٠.

٣٤. الباب الخامس؛ الفصل الثاني:

الدُّوق

كما سنرى (في فصل "طبيعة الجمال")، فإن الجمال هو حقيقة موضوعية موجودة في الأشياء ذاتها. وبالفعل، فإن الجميع يعرف ويميّز الجمال بشكل من الأشكال. يقول الله ﷻ:

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ (يوسف، ١٢: ٣١)

فسنوة المدينة كلهن أجمعن على جمال يوسف ﷻ وانبهرن به.

لكن يُلاحظ أنه يوجد أحياناً اختلاف بين الناس – أو تغيّر في الناس – على أكثر ما يُعجبهم فيما بين الأشياء الجميلة. وعلى سبيل المثال إبراهيم ﷺ انتقل من الإعجاب بالكوكب وحبه إلى عدم حبه، ثم إلى الإعجاب بالقمر، ثم إلى الإعجاب بالشمس. يقول الله ﷻ:

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٣٢﴾
فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٣٣﴾
فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ
قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٣٤﴾ (الأنعام، ٦٦: ٧٨-٧٨)

فإعجاب إبراهيم ﷻ تغيّر حسب إدراكه للجمال. وهذا يعني أن إدراك الجمال مربوط بحالة المدرك.

بالإضافة إلى ذلك، يوجد اختلافات وفروقات بين الناس، مع أنهم من أصل واحد. يقول الله ﷻ:

يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٣)

وإذا كان إدراك الجمال يختلف في شخص واحد حسب حالته، فهذا يعني أيضاً أنه سيختلف من شخص إلى شخص حسب الاختلافات الطبيعية بينهم. والله ﷻ يقول:

وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٢٤﴾ فَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۗ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٢٥﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٥٢-٥٣)

مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۗ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٢٥﴾ (الروم، ٣٠: ٣٢)

"كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ": هذا اللفظ الكريم يعني أن كل حزب فرح بما كان عنده، ولكن يمكن الفهم منه أيضاً أن كل حزب يفرح حسب طبيعته، أي بمعنى آخر كل حزب يفرح بشيء معين أكثر من شيء آخر حسب طبيعته الخاصة. ويقول الله ﷻ:

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ (الإسراء، ١٧: ٨٤)

وهذه الآية الكريمة تشير أيضاً إلى أن كل إنسان يختار ما يرتضيه ويحبه حسب طبيعة الحب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:

«الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»^{٣١٧}.

فهذا الحديث يشير أيضاً إلى أن الذوق أمر خاص فطري في روح الإنسان، والله أعلم^{٣١٨}.

٣١٧ رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة، رقم ٢٦٣٨.

٣١٨ يقول الله ﷻ:

وعلى أية حال، خلاصة القول هنا هو أنه بالرغم من موضوعية الجمال، فإنه يوجد في طبيعة الناس وفي الاختلافات الطبيعية بينهم شيء يؤدي إلى ذوق خاص في كل شخص. وهذا الذوق الخاص هو الذي يجعل الإنسان يُفضّل نوعاً واحداً من الجمال على نوع آخر. فالجمال موضوعي، ولكن الذوق غير موضوعي بل نفسي ومتفرد، والله أعلم.

وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتَنكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ جِئْتُمْ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿١٨﴾ (الكهف/١٨)

(٤٤٨).

يقول الرازي في تفسيره:

"ثم قال ﷻ: لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتَنكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وليس المراد حصول المساواة من كل الوجوه، لأنهم خلقوا صغاراً ولا عقل لهم ولا تكليف عليهم بل المراد أنه قال للمشركين المنكرين للبعث المفتخرين في الدنيا على فقراء المؤمنين بالأموال والأنصار: لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتَنكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ عراة حفاة بغير أموال ولا أعوان، ونظيره قوله تعالى: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْتَنكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتَكُمْ وَرَأَى ظُهُورَكُمْ ﴿٩٤﴾ (الأنعام: ٩٤) وقال تعالى: أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِفَاتِنَتِنَا وَقَالَ لَأَتُوبَنَّ مَلَأَ وَوَدَّأ... إلى قوله: ... وَيَأْتِينَا فَرَادَى ﴿١٩٠﴾ (مريم: ١٩٠-٧٧-٨٠)". (الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، ٧/ ٤٧٠).

ولكننا نقول: بأن قول الرازي في تفسير قوله ﷻ "أَوَّلَ مَرَّةٍ" تعود إلى "حفاة عراة" وليس إلى "صَفًّا" لأنه يرى تناقضاً بين مسألة أن الله ﷻ خلقنا صفاً وما جاء في الآية الكريمة من أن الله ﷻ خلقنا "فردى". أما بالنسبة لنا فإننا لا نرى تناقضاً بينهما، وربما خلقنا الله ﷻ بصفوف طويلة المدى بحيث أن كل واحد منا يأتي بمفرده، وعلى أية حال فحقائق الآخرة وأمورها ليست كحقائق الدنيا وأمورها، كما جاء في الحديث الصحيح: "ولا خطر على قلب بشر". (رواه البخاري، رقم ٣٢٤٤، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة).

والفائدة هنا من قولنا في هذا الموضوع كله هو أن الله ﷻ أشار إلى نفس ما جاء به الحديث الشريف "أن الأرواح جنود مجندة"، أي أن الأرواح خلقت صفاً ولكل روح منها طبيعة خاصة، والله أعلم.

طبيعة الجمال

بَيَّنَّ اللهُ ﷻ في القرآن الكريم أنه يوجد في طبيعة الجمال قواعد عامة. وفيما يلي مُبَيَّنُّ بعضها.

المطلب الأول: موضوعية الجمال

الجمال موجود في المحبوب بشكل موضوعي حقيقي، وليس كما يظن البعض أنه موجود في عين الذي يُحب. لا، إنه موجود في الأشياء ذاتها، وحتى في كل الأشياء. فالله ﷻ يقول:

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ (السجدة، ٣٢: ٧)

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ

إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ (النمل، ٢٧: ٨٨)

يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿١٠﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿١١﴾ فِي أَيِّ

صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿١٢﴾ (الانفطار، ٨٢: ٦-٨)

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْتَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿١٣﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ

تَكُونُوا بَلِّغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ (الحمل، ١٦: ٦-٧)

المطلب الثاني: قدرة الجمال

للجمال قدرة عظيمة، مثل قدرة الحب. فالجمال الفتان يستطيع أن

يوقف من يشهده عن كل ما هو فيه، وحتى عن نفسه، وحتى عن حواسه وعن الألم. يقول الله ﷻ:

فَمَا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُكَنَّاءَ وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۗ فَمَا رَأْيُنَهُ أَكَبَّرْتَهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَنَشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٢١)

فسوسة المدينة الخدبن وانسحرن بمجرد رؤية يوسف ﷻ، وقطعن أيديهن من غير شعورهن بحالهن. وهكذا الجمال يوقف من يدركه، ويقطع عمله (والأيدي رمز للعمل) ويُلْهِيه عن أي شيء غيره. ولا نعلم قوة غير قوة الله ﷻ تستطيع هذا بهذه الطريقة.

المطلب الثالث: طريقة تأثير الجمال

يؤثر الجمال على من يدركه بطريقتين مختلفتين:

الطريقة الأولى هي: سحب من يدركه خارج ذاته، وبالتالي جذب به إلى حُب الشيء الجميل، وإلى حب امتلاكه - وذلك ربما حتى بقوة وبعنف. فجمال يوسف ﷻ أثر على زوجة العزيز بحيث جعلها تُريد أن تزني معه، وحتى تُريد أن تُجبره على الزنى معها. يقول الله ﷻ:

وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۗ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾ ۗ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۗ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بَرَّهَنَّ رَبَّيَهُ ۗ كَذَلِكَ لِنَتَصَرَّفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿١٤﴾ ۗ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ۗ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾

فلهذا حذر الله ﷻ رسوله الكريم ﷺ من "مَدَّ الْعَيْنَ" إلى الجمال.

يقول الله ﷻ:

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ (الحجر، ١٥: ٨٨)

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ

رَبِّكَ حَيْرٌ وَابْتِغَىٰ ﴿١٣١﴾ (طه، ٢٠٠: ١٣١)

الطريقة الثانية هي: رجوع من يُدركه إلى ذاته، وبالتالي إلى فضائل

النفس، وإلى الإيمان، وإلى السكون. فيعقوب عليه السلام، استعان بجمال الصبر عند معاناته، وبالتالي سَكَنَ وتوكل على الله ﷻ. وهذا واضح بكلمات يعقوب

عليه السلام في الآيات التالية:

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ

هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ (يوسف، ١٢: ٨٣)

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنِي إِلَىٰ اللَّهِ وَعَلِمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ يَنْبَغِي

أَذْهَبُوا فَتَحَسَّنُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ

اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ (يوسف، ١٢: ٨٦-٨٧)

وكذلك صحابة رسول الله ﷺ، إذ يبایعون الرسول ﷺ تحت شجرة

الحديبية: كانوا أمام المشهد العظيم وهو رسول الله ﷺ - الذي كان جمال

خلقه وخلقه أكثر حتى من جمال يوسف عليه السلام - وكانت "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ"

(الفتح، ٤٨: ١٠)؛ فرجعوا إلى ذواتهم، والله ﷻ أنعم عليهم بما هو أعمق من

السكون، وهي السكينة. يقول الله ﷻ:

لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ

فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٤٨﴾ (الفتح، ٤٨: ١٨)

والله ﷻ وعد المؤمنين برؤيا ملائكة " مُسَوِّمِينَ " لكي " تطمئن قلوب "

المؤمنين، حتى أثناء أي معركة؛ يقول الله ﷻ:

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ ﴿١٤﴾

بَلَىٰ إِنَّ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ

مِّن الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا

النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٦﴾ (آل عمران، ٣: ١٢٤ - ١٢٦)

تطرقنا بشكل موجز إلى العنصر الروحي للفعل الجنسي في فصل

" الحب الزوجي والحب الجنسي ". يبقى أن نزيد هنا أن جمال الجنس الآخر -

والهيئة البشرية هي " أَحْسَنُ تَقْوِيمٍ " (التين، ٤: ٩٥) - يعيد الناظر (أو بعض الناظرين

على الأقل) إلى ذاتهم الداخلية الحقيقية، بعيداً عن الدنيا وعن الشهوات،

ويحوّل العالم الخارجي نفسه إلى تكبيرٍ و " بُرْهَنَ رَبِّيهِ ". عبارة أخرى، فإن

الجمال يمكنه أن يعيد الإنسان إلى ذاته الداخلية الحقيقية، ويمكنه أيضاً أن

يحوّل العالم نفسه إلى انعكاسٍ خارجيٍ ملموسٍ لما هو داخلي، وحتى إلى

أكثر شيءٍ داخلي وهو معرفة الله ﷻ. فبالنسبة لسيدنا يوسف ﷺ، فقد

استبطن جمال زوجة العزيز بشكل كامل فأصبح جمالها " بُرْهَنَ رَبِّيهِ "، وهذا

على عكس زوجة العزيز التي رأت جمال سيدنا يوسف ﷺ كشيء خارج

عن نفسها لدرجة أنها طاردته بقوة شديدة؛ يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۗ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّيهِ ۗ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ

وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ

دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ۗ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ (يوسف، ١٢: ٢٤-٢٥)

في هذه الحالة - حين يتحول ما هو خارجي ويتم استبطانه - يبطل العالم دنيوياً. وهذا يذكرنا في حالة سيدنا محمد ﷺ والتي يقول عنها الله ﷻ:

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٥﴾ (البقرة، ٢: ١١٥)

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٠﴾ (الحديد، ٥٧: ٣)

والخلاصة، فللجمال قدرة عظيمة ونوعان من التأثير: جذب من يُدرّكه إلى خارج ذاته، ودفع من يجذبه إلى ذاته.

وربما نرى هذين النوعين من التأثير في جمال النساء والجذب لهن أو الرحمة بهن كمؤمنات وهو مشار إليه في الآية الكريمة التالية:

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ (الحجر، ١٥: ٨٨)

والله أعلم.

المطلب الرابع: فائدة الجمال (والحب)

قد ذكرنا سابقاً قول الله ﷻ:

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا

بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٦١﴾ (يوسف، ١٢: ٣١)

ورأينا قدرة الجمال على التسبب بحال لا يشعر مشاهد الجمال فيه بالألم. وسنذكر في الفصل اللاحق ان شاء الله علاقة الحب بالموت.

ويقول الله ﷻ:

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْتَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦٢﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ

تَكُونُوا بِنَالِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٣﴾ (النحل، ١٦: ٧-٦)

وهذه الحالة الوحيدة في القرآن الكريم التي يذكر الله ﷻ فيها لفظ "بشق الأنفس"، فهل تكون هنا إشارة إلى كيف يسهل الجمال والحب مصيبة الموت؟ ونقصد في ذلك أنه ذكر هنا الأنعام (وهو المعنى اللفظي) وكيف تسهل السفر، ولكن دُكرَ أيضاً الجمال وبعده دُكرَ بلوغ مقصود حيث لا يصله أحدٌ إلا بشق الأنفس، فهل نفهم أن الجمال والحب يجعلان الإنسان يستطيع ما لا يُستطاع عادة إلا بشق الأنفس (أي بالقهر والموت)؟ وبمعنى آخر هل يوجد إشارة هنا إلى قدرة الجمال والحب على تلطيف مصيبة الموت - النفسي أو الجسدي (كما سنرى لاحقاً إن شاء الله) - بحيث أنه من خلال الحب والجمال يصل المرء إلى ما يؤدي إليه الموت من دون معاناة وقهر؟ فعلى سبيل المثال، نعلم تماماً أن الرسول ﷺ قد توفي في حالة شوق إلى الله ﷻ، وكذلك سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها لما أخبرها رسول الله ﷺ بأنها ستموت بعده قريباً فرحت لأنها كانت تشتاق إلى لقاء ربها^{٣٢}، فهل

٣١٩ عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مرض رسول الله ﷺ وثقل أخذت بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع فأنتزع يده من يدي ثم قال:
 ((اللهم اغفر لي واجعلي مع الرفيق الأعلى)) قالت: فدَهَبَتْ أنظر فإذا هو قد قضى. (رواه مسلم، ٢١٩١، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض).
 ٣٢٠ عن عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ فقال لها النبي ﷺ:

((لا أراه إلا حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي)) فبكت فقال: ((أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين)) فضحكت. (رواه البخاري، ٣٦٢٤، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام. ومسلم، ٢٤٥٠، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليهما الصلاة والسلام).

وعلى سبيل مثال آخر: عن أنس بن مالك ﷺ قال لما طُعن حرام بن ملحان وكان خاله يوم بئر معونة قال بالدم هكذا فنضح على وجهه ورأسه ثم قال: فزت ورب الكعبة. (رواه البخاري، ٤٠٧٢، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ... وبئر معونة).

هنا دليل على قدرة الجمال والحب لتسهيل مصيبة الموت؟ فإن كان نعم، فهذه هي الفائدة الكبيرة من الجمال (والحب)؟ الجمال يجعلنا مثل نسوة المدينة اللاتي قطعن أيديهن ولم يشعرن بالألم إذ رأينَ سيدنا يوسف عليه السلام، حتى عند مصيبة الموت والقهر، والله أعلم.

الحب والموت

المطلب الأول: موت " النفس الأمارة بالسوء "

ذكرنا سابقاً (في فصل "مراحل الحب" وفي فصل "طبيعة الحب") أن حب الله ﷻ يؤدي بالتدرج - ولكن بالضرورة - إلى موت الذي يجب في محبوه. وليس المقصود من هذا هو الموت الجسدي طبعاً وإنما المقصود هو الموت النفسي. وقد رأينا في قصة نسوة المدينة اللواتي قطعن أيديهن عند مشاهدة يوسف عليه السلام بداية عملية موت النفس في الحب. يقول الله عز وجل:

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَهَاتَتْ كُلَّ وَجْهٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٣١)

فالحب، أو الجمال الفئان، يُخرج الذي يُدركه من نفسه. ففي بداية الحب لا تؤدي هذه العملية إلى موت النفس، ولكن بعد فترة، عندما يشتد الحب، لا بد للذي يُحب أن يموت لأننا رأينا في (فصل "الوقوع في الحب") أن جميع مكونات وملكات الذي يُحب تميل إلى المحبوب بحيث يتغير الإنسان كلياً. فإذا تغير الإنسان كلياً، وتغيرت نفسه "السابقة" كلياً، ماتت هذه النفس. والمقصود بهذا، بطبيعة الحال، ليس انتهاء النفس أو أن الإنسان يصبح بلا نفس، بل إن نفسه تفقد أُنانيته كلياً، بحيث يمكن لنا أن نعتبر أن نفسه "السابقة" قد ماتت.

أي نفس هي تموت؟ قد رأينا (في فصل "الوقوع في الحب") أنه يوجد "نفس" بشكل عام، بالإضافة إلى ثلاثة "أجزاء" أو "أنواع" من النفس،

وهي: " النفس الأمارة بالسوء"، و" النفس اللوامة"، و" النفس المطمئنة".
 فنسذكر هنا قول الله ﷻ بالنسبة إلى " النفس الأمارة بالسوء":

وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۗ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾
 (يوسف، ١٢: ٥٣)

النفس الأمارة بالسوء هي التي تَحْتُ الإنسان على السوء. فهذه النفس تُسَوِّلُ له وتُطَوِّعُه لعمل الشرِّ. يقول الله ﷻ:

وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾
 (يوسف، ١٢: ١٨)

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾
 (يوسف، ١٢: ٨٣)

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ۖ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾
 (طه، ٢٠: ٩٦)

فَطَوَّعَتْ لَهُ دُمْهُهُ نَفْسُهُ ۖ قَتَلَ أَخِيهِ فَفَتَلَهُهُ ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾
 (المائدة، ٥: ٣٠)

وبالتالي فهذه النفس مثل الشيطان " الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٤﴾ " (الناس، ١١٤: ٥)، إن لم تكن هي " القَرِينِ".

و" النفس الأمارة بالسوء" هي النفس التي تموت، و" النفس المطمئنة" هي النفس التي تبقى بعد هذا الموت، لأن الله ﷻ يقول:

يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٦٦﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٦٧﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٦٨﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّاتٍ ﴿٦٩﴾
 (الفجر، ٨٩: ٢٧-٣٠)

" النفس المطمئنة"، بعدما ترجع إلى الله ﷻ وتدخل الجنة، لا تسمع فيها أي شيء من " النفس الأمارة بالسوء": فلا أمر بسوء، ولا تسويل، ولا محاولة لتطويعها، وحتى لا وسواس. بل تسمع في الجنة فقط سلاماً وتحية

السَّلَام. يقول الله ﷻ:

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيَمًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا قِيْلًا سَلْمًا سَلْمًا ﴿٢٥﴾ (الواقعة، ٢٥: ٢٦-٢٦)

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلْمًا ۖ وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٣٦﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٣٥﴾ (مريم، ١٩: ٦٢-٦٣)

وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ (يونس، ١٠: ٢٥)

سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٣٦﴾ (س، ٣٦: ٥٨)

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا حَيَّةً وَسَلْمًا ﴿٥٥﴾ (الفرقان، ٢٥: ٧٥)

دَعْوَانَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَأَجْزٌ دَعْوَانَهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ (يونس، ١٠: ١٠)

وبالتالي فعند رجوع "النفس المطمئنة" إلى ربها، فإن "النفس الأمارة بالسوء" تموت تلقائياً^{٣٢١} وربما نرى هذا في إسلام - وبالتالي انتهاء - القرين. فقد قال رسول الله ﷺ:

«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ»، قَالُوا: وَإِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «(وَالْيَايَ إِلَّا أَنْ اللَّهُ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسَلَّمُ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ)»^{٣٢٢}.

فلهذا بعد إسلام القرين أو موت "النفس الأمارة بالسوء" يكون

٣٢١ وربما تكون هنالك إشارة إلى هذا في قول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخَيْطِ ۚ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ (الأعراف، ٧: ٤٠)

فرمما في "الجملة" إشارة إلى "النفس الأمارة بالسوء"، وفي الدخول في "سم الخياط" إشارة إلى الدخول إلى الجنة، وبالتالي إشارة إلى ضرورة موت الجملة وفناء قبل الدخول في "سم الخياط"، أي في الجنة، والله أعلم.

٣٢٢ رواه مسلم، رقم ٢٨١٤، كتاب صفة القيامة والجنة، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس.

المسلم كالرجل السليم الذي يستمع فقط لصوت واحد خيّر، ويكون ميتاً بالنسبة لهمزات الشر. يقول الله ﷻ:

صَرََبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿١٢﴾ (الزمر، ٢٩: ٣٠-)

وعلى أية حال، أشار الله ﷻ أن في قتل النفس السيئة أجراً عظيماً.

يقول الله ﷻ:

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ

وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثِيئًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا

أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ

مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ

أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ (النساء، ٦٦-٧٠)

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِلَهُكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنْفُسُكُمْ يَأْتِيَاضُكُمْ الْعَجَلُ فَتُؤْبَؤُا إِلَى

بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ

الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ (البقرة، ٥٤)

وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٣٦﴾ (آل عمران، ٣٠)

(١٤٣:

فلهذا يمكن لنا أيضاً أن نفهم أن الموت أثناء الجهاد في سبيل الله ﷻ هو

نوعان: الموت البدني، والموت النفسي. وربما نرى إشارة إلى الموت النفسي،

بالإضافة إلى الموت البدني، في الآيات التالية:

وَلَيْنِ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

وَلَيْنِ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ (آل عمران، ٣٠: ١٥٧-١٥٨)

وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً^٤ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ^٥ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ^٦ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٨﴾ (النساء: ٤٠٠)

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٩﴾ لِيَدْخُلْنَهُمْ مُدْخَلَ بَرٍّ صَوْنَهُ^٧ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ (الحج، ٥٨-٥٩)

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ لِحُبِّهِ^٨ مِمَّنْهُم مَّن يَنْتَظِرُ^٩ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٦١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢٣)

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ (التوبة، ٩: ٤١)

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ^{١٠} وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ^{١١} وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ^{١٢} فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ^{١٣} وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ (التوبة، ٩: ١١١)

فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ^{١٤} وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٤﴾ (النساء، ٤: ٧٤)

فالموت النفسي في سبيل الله هو غاية الجهاد ضد النفس، كما أن الموت البدني في سبيل الله يحصل في الجهاد ضد العدو. فذلك قال رسول الله ﷺ:

«تحفة المؤمن الموت»^{٣٢٣}.

وقال رسول الله ﷺ:

٣٢٣ رواه الحاكم، المستدرک، ٤/ ٣٥٥.



المطلب الثاني: موت " النفس الأمارة بالسوء " من خلال حب الله ﷻ

وقد رأينا آنفاً أن " النفس الأمارة بالسوء " تموت في سبيل الله ﷻ، كما رأينا علاقة الحب في هذا الموت. وقد رأينا سابقاً (في فصل " أنواع الحب ") أن الولاية نوع من أنواع الحب. وبين الله ﷻ أن الولي هو الذي يتمنى الموت. يقول الله ﷻ:

قُلْ يَتَابِعُوا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنُّوا أَلَمَوْتِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٢﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾

(الجمعة، ٦٢: ٧-٦)

وقال الله ﷻ أيضاً:

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنُّوا أَلَمَوْتِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾

(البقرة، ٩٤: ٩٥-٩٥)

فأولياء الله ﷻ يُحبونه، ومن حبهم له ﷻ يَتَمَنون الموت، وتموت نفوسهم " الأمارة بالسوء " فيكونون بعد ذلك آمنين. يقول الله ﷻ:

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٠٠﴾ (يونس، ١٠٠: ٦٢)

وبعد ذلك يكونون بإذن الله مثل رسول الله ﷺ في حُبهم المخلص

لله ﷻ عبر الحياة والموت:

قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَمَا كَانَ مِنْ

٣٢٤ رواه البخاري، برقم ٦٤١٦، كتاب الرقاق، باب قول النبي كن في الدنيا كأنك غريب.

الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٦﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٧﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٨﴾ (الأعراف: ١٦٦-١٦٧)

وهذه الحالة - أو حالة قريبة منها - هي حالة جميع الذين يحبون الله ﷻ حباً صادقاً ويتبعون مرضاة الله ﷻ لدرجة أنهم مستعدون استعداداً كاملاً للشهادة في سبيله من شدة حبهم لله ﷻ. وكانت هذه الحالة هي حالة سيدنا علي كرم الله وجهه إذ أخذ مكان رسول الله ﷺ في سريره عند محاولة الكفار اغتيال رسول الله ﷺ، كما هو مشار إليه في الآية الكريمة التالية حسب بعض التفاسير:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَبَادِ ﴿٦٢﴾ (البقرة، ٢: ٢٠٧)

قال الفخر الرازي: "في سبب النزول روايات ... والرواية الثالثة: نزلت في علي بن ابي طالب، بات على فراش رسول الله ﷺ ليلة خروجه إلى الغار" ٣٢٥.

المطلب الثالث: عذاب النفس التي تُحب ولا تموت بالله

كل ما ذكرناه آنفاً صحيح بالنسبة للذين يُحبون الله ﷻ. أما بالنسبة للذين يُحبون غير الله ﷻ، فما مصيرهم إذا اشتد الحب؟ هل يموتون؟، وكيف تموت نفوسهم "الأمانة بالسوء" إذا كان حبهم لزنى أو شرك؟ يقول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

بَيْنَ اللَّهِ ﷻ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَالْعَظِيمَةِ أَنَّ الَّذِينَ يَصَلُونَ فِي حُبٍ
غَيْرِ اللَّهِ إِلَى دَرَجَةِ الْحُبِّ الَّتِي لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ ﷻ فَقَطْ ("تُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ") لَا
تَمُوتُ نَفُوسُهُمْ كَالَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ ﷻ، وَلَكِنْ يُصَيِّبُهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ("أَنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعَذَابِ"). أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ ﷻ، فَحُبُّهُمْ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ،
وَبِمَا أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَهُ "الْقُوَّةُ" "جَمِيعًا"، فَإِنَّهُمْ يَمُوتُونَ، ثُمَّ يُحْيَوْنَ بِاللَّهِ كَمَا
سَنَرَى فِيمَا يَلِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

المطلب الرابع: الحياة بالله بعد موت النفس

من المعروف أن كل إنسان سيذوق الموت. يقول الله ﷻ:

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٩٠﴾ (الزمر، ٣٩: ٣٩٠)

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةٌ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ
وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ (آل عمران، ٣٠: ١٨٥)

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةٌ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٢٥﴾ (الأنبياء، ٢١: ٣٥)

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةٌ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ (المنكوت، ٢٩: ٥٧)

أَيُّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسْتَدِرِّينَ وَإِنْ تُصِبْتُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا
هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْتُمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ
فَمَالِ هَتُّولَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ (النساء، ٤٩: ٧٨)

ولكن "ذوق الموت" يختلف من شخص لآخر. بالنسبة للذين ماتت
أنفسهم "الأمانة بالسوء" الموت النفسي، من قبل فهؤلاء يموتون وهم
"طيبون" ثم يدخلون الجنة. يقول الله ﷻ:

الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿٣٢٦﴾ (النحل، ١٦: ٣٢٦)

ربما تكون كلمة "طَيِّبِينَ" إشارة لطيفة بالإضافة إلى معناها "طاهرين من الكفر" ^{٣٢٦}. فكلمة "طَيِّب" تعني أيضاً "حَي"، وفي هذه الحالة يكون بالضرورة الموت المذكور في الآية أعلاه هو موت "النفس الأتامة بالسوء". لكن كيف يدخل الجنة الإنسان الذي ماتت نفسه "الأتامة بالسوء" ولم يمُت جسدياً؟

نعلم أن الرسول ﷺ دخل الجنة وهو حي جسدياً في ليلة المعراج. ونعلم أيضاً أن بلالاً ﷺ كان في الجنة - أو على الأقل كانت روحه في الجنة - وجسده حي يرزق في الدنيا. قال رسول الله ﷺ:

«يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ فَإِنِّي سَمِعْتُ ذَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ» قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَنْطَهِّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةٍ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كَتَبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ ^{٣٢٧}.

ونعلم أيضاً أن سائر العباد الذين يتقربون إلى الله بالنوافل يُمكن لهم أن يُحقيقوا ما هو أعظم من الجنة. فإله ﷻ يقول في الحديث القدسي:

«(من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش

٣٢٦ جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٣٤٩.

٣٢٧ رواه البخاري، رقم ١١٤٩، كتاب الجمعة، باب فضل الطهور بالليل والنهار وفضل

الصلاة بعد الوضوء.

بها^{٣٢٨} ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته^{٣٢٩}.

ونعلم أيضاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان "ميتاً" فأحياه الله ﷻ وجعل له نوراً يمشي بالناس. يقول الله ﷻ:

أَوْمَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ (الأنعام، ٦: ١٢٢)

ويقول ابن كثير في تفسيره، عن هذه الآية: "وزعم بعضهم أن المراد بهذا المثل رجلان معينان، فقليل: عمر بن الخطاب هو الذي كان ميتاً فأحياه الله، وجعل له نوراً يمشي به في الناس" ^{٣٣٠}.

وواضح من هذا كله أنه يمكن للولي - بإذن الله ﷻ - أن يكون حياً بالله بعد موت نفسه "الأمارة بالسوء"، وبالتالي أن يدخل الجنة وجسده ما زال حياً يرزق في هذه الدنيا. ففي الحب موت في الله، وفي الحب حياة في الله بعد الموت في الله. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَئِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿٤٤﴾ (البقرة، ٢: ١٥٤)

٣٢٨ وهذه الحالة في طبيعة الحال، كانت حالة رسول الله ﷺ أكثر من أي مؤمن آخر، وربما نرى إشارة إلى ذلك في الآية الكريمة (التي نزلت تتحدث عن معركة بدر):

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَئِن لَّا يَكْفُرْ اللَّهُ فَنُكِّلْنَاهُ مَا تَكْفُرُونَ ﴿١٧٠﴾ (الأنفال، ٨: ١٧٠)

٣٢٩ رواه البخاري، رقم ٦٥٠٢، كتاب الرقاق، باب التواضع.

٣٣٠ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص ٧١٨، ولكن يقول ابن كثير أيضاً أن هذا الوصف القرآني ينطبق على كل مؤمن حقيقي كان كافراً في السابق.

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣٠)

(١٦٩:

وكذلك يقول الله ﷻ إن هناك "خُلُقًا جديدًا" بعد الفقر (وبالتالي موت "النفس الأمارة بالسوء") إلى الله ﷻ (وهو "الْعَفِيُّ الْحَمِيدُ" وبالتالي فهو المحبوب):

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْعَفِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٣١﴾﴾ (٣١) ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ

وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٣٣﴾﴾ (فاطر، ٣٥: ١٥ - ١٧)

فحتى لو لم يُدرکه الإنسان، فإن نهاية الحب هو الموت في الله ثم الحياة في الله والجنة^{٣٣٢}، حتى أثناء الحياة الدنيا. وهذا "الفناء" و"البقاء" في الله هو أيضاً غاية الحب، وربما غاية الحياة كلها. فلهذا أمر الله ﷻ الرسول ﷺ أن تكون حياته ومماته وكُله لله. يقول الله ﷻ:

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ

أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾ قُلْ أَعْيَبَ اللَّهُ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۗ وَلَا تَكْسِبُ

كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَاجِزًا ۗ وَلَا تَرَوْا وَازِرَةً وَرَرَ أَحْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا

كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (الأنعام، ٦: ١٦٢-١٦٤)

فلهذا أيضاً، يدعوننا الله ﷻ لِمَا يُحْيِينَا، ويُدْكَرْنَا بِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَحُولُ

بيننا وبين قلوبنا:

٣٣١ ويشير الله ﷻ إلى هذا "الخلق الجديد" في قوله ﷻ:

﴿أَعْيَبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٣٥﴾﴾ (ق، ٥٠: ١٥)

٣٣٢ ويمكن لنا أن نفهم ذلك أيضاً من الآية الكريمة التالية:

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ۚ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

(النحل، ١٦: ٩٦)

انظر أيضاً إلى: هود، ١١؛ الكهف، ١٨؛ طه، ٤٨؛ طه، ٢٠؛ طه، ٧٣؛ طه، ٢٠؛ القصص، ٢٨.

٦٠؛ القصص، ٢٨؛ الأعلى، ٨٧؛ ١٧.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ

اللَّهُ سَخُولٌ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۚ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ (الأَنْفَالُ، ٨: ٢٤)

فالدعوة إلى الحياة الحقيقية هي دعوة إلى الله ﷻ عن طريق موت

"النفس الأمارّة بالسوء" من خلال حب الله ﷻ.

اللقاء والرضوان

يوجد في الزواج الطبيعي بين الرجل والمرأة نوعان من اللقاء هما:
النظر والمعية^{٣٣٣}.

يقول الله ﷻ:

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَرَىٰ هُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ
بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٣٣﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا
يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ
عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا
إِنَّهُ أَلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٣٣٤﴾ (النور، ٢٤: ٣٠٠-٣١)

وقال رسول الله ﷺ:

«انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»^{٣٣٤}.

ومن هنا يتبين أن في الزواج الطبيعي نوعين عظيمين من اللقاء - وهما
النظر إلى المحبوب، والمعية (وجوهر المعية الزوجية هو الفعل الزوجي) -
وهما أمران مهمان جداً وسراً ويشكلان أساس الزواج.

٣٣٣ وفي طبيعة الحال الجماع هو أمر أساسي في المعية الزوجية.

٣٣٤ رواه الترمذي وحسنه برقم (١٠٨٧) في كتاب النكاح، باب ما جاء في النظر إلى
المخطوبة.



وأنه يوجد للعبد في الجنة نوعان عظيمان من اللقاء مع الله ﷻ:

(أ) النوع الأول هو: النظر إلى الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ (القيامة، ٧٥: ٢٢-٢٣)

(ب) أما بالنسبة للنوع الثاني، فقد ذكرناه سابقاً (في فصل "حب الله للناس" وفي فصل "مراحل الحب") أنه يوجد بين الله والعبد "معية عامة" و"معية خاصة" (و"معية خاصة جداً"). وبالنسبة "للمعوية الخاصة"، ذكر الله ﷻ أنه مع المؤمنين. يقول الله ﷻ:

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ (الأنفال، ١٩)

ولكن لم يذكر الله ﷻ ولا مرة واحدة في كل القرآن الكريم أن المؤمنين - أو حتى رسول الله ﷺ - مع الله ﷻ. بل أعظم نعمة ذكرها الله ﷻ في الجنة هي نعمة "الرضوان". يقول الله ﷻ:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

﴿٧٢﴾ (التوبة، ٩: ٧٢)

٣٣٥ انظر أيضاً إلى: آل عمران، ٣: ١٥؛ آل عمران، ٣: ١٦٢؛ آل عمران، ٣: ١٧٤؛ المائدة، ٥:

٢؛ المائدة، ٥: ١٦؛ التوبة، ٩: ٢١؛ التوبة، ٩: ١٠٩؛ محمد، ٤٧: ٢٨؛ الفتح، ٤٨: ٢٩؛

الحديد، ٥٧: ٢٠؛ الحديد، ٥٧: ٢٧؛ الحشر، ٥٩: ٨.

فَقَوْلُهُ ﷺ " **وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ** " وصفه الله ﷺ بأنه " **أَكْبَرُ** " ، ويُفهم من ذلك أن رضوان الله أكبر من أي شيء آخر، وبالتالي فإن رضوان الله نوع من المعية مع الله في الجنة، لأنه لا شيء أكبر من المعية مع الله. وأكد هذا رسول الله ﷺ في الحديث التالي:

«إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبُّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبُّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^{٣٣٦}.

ف"الرضوان" من "الرضا" - وبالتالي من الحب - ولكنه أعظم من الرضا. والله ﷻ يُحِلُّ على عبده "الرضوان"، فهو نهاية الآخرة التي لا نهاية لها، وهو نهاية الحب الذي لا ينتهي، ولا يمكن لنا أن نقول أكثر من هذا، والله أعلم.



في الفصل السابق ("الحب والموت") ذكرنا أن الولي قد يدخل الجنة في حياته، مثل رسول الله ﷺ في المعراج. فهل ينظر الولي إلى الله ﷻ في الدنيا؟ إذ الأبصار لا تُدرك الله ﷻ:

لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿٢٥٥﴾ (الأنعام: ١٠٣)

وحتى الرُّسُل لا يرون الله ﷻ بأعينهم. يقول الله ﷻ:

٣٣٦ رواه البخاري، رقم ٦٥٤٩، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار. ومسلم، رقم ٢٨٢٩، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة.

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنِ
 أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ
 دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ

(الأعراف، ٧: ١٤٣)

لكن الفؤاد يرى آيات الله الكبرى. يقول الله ﷻ:

مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ (النجم، ٥٣: ١١)

مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ (النجم، ٥٣: ١٧-١٨)

وبما أن هذا حصل في حياة الرسول ﷺ الدنيوية، يمكن لنا أن نستنبط أن فؤاد الولي قد يرى في حياته الدنيوية آيات الله ﷻ.

أما بالنسبة للرضوان، فهل يُحِلُّ اللهُ ﷻ رضوانه على الإنسان وهو حي؟ الجواب هو أننا لا نعلم ذلك، ولكن نعلم أن الله ﷻ قد يُؤتِي عبده في حياته الدنيوية "رحمة من عنده" وقد يُعلِّمه "من لدنه علماً". يقول الله ﷻ:

فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدْنَا عَلِيمًا ﴿١٨﴾ (الكهف، ١٨)

(٦٥:

وإضافة إلى ذلك، فإن الله ﷻ يُنْزِلُ الرُّوحَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.

يقول الله ﷻ:

يُنْزِلُ الْمَلٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا

أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢١﴾ (الحل، ١٦: ٢١)

رَفِيعَ الدَّرَجٰتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ

الْتَّلَاقِ ﴿٤٠﴾ (غافر، ٤٠: ١٥)

فلنستمع إلى قول يعقوب الكلابي، أن لا نياس من روح الله ﷻ أبداً.

يقول الله ﷻ:

يَنْبِيَّ أَذْهِبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ

رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ (يوسف، ١٢: ٨٧)

ويقول الله ﷻ:

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴿٥٥﴾ (الرحمن، ٥٥: ٤٦)

وقال ابن عربي في تفسيره (وقيل إنه تفسير عبد الرزاق القاشاني في

الحقيقة) لهذه الآية الكريمة:

"﴿جَنَّاتٌ﴾ إحداهما جنة النفس والثانية جنة القلب" ٣٣٧.

فربما يكون في هذه الآية إشارة أيضاً إلى نوعين من اللقاء مع الرب

وهما النظر إلى الله ﷻ في الآخرة، و"المعية الخاصة" مع الله ﷻ في الآخرة،

والله أعلم.



٣٨. الباب الخامس؛ الفصل السادس:

المقصود الحقيقي وراء كل حب

قد رأينا سابقاً (في فصل " الكون والحب ") أن كل شيء يُحب الله ﷻ حباً طبيعياً فطرياً، باستثناء الكافرين والمنافقين والظالمين. ويجب أن نضيف إلى ذلك أن الإنسان في كل ما يسعى إليه فإنه يقصد الله ﷻ في الحقيقة، حتى ولو لم يُدرك هذا، وهذا صحيح حتى عند الكافرين والمنافقين والظالمين. ونرى هذا حتى في جذور الكُفر والنفاق والظلم، وذلك في وعد الشيطان الباطل لآدم ﷺ، لِيُغْرِيه. يقول الله ﷻ:

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ۗ (طه: ٢٠٠)

" البقاء " هو الله ﷻ، و" الملْك الذي لا يَبْلَى " هو له أيضاً. والشيطان وَعَدَ آدَمَ ﷺ أن يَدُلَّهُ عليهما، فآدم ﷺ عندما استجاب للشيطان، كان يقصد أن يَدُلَّهُ الشيطان كيف له أن يَتَحَلَّى بصفات ومُلْك الله ﷻ. ففي هذا كان يقصد آدم ﷺ ما ينبغي لله ﷻ فقط. فخطؤه أنه كان يريد أن يشارك الله ﷻ فيما عنده، أو أن يكون عنده مثل ما عند الله ﷻ. لكن في كلتا الحالتين، كان آدم ﷺ يُريد الله ﷻ في نهاية المطاف، لأنه كان يُريد صفاته، والذي يُريد الصفات يُريد ذات الصفات من غير أن يُدرك ذلك. وبالفعل لم يكن آدم ﷺ يُريد شيئاً سوى صفات الله ﷻ.

ويقول الله ﷻ:

رُزِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ (آل عمران: ١٤)

من خلال حب شهوة النساء والبنين والقناطير المنقطرة والذهب والفضة والخيل والأنعام والحراث، يُريد الإنسان الجمال والعز والغنى والقوة والرزق. وهذه الأشياء كلها تأتي أصلاً من الله ﷻ، وتعكس صفاته وأسماءه الحسنى. فالذي يُريدها لا يُريد شيئاً خارج صفات الله ﷻ وأفعاله، ولو أخطأ في تفضيل حُبها لذاتها على حب الله ﷻ وحب الإيمان وما أمر به الله ﷻ. ويقول الله ﷻ:

وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ (النمل، ٢٤: ٢٤)

فملكة سبأ كانت بسجودها للشمس من دون الله ﷻ تبحث في الحقيقة عن الله ﷻ، ولكنها كانت تظن أن الشمس هي الله. وهذا كله واضح في قصة إبراهيم عليه السلام إذ كان يُرشد عقول قومه إلى الله ﷻ، أولاً في الكوكب، ثم في القمر، ثم في الشمس، ثم عرفهم أن الله ﷻ هو الذي خلق السماوات والأرض وأنه ليس كوكباً ولا قمراً ولا شمساً، ليكونوا من المهتدين. يقول الله ﷻ:

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٢٥﴾
 فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ إِلَهِي بِنَجْمٍ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالقَمَرُ وَالشَّمْسُ وَالسَّمَوَاتُ لَا تَسْبِقُونَنِي يَوْمَ يَأْتِي السَّمَاءَ دُخَانًا مُتَمِيزًا وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِأَيْدِي السَّمْعَاءِ وَالسَّمْعَاءُ خُشَعٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ فِيهَا سَأَلَ الْمُسْلِمِينَ كَيْفَ كُفَرْتُمْ وَالْمُقْرِبِينَ لَهُمْ فِيهَا رَبِّكَ لَا تُنصِرُونَ وَالْمُشْرِكِينَ لَكُمْ فِيهَا أَعْيُنٌ مُرَبِّبَةٌ تُرَبِّبُكُمْ لَهُمْ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْكُمْ أَعْيُنٌ مُّرَبِّبَةٌ لِّقَوْمٍ يُضَلُّونَ ﴿٢٦﴾
 قَالَ يَبْقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٢٧﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٨﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَحَافَ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٩﴾ وَكَيْفَ أَحَافَ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ اُولَٰئِكَ لَهُمُ الْاَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ (الأنعام، ٦: ٧٦-٨٢)

فكل ما يريده الإنسان في الحقيقة هو الله ﷻ وصفاته وأسماءه الحسنى وأفعاله، لكن لا يدرك ذلك لأنه يرى، من جهله، ظاهر الأمور فقط، وهذا وضع لا يكفي عند الله ﷻ . يقول الله ﷻ:

يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غٰفِلُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم، ٣٠: ٧)
فَأَعْرَضَ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ اِلَّا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا ﴿٣١﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ عَلِمٌ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيْلِهِ وَهُوَ عَلِمٌ بِمَن اَهْتَدٰى ﴿٣٢﴾ (النجم، ٥٣: ٢٩-٣٠)

وَمَا يَتَّبِعْ اَكْثَرُهُمْ اِلَّا ظَنًّا اِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِّنَ الْحَقِّ شَيْئًا اِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ (يونس، ١٠: ٣٦)

والمدهش في هذا كله هو كيف أن الإنسان لا يعلم أنه يريد الله ﷻ وصفاته في كل واحدة من رغباته: فما الذي يستطيع أن يحجب الله ﷻ؟ يقول الله ﷻ:

يَتَابِعُ الْاِنْسَانَ مَا عَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيْمِ ﴿٤١﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٤٢﴾ فِيْ اَيِّ صُوْرَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٤٣﴾ (الانفطار، ٨٢: ٦-٨)

الجواب هو أن لا شيء يستطيع أن يحجب الله ﷻ، ولكن ذنوب الإنسان تحجب الإنسان عن الله ﷻ. يقول الله ﷻ:
كَلَّا بَلْ رَانَ عَلٰى قُلُوْبِهِمْ مَّا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ ﴿٤٤﴾ (الطغفین، ٨٣: ١٤)
ويقول الله ﷻ:

وَقَضٰى رَبُّكَ اَلَّا تَعْبُدُوْا اِلَّا اِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسٰنًا اِمَّا يَبْتَغِىَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ اٰحَدُهُمَا اَوْ كِلٰهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا اَفٍّ وَّلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيْمًا ﴿٢٣﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٣)
ويقول ابن عجيبة في تفسير هذه الآية:

"قلت: (قضى)، هنا، بمعنى حَكَمَ وأوجب وأمر، لا بمعنى القضاء، إذ لو كان كذلك لما عُبد غير الله" ٣٣٨.

فأثار ابن عجيبة هنا نقطة مهمة وهي معنى كلمة "قَصَى": فحسب تفسيره يكون معنى كلمة "قَصَى" هنا يُخالف معناها الطبيعي، لأنه اعتبر جملة "وَقَصَى رَبُّكَ" "أمراً تكليفاً"، لأنه يرى أن اعتبار هذه الجملة "أمراً تكوينياً" مستحيل، فيقول: "إذ لو كان كذلك لما عُبد غير الله".
ويقول الله ﷻ:

إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠١﴾ (المنافقون، ٦٣: ١)

فقول المنافقين في هذه الآية الكريمة (إن محمداً ﷺ هو رسول الله) صحيحٌ بجد ذاته، ولكن الله ﷻ حَكَمَ عليه بأنه كذبٌ منهم، وذلك لأنهم قالوه بنية كاذبة. قال الله ﷻ:
... يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ... (الفتح، ٤٨: ١١)

وقال الرسول ﷺ:

«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ...» ٣٣٩.

فلهذا هل يجوز لنا هنا أن نعتبر الجملة الكريمة "وَقَصَى رَبُّكَ" "أمراً تكوينياً"، وليس "أمراً تكليفاً"، عكس ما قاله ابن عجيبة؟ أي بمعنى آخر، هل يجوز لنا أن نعتبر أنه يوجد في الآية الكريمة (الإسراء، ١٧: ٢٣) إشارة إلى أن المقصود الحقيقي وراء كل حب هو الله ﷻ وحده؟ ففي هذه الحالة يكون

٣٣٨ أبو العباس احمد بن محمد بن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ص ١٩٢، مجلد رقم ٣.

٣٣٩ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، رقم ١؛ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم ٥٠٣٠.

المشركون لا يقصدون في شركهم إلا الشرك وليس عبادة الله ﷻ - لذلك تبقى عبادتهم شركاً - ولكن يكون الله ﷻ وصفاته وراء مقصودهم من غير أن يدركوا ذلك، والله أعلم. فعلياً هذا هو المعنى اللغوي لـ "قَصَى". ويقول الله ﷻ:

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (يونس، ١٠: ١٦٦)

وجاء في تفسير الجلالين:

"﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ عبداً وملكاً وخلقاً ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره أصناماً ﴿شُرَكَاءَ﴾ له على الحقيقة، تعالى عن ذلك ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ أي ظنهم أنها آلهة تشفع لهم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك "٣٤٠".

ولذلك فشركاء المشركين ليس لديهم أية حقيقة أو أي وجود أصلاً - ولهذا فإن عبادتهم لم تكن إلا الظن - وبالتالي فعبادتهم بالضرورة عبادة شيء مختلف بالحقيقة عما يظنون. وكل من في السماوات والأرض هو الله ﷻ، فهذا يعني أن الشيء الذي يعبده المشركون في الحقيقة هو إما الله ﷻ - وبطبيعة الحال فإن الله ﷻ "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (الشورى، ٤٢: ١١) - أو لله ﷻ، وبالتالي صفاته أو أفعال صفاته.

ويقول الله ﷻ:

﴿إِنَّ الْمُتَدَفِّقِينَ يَتَّخِذُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيدُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالاً يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (النساء، ٤: ١٤٢)

فرمبا تكون إشارة أخرى هنا لهذه الفكرة في قوله " **وَهُوَ خَدِيعُهُمْ** "،
والله أعلم.

وعلى أية حال، فالله ﷻ هو المقصود الحقيقي وراء كل حب - سواء
أدرك الإنسان ذلك أم لم يُدرکه - كيف لا و:

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (الحديد، ٥٧: ٣)

وكيف لا يكون الله ﷻ المقصود الحقيقي وراء كل حب، وهو ﷻ
يقول:

وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَؤُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (البقرة، ٢: ١١٥)

ورمبا هذا يكون سر من أسرار قوله ﷻ:

**وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ
عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ**

الَّتَوَّابُ الرَّحِيمُ (التوبة، ٩: ١١٨)

أي بمعنى آخر، أن الله هو المقصود الحقيقي وراء كل حب، فلا ملجأ
منه بتاتاً إلا إليه، وبالتالي لا ملجأ من حبه بلا إدراك وقصد إلا إلى حبه مع
إدراك وقصد، والله أعلم.

الحب في القرآن الكريم
باب خاتمة الرسالة

٣٩. خاتمة واستنتاج

وفي الختام نقول: الله ﷻ هو الرحمن والرحيم والودود، خَلَقَ العالم من الرحمة ومن الحب، وجعل الجمال في كل ما خلقه، والله ﷻ يحب جَماله من خلال الكون الذي خَلَقَ فيه الجمال. وبالحب يعود الإنسان بالصراف المستقيم إلى الله ﷻ؛ وبالحب أيضاً - ولكن بحبٍ أدنى وأسفل - يأخذ الإنسان الطريق إلى النار. فإله ﷻ يقول: **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴿٩٠﴾ (البقرة: ٩٠). فللإنسان خيار بين الحب الأسمى والحب الأدنى وبين الحب الذي يؤدي إلى الله وإلى الجنة وبين الحب الذي يؤدي إلى العذاب والنار، **فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ** ﴿٢٦﴾ (التكوير: ٢٦)؟
فلذلك قال رسول الله ﷺ:

«أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»^{٣٤١}.

وكذلك قال ﷺ:

«من أحبَّ الله وأبغضَ الله وأعطى الله ومنعَ الله فقد استكمل الإيمان»^{٣٤٢}.

وقال ﷺ أيضاً:

«وهل الدين إلا الحب والبغض؟ قال الله ﷻ: " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ٣١)»^{٣٤٣}.

فعلينا أن نختار حب الله ورجاءه في هذه الدنيا وفي الآخرة على حب

٣٤١ رواه أبو داود الطيالسي في مسنده، ص ١٠١، من حديث البراء بن عازب مرفوعاً، وهو حديث حسن.

٣٤٢ رواه أبو داود، كتاب السنة، رقم ٤٦٨١، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه.

٣٤٣ رواه الحاكم، ٣١٩/٢، من حديث السيدة عائشة مرفوعاً وقال: صحيح الإسناد.

الهُوى والشهوات. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ
عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٧١﴾ إِنَّ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ
فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٧٢﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۗ وَآخِرُ
دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٣﴾ (يونس، ١٠: ٧٠-٧٣)



الحب في القرآن الكريم
٤٠. ملخص الفصول

(ملخص النقاط الرئيسية للحب في القرآن الكريم للتدريس والنقاش)

المقدمة

سيرّ الحبّ

✽ إنّ معظم نشاط وجهود الحياة هو في طلبٍ للحب من غير أن ندرك
ماذا نعمل، ولمّ.

تعريف الحب

✽ الحب "ميل، من بعد الإعجاب، إلى الحُسن".
✽ حب الله ﷻ هو: أولاً، أنه أعطى الوجود لكل مخلوق وأفضال كثيرة
أخرى (من بينها الجمال بأنواعه المختلفة)، وثانياً حب الجمال.

الحب الإلهي

الله ﷻ والحب

✽ الودود من أسماء الله ﷻ وليس فقط من أفعاله.
✽ لا يمكن فصل حب الله عن رحمته ﷻ ... فالحب يأتي مع الرحمة،
والرحمة تأتي مع الحب.
✽ الرحمة الإلهية تأتي من الذات الإلهية.
✽ الحب الإلهي والرحمة الإلهية من الذات الإلهية.
✽ الحب مفهوم ضمناً مرتين - بالإضافة إلى ذكر الرحمة الإلهية مرتين - في
بداية كل سورة من سور القرآن باستثناء سورة التوبة (والتي عوضت في
سورة النمل).

الحب أصل الخلق

❁ خلق الله ﷻ الإنسان من رحمته.

❁ خلق الله ﷻ الإنسان لرحمته ﷻ.

❁ خلق الله ﷻ العالم والإنسان من الرحمة ومن أجلها ... هذا يعني أن الله ﷻ خلق العالم والإنسان من الحب ومن أجل الحب أيضاً.

الكون والحب

❁ كل ما في السماوات وما في الأرض يسبح بحمد الله تسيحاً وحمداً فطرياً، والحمد يطلب الحب.

❁ الكون كله يحب الله ﷻ.

❁ في كل الخلق، وبين جميع المخلوقات، فقط الإنسان العاصي لا يحب الله ﷻ في نفسه العاصية لكن كل أجزائه المُسَبَّحة تحمد الله ﷻ وبالتالي تحبه.

❁ الله يحب كل شيء خلقه (باستثناء الكافرين والظالمين والمشركين والمنافقين) قبل وأكثر مما تحبه مخلوقاته.

حب الله ﷻ للناس

❁ فَضَّلُ اللهُ الكَبيْرُ ﷻ على الإنسان هو نتيجة حب الله ﷻ للإنسان بشكل عام.

❁ اللهُ ﷻ يَحِبُّ الذين يَتَحَلَّونَ بالنفوس الجميلة بدرجات معينة.

❁ فالله ﷻ يحب من كانت نفسه جميلة وبحسب درجة جمال نفسه.

❁ رحمته وسعت كل شيء وعطاء الله ﷻ الكريم يصل إلى كل شيء بَعْضُ النظر عن هل تستحق ذلك أم لا، هبة منه ﷻ بلا مقابل.

حب الله ﷻ لرسله وأنبيائه

❁ فضل الله ﷻ أنبياءه ورسله على كل الخلق، والله ﷻ فضل رسله على أنبيائه، والله يحب أولي العزم من الرسل - وهم خمسة (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام) وسيدنا محمد ﷺ هو "حبيب الله".

الذين لا يحبهم الله ﷻ

❁ الله ﷻ لم يذكر مرة واحدة في القرآن الكريم أنه يكره أحداً، أو حتى أنه يكره أي صنف من الكافرين. الله ﷻ يكره فقط العمل السيء، أو شره. وأقرب ما يصل إلى كرهه الله ﷻ هو فعل معين سيء.

حب الرسول ﷺ

حب الرسول لله ﷻ

❁ فاق حُب رسول الله ﷺ لله ﷻ كل العواطف ... فكان غارقاً تماماً في بحر حب الله ﷻ ... الله ﷻ حبيب رسوله.

حب الرسول ﷺ للمؤمنين

❁ كاد رسول الله ﷺ أن يهلك نفسه الشريفة همماً على الناس ... وكان رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين ... وكان الرسول ﷺ يحنُّ على المؤمنين لدرجة أنه كان يستحيي منهم ... وكان رسول الله ﷺ يحب المؤمنين خاصة والناس جميعاً عامة حباً عظيماً.

حب الإنسان

حب الإنسان لله ﷻ

❁ ومن صفات الله ﷻ الجمال المطلق، والرحمة المطلقة، والكرم المطلق؛ وقد أنعم الله على الإنسان ينعم لا تُعدّ ولا تُحصى؛ والله يجيب دعاء الإنسان. فكيف لا يجب الإنسان الله ﷻ؟

❁ حب الإنسان لله ﷻ يبدأ كعاطفة، ومن خلال اتباع الرسول ﷺ بالعمل الصالح وبالخلق الفاضل يُصبح حاله كياناً لنفس المؤمن ... ويصبح هذا الحب أشدّ وأقوى من أي حب دنيوي آخر، وأشدّ وأقوى من أي حب يمكن لغير المؤمن أن يشعره أو حتى يتخيّله.

❁ حب الله ﷻ يوجب حب ما يؤدي إلى الله ﷻ أيضاً.

حب المؤمن للرسول ﷺ

❁ فهم وحب الرسول ﷺ هما الخطوة الأولى لفهم وحب الفضائل والخلق الحسن لأن الرسول ﷺ كان يجسّد الإحسان ومكارم الأخلاق، وفهم وحبّ الفضائل هما الخطوة الأولى لممارسة الفضائل والتحلي بمكارم الأخلاق والخلق الحسن.

❁ عاطفة حب المؤمن لرسول الله ﷺ بذاته قد لا يكون كافياً ... يجب أن يصلّي على النبي ﷺ أيضاً.

حب قربي الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار

❁ حب أهل بيت رسول الله ﷺ وقرابته حسب درجة قرابتهم إليه ﷺ واجب. هذا الحب لذوي قربي رسول الله ﷺ واجب على كل من يجب رسول الله ﷺ، وبالتالي هو واجب على كل من يجب الله ﷻ.

أثر حب الله ﷻ على الإنسان

❁ الذين يُحبهم الله ﷻ ويحبونه هم المؤمنون الأبرار الذين يتواضعون

ويتذللون للمؤمنين ويعتزون بإيمانهم أمام الكافرين، ويجاهدون جهاداً مستمراً ضد النفس بإخلاص ولا يلتفتون إلى ما دون الله ﷻ. وبالإمكان أن نعرفهم من خلال هذه الصفات لأن الله ﷻ قال: "... **سَيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ** ...".

الحب العائلي

✽ الله ﷻ جعل حباً طبيعياً مشروعاً ومحموداً بين الإنسان وعائلته - وجعل هذا الحب حسب درجة القرب - ولكنه ﷻ أكد على أنه يجب أن يبقى حب الإنسان لربه أكثر وأقوى من كل الحب العائلي.

حب الآخرين (الناس جميعاً، وأهل الكتاب، والمؤمنين، والأصدقاء)

✽ الله ﷻ جعل حقوقاً لكل بني آدم، وفرض احترام الآخرين، وعدم الاعتداء عليهم، والقسط، والرحمة، والتعاطف والمغفرة، والصفح، وعدم البغض، وحتى أن نحسن عند الإساءة إلينا وأن ندفع بالتي هي أحسن مع أي كان مهما كانت ديانتها (وحتى إن لم يكن له دين)، طالما لم يكن يحارب المسلمين.

✽ الله ﷻ فرض - إضافة إلى الاحترام والقسط والرحمة بشكل عام - الإحسان نحو أهل الكتاب بشكل خاص، وأخبر عن مودة خاصة بين المسلمين والنصارى.

✽ بالإضافة إلى الاحترام والقسط والرحمة والمودة والإحسان، يطلب الله ﷻ الحب بين المؤمنين، وهذا هو الحب الذي نسميه أحياناً "الحب في الله".

✽ في القرآن الكريم ذكرَ وشرَّحَ وبارك الله ﷻ أربع درجات مختلفة من "الصدقة" والتي هي فوق الحب الموجود بين المؤمنين وهي: (١) الصحبة، (٢) الصداقة، (٣) الصداقة الحميمة، (٤) الخلَّة. وقد ذكرناها بالترتيب

التصاعدي وتشكّل السلسلة الكاملة للصدّاقة بين المؤمنين وأعلى درجات الحب (غير الجنسي) بين الذين لا تربطهم صلة القرابة.

الحب الزوجي والحب الجنسي

✽ الطبيعة المشتركة بين البشر تعني أنهم ليسوا مكتملين من دون بعضهم البعض. الذكر يحتاج الأنثى والأنثى تحتاج الذكر، وعموماً نبقى بحالة نقص دون بعضنا البعض. وهذه الحاجة إلى بعضنا البعض والنقص من دون ذلك، واضحة في ثلاثة أمور رئيسة: (أ) في حاجة الذكور والإناث بعضهم لبعض في النسل؛ (ب) في الحب الزوجي غير الجسماني والحاجة النفسية بين الزوجين، (ج) وفي الحب الزوجي والجنسي بين الزوجين.

✽ لكل نفس زوجة أو زوجاً معيناً مخلوقاً له أو لها خاصة (كـ "خلق" إلهي)، أو ("كـ" جعل" إلهي) خاص فيما بعد الخلق، وفي هذه الحالة يمكن لنا أن نتعرف عليها أو عليه في هذه الحياة الدنيا - أو قد لا نتعرف عليها أو عليه أبداً.

✽ بين بعض الناس وبعض الأزواج والزوجات علاقة تامة بحيث إن الشخصين يُكمل بعضهما بعضاً، فكأنهما شخص واحد أو نفس واحدة - وهنا يمكن لنا أن نسميها "أزواج النفس" - بينما نجد بين بعض الناس سكوناً ومودةً ورحمة من دون أن تكون العلاقة علاقة تامة ومكتملة حتى بين زوج وزوجة متزوجين منذ فترة طويلة.

✽ في الزواج حُبٌّ يمكن له أن يكون مجرداً من كل علاقة جسمانية، وأن الزوجين كليهما بحاجة لهذا الحب من ناحية نفسية طبيعية.

✽ الله ﷻ أشار إلى أسرار العلاقة الزوجية بشكل رمزي في آيات مختلفة.

✽ الله ﷻ بيّن أن العلاقة الجنسية تولد صلة لا يمكن إبطالها حتى بعد انتهاء العلاقة نفسها أو الزواج وأن هذه الصلة تستوجب المعروف والاحترام

للأبد.

- ❁ هل في الجماع ناحية روحية وليس فقط جسدية؟
- ❁ في النظر إلى جمال الجسم حالة روحية في بعض الأحيان.
- ❁ هل هناك إشارة إلى أنه يوجد في الهلاك لقاء الله ﷻ، وأنّ في الجماع - وفي نشوة الجماع و"الإفشاء" - نوعاً من أنواع الهلاك؟
- ❁ يوجد في القرآن الكريم إشارة إلى حالة ذكر الله ﷻ في النظر المشروع إلى جمال جسم الآخر، كما أنه ربما يوجد في القرآن الكريم إشارة إلى احتمال أو إمكان وجود حالة روحية في الجماع، والله أعلم.

الحب والزنا

- ❁ يوجد حب بالإضافة إلى الشهوة والرغبة الجسمانية في الزنا.
- ❁ الحب غير المشروع قد يصبح أحياناً حباً غامراً كأنه عبادة، ومع هذا لا يمكن لهذا الحب أن يصل إلى درجة العبادة الحقيقية لله ﷻ.

الحب والنظر

- ❁ هناك شيء خاص وسر عظيم في عينيّ الإنسان يمكنه أن: (١) يُعَبَّرَ عن الحب؛ أو (٢) يوَلِّد الحب عند الناظر نفسه؛ أو (٣) أن يُوَلِّد الحب فيمن ينظر في عينيّ الآخر. وبمعنى آخر فإنه يمكن أن: (١) يرى الآخرون الحب في عينيّ الإنسان؛ (٢) أن يدخل الحب إلى نفس وقلب الإنسان من خلال عينيّه؛ و(٣) ربما تُوَلِّد العينان حباً في شخص آخر إذا التقت العيون.

الحب

أنواع الحب

- ❁ الله ﷻ يذكر سبعة وثلاثين نوعاً من الحب في القرآن الكريم. وكل نوع

من الحب يختلف قليلاً عن الأنواع الأخرى، فلا ترادف في اللغة العربية، ولكل كلمة معنى فريد ومحدد مع اختلاف بسيط في المعنى. وأنواع الحب المختلفة المذكورة في القرآن الكريم هي: (١) الحب؛ (٢) المحبة؛ (٣) الاستحباب؛ (٤) الرحمة؛ (٥) الرأفة؛ (٦) الوُد؛ (٧) المودّة؛ (٨) الوداد؛ (٩) الإرادة؛ (١٠) الشغف؛ (١١) الهوى؛ (١٢) الاستهواء؛ (١٣) الغوى؛ (١٤) الهم؛ (١٥) الرغَب؛ (١٦) التقارب، المقاربة، القرب؛ (١٧) الغرام؛ (١٨) الهيام؛ (١٩) الخُلّة؛ (٢٠) الصداقة؛ (٢١) الصحبة؛ (٢٢) الإيثارة؛ (٢٣) الضلال؛ (٢٤) الرضى؛ (٢٥) الحنان؛ (٢٦) الإعجاب؛ (٢٧) الميل؛ (٢٨) الشهوة؛ (٢٩) الصبَا؛ (٣٠) الابتغاء؛ (٣١) التفضيل؛ (٣٢) الزنا؛ (٣٣) الحفاوة؛ (٣٤) الشفقة؛ (٣٥) الولاية؛ (٣٦) الصغى؛ (٣٧) الوليجة.

مراحل الحب

❁ ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم مائة مرحلة من مراحل الحب البشري:

(أ) مراحل حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس؛ وهي: (١) الفراغ؛ (٢) الفقر؛ (٣) التزّين؛ (٤) الإعجاب؛ (٥) الحب؛ (٦) الرضا؛ (٧) التقرب؛ (٨) الإرادة؛ (٩) الابتغاء؛ (١٠) الرغَب؛ (١١) الولاية؛ (١٢) الخُلّة؛ (١٣) الفرح؛ (١٤) السكن؛ (١٥) الرجاء؛ (١٦) العمل؛ (١٧) الذكر؛ (١٨) النجوى؛ (١٩) الابتلاء؛ (٢٠) الاطمئنان؛ (٢١) العلم؛ (٢٢) المعرفة؛ (٢٣) المشيئة؛ (٢٤) الخوف؛ (٢٥) الحزن؛ (٢٦) الألم؛ (٢٧) البكاء؛ (٢٨) التغيير؛ (٢٩) القبض؛ (٣٠) البسط؛ (٣١) الحاجة إلى الخلوة؛ (٣٢) الصبر؛ (٣٣) الأمل؛ (٣٤) الغيرة؛ (٣٥) اللقاء؛ (٣٦) المعية؛ (٣٧) قرّة العين.

(ب) مراحل حب الناس لله ﷻ؛ وهي:

(٣٨) الود؛ (٣٩) الشفقة؛ (٤٠) الاستئناس، الأنس؛ (٤١) السلام؛ (٤٢)

الاكتفاء؛ (٤٣) الشكر؛ (٤٤) التوكل؛ (٤٥) انشراح الصدر؛ (٤٦) لين الجلد؛ (٤٧) لين القلب؛ (٤٨) قشعريرة الجلد؛ (٤٩) وجل القلب؛ (٥٠) التبتّل؛ (٥١) الإخبات؛ (٥٢) الإنابة؛ (٥٣) التضرع؛ (٥٤) التوبة؛ (٥٥) الاستغفار؛ (٥٦) العَجَل للترضية؛ (٥٧) الدعاء؛ (٥٨) التذكّر؛ (٥٩) الاتباع؛ (٦٠) تمحيص القلب؛ (٦١) الشك؛ (٦٢) الريب؛ (٦٣) الظن؛ (٦٤) النظر؛ (٦٥) التفكّر؛ (٦٦) التدبّر؛ (٦٧) استعمال العقل؛ (٦٨) التبصر؛ (٦٩) اليقين (علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين)؛ (٧٠) الطمع؛ (٧١) الحاجة إلى الناس، الحاجة إلى الجلوة؛ (٧٢) التأوه؛ (٧٣) الأوب؛ (٧٤) القنوت؛ (٧٥) القهر؛ (٧٦) الإسلام؛ (٧٧) الإيمان؛ (٧٨) الإحسان؛ (٧٩) الإخلاص.

(ت) مراحل حب الناس للناس؛ وهي:

(٨٠) المحبة؛ (٨١) وجود الجمال؛ (٨٢) التعارف؛ (٨٣) الميل؛ (٨٤) المودة؛ (٨٥) الرأفة؛ (٨٦) الشهوة؛ (٨٧) الهوى؛ (٨٨) الهمم؛ (٨٩) المتعة؛ (٩٠) الاستمتاع؛ (٩١) الكرم؛ (٩٢) الرحمة؛ (٩٣) اللطف؛ (٩٤) المغفرة، الغفران؛ (٩٥) العفو؛ (٩٦) الصفح؛ (٩٧) المعروف؛ (٩٨) المرادة؛ (٩٩) الاستحياء؛ (١٠٠) عدم الإحساس بالحال.

❁ فالحب البشري مكوّن من هذه المراحل جميعاً... فالحب البشري الكامل مكون من جميع هذه المراحل وتعطينا صورة واضحة لعملية مسار الحب واستنباط سر ما يجري في وقوع الحب أيضاً.

الوقوع في الحب

❁ الوقوع في الحب هو "مَيْل جميع مكونات أو مَلَكات الإنسان إلى الحُسْن، من بعد الإعجاب به". وكل مراحل الحب ما هي إلا مَلَكات الجسم والنفس والروح في عملية ميلها وارتباطها بمحبوب معين.

نمو الحب

❁ عاطفة الحب تزداد من خلال ميل الملكات الأخرى إلى المحبوب، والحب لله ﷺ بالإضافة إلى أتباع السنة يُكَافَأُ من الله ﷻ بحب منه للعبد.

❁ مفتاح تقوية الحب الحَسَنَ لأمر نافع هو الأعمال الصالحة، وبالتالي فهي التصرف بإحسان. فالإحسان هي جائزة ومكافأة بجد ذاتها ... ومن ناحية أخرى فإن إضعاف حب ما لا ينفع الإنسان ليس أمراً سهلاً ولكنه ممكن بعون الله ﷻ ويتطلب التغيير الداخلي ثلاث فضائل رئيسية هي: (١) الصبر؛ (٢) التواضع؛ (٣) الصلاة وذكور الله ﷻ.

دائرتا الحب

❁ كلاً من الذين آمنوا والذين كفروا في ازدياد دائم لما هم فيه. فلمؤمنون في حالة ترقٍ دائم وصعود في الدرجات العلى من مقام إلى مقام، والكافرون بعكس ذلك لأنهم في نزول وهبوط دائم في الدرجات السفلى ... هناك دائرتان مغلقتان ومستديمتان للحب واحدة منهما علّيا وهي: دائرة الحب المشروع حب الله ﷻ، والأخرى: سُفلى وهي دائرة الحب غير المشروع.

مثلث الحب

❁ الإنسان لا يعلم شيئاً عند ولادته ... وبالتالي يحتاج الإنسان للترؤن لكي يحب.

❁ الإنسان في بداية الحب يُحب صورة مزيّنة (في عقله أو في نفسه أو في قلبه) عن المحبوب بنفس القدر الذي يُحب "المحبوب" حقيقةً، وبالتالي يُحب محبوبه من خلال صورته الخاصة عن هذا المحبوب بغض النظر عما إذا كانت هذه الصورة تمثّل حقيقة المحبوب أم لا.

❁ معرفة الله ﷻ تزداد من خلال الإيمان والتواضع والحب والأعمال

الصالحة والتأمل والتفكير في كل شيء داخل النفس وفي العالم. وبعبارة أخرى فإن معرفة الله ﷻ تنمو بالطريقة نفسها التي ينمو فيها حب الله وذلك من خلال التركيز والممارسة التدريجية للقلب والنفس وكل مَلَكَاتِهِمَا ومكُونَاتِهِمَا نحو الله ﷻ.

❁ الإنسان يحب الله ﷻ أولاً من خلال الإيمان الذي زَيَّنَهُ اللهُ ﷻ في قلبه. بعد هذا يبدأ الإنسان بمعرفة الله ﷻ وأسمائه وصفاته من خلال أفعال الله ﷻ وآياته. بعد العلم والإحسان يُصبح الحب مباشرة وليس من خلال مثلث التزيُّن من الحب.

مراتب الجمال والحب

❁ أعلى درجات الجمال هو الجمال الإلهي؛ ثم الجمال المقدَّس (ابتداءً بجمال رسول الله ﷺ)؛ ثم الجمال الداخلي؛ ثم الجمال الخارجي؛ ثم تزيُّن الشهوات الداخلية؛ ثم تزيُّن الشهوات الخارجية. وليس كل حب هو محمود، وليس كل جميل يستحق الحب.

نقيضاً الجمال والحب

❁ كلمة "القُبْح" لم تطلق في القرآن الكريم على أي شيء خلقه الله ﷻ وبالتالي يمكن لنا أن نستنتج أن القُبْح نقص نسبي من الجمال، وتفضيل جمال أدنى على جمال أعلى، وليس شيئاً بذاته.

❁ الكُره فيما يبدو يعتمد على حالة الكاره الخاصة: فالمؤمنون يكرهون الشرّ، والكافرون يكرهون الخير، ولكن يمكن للمؤمنين الذين لم يتمموا تَعَلُّبَهُمْ على نفوسهم أن يجبوا شيئاً شراً لهم أو يكرهوا شيئاً خيراً لهم. فهذا يعني أن الكُره مجرد ذاته ليس شيئاً كَرِيهاً، ولكن يُصبح كَرِيهاً عند الذين هم كَرِيهون أصلاً. فالكُره بالتالي يصدر من المحبة: فالمؤمنون يكرهون الشر من

محبتهم لله ﷻ، والكافرون يكرهون الخير من محبتهم للشر ومن محبتهم لشر نفوسهم. وهذا يعني أنه إذا كان الكره نقيض الحب عاطفياً، فإنه أيضاً، كالفح، ليس شيئاً بحد ذاته، ولكنه عكس الحب ولذا فهو مكروه.

انتهاء الحب

❁ حب الله ﷻ للناس لا يتغير ولا ينتهي أبداً. التغيير يحدث حين يتغير هؤلاء الذين يحبهم الله ﷻ لدرجة أنهم يصبحون أشراراً ويرفضون حب الله ﷻ. وحتى حينها فليس حب الله الذي يتغير بل هؤلاء الذين أداروا ظهورهم لحب الله ﷻ.

❁ إذا تغير الإنسان وخفَّ إيمانه، فسيتقص أيضاً حبه لله ﷻ، كما إذا زاد إيمان الإنسان بالله فإنه سيزيد أيضاً حبه لله ﷻ. فالخلاصة هي أن حب الإنسان لله ﷻ قد يتغير ليس لأن محبوه يتغير (والله ﷻ لا يتغير أبداً) ولكن لأن الإنسان هو نفسه قد يتغير وقد يتغير قلبه ونفسه.

❁ الحب الزوجي الحقيقي له قيمة عظيمة، وفيه ميثاق غليظ بشهادة الله ﷻ، ويجب الوفاء فيه ولا ينبغي له أن يتغير أبداً في الدنيا أو في الآخرة إلا بسبب تغير المحبوب إلى الأسوأ نفسياً، ولا بسبب تغير المحبوب إلى الأقبح جسدياً كما هي طبيعة الأجساد.

طبيعة الحب

❁ كل مَنْ يُحبُّ هو في حالة تغير مستمر، وهو بين أحوال القبض والبسط في الحب بشكل دائم، على الأقل في هذا العالم... إن في الحب تغيراً مستمراً، ولكن هذا التغيير لا يسبب مللاً من الحب للإنسان الذي يجب.

❁ الحب يعني بالضرورة حاجة، والذي يجب يحتاج محبوه.

❁ الحب يملأ القلب، فلا يستطيع الإنسان أن يملأه بحبين لأنه لا يتسع

لهما.

❁ للحب قوة عظيمة، فالحب يقهر من يُحِب، ثم يستدرجه عبر مراحل الحب إلى موته، ومن ثمَّ إلى الخلود في محبوه، فللحب قُدرة على الإفناء والإبقاء، فما أعظم قدرة الحب!

الحب والسعادة

❁ لا سعادة حقيقة بدون حب الله ﷻ... الحب الدنيوي لا يكفي لكي يؤدي إلى السعادة لأنه لا يملأ الإنسان بشكل كافٍ تامٍ كاملٍ دائمٍ... وبالتالي لا يكفي ولا يملؤه بشكل كامل إلا حب الله ﷻ.

الحب والجمال في الجنة

❁ يوجد في الجنة كل ما يُحبه أهل الجنة، وكل مَنْ يحبهم، وأنه يوجد في الجنة حب، ولكن الحب في الجنة يختلف عن الحب في الدنيا. الحب في الجنة هو فقط ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين من دون معاناة وقبض، كالحب في الدنيا.

المحبوب

الجمال والحسن ومكوناتهما

❁ إن مكوّنات الجمال هي وجود الجلال والجمال والتوفيق بينهما، وبالتالي الكمال.

الدّوق

❁ الجمال موضوعي، ولكن الذّوق غير موضوعي بل نفسي ومتفرّد.

طبيعة الجمال

- ✽ الجمال موجود في الأشياء ذاتها، وحتى في كل الأشياء.
- ✽ الجمال الفئان يستطيع أن يوقف من يشهده عن كل ما هو فيه، وحتى عن نفسه، وحتى عن حواسه وعن الألم.
- ✽ للجمال قدرة عظيمة ونوعان من التأثير: جذب من يُدركه إلى خارج ذاته، ودفع من يجذبه إلى ذاته.
- ✽ لعل للجمال والحب قدرة على تسهيل مصيبة الموت.

الحب والموت

- ✽ الموت النفسي في سبيل الله ﷻ هو غاية الجهاد ضد النفس، كما أن الموت البدني في سبيل الله ﷻ يحصل في الجهاد ضد العدو.
- ✽ أولياء الله ﷻ يُحبونه، ومن حبهم له ﷻ يَتَمَنون الموت، وتموت نفوسهم "الأمانة بالسوء" فيكونون بعد ذلك آمنين.
- ✽ الذين يصلون في حبٍّ غير الله ﷻ إلى درجة الحب التي لا تبغي إلا الله ﷻ فقط لا تموت نفوسهم كالذين يحبون الله ﷻ، ولكن يُصيهم عذاب شديد.
- ✽ يمكن للولي - بإذن الله ﷻ - أن يكون حياً بالله ﷻ بعد موت نفسه "الأمانة بالسوء"، وبالتالي أن يدخل الجنة وجسده ما زال حياً يرزق في هذه الدنيا. ففي الحُب موت في الله ﷻ، وفي الحُب حياة في الله ﷻ بعد الموت في الله ﷻ.

اللقاء والرضوان

- ✽ رضوان الله ﷻ أكبر من أي شيء آخر، وبالتالي فإن رضوان الله ﷻ نوع من المعية مع الله ﷻ في الجنة، لأنه لا شيء أكبر من المعية مع الله ﷻ.

المقصود الحقيقي وراء كل الحب

ﷻ الله ﷻ هو المقصود الحقيقي وراء كل حب، فلا ملجأ منه بتاتاً إلا إليه، وبالتالي لا ملجأ من حبه بلا إدراك وقصد إلا إلى حبه مع إدراك وقصد.

خاتمة واستنتاج

ﷻ الله ﷻ هو الرحمن والرحيم والودود، خَلَقَ الْعَالَمَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَمِنَ الْحُبِّ، وجعل الجمال في كل ما خلقه، والله ﷻ يحب جَمَالَهُ مِنْ خِلَالِ الْكُونِ الَّذِي خَلَقَ فِيهِ الْجَمَالَ. وبالحب يعود الإنسان بالصرط المستقيم إلى الله ﷻ؛ وبالحب أيضاً - ولكن بحبٍ أدنى وأسفل - يأخذ الإنسان الطريق إلى النار. فالله ﷻ يقول: **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** (البقرة: ٩٠، ٩١). فلإنسان خيار بين الحب الأسمى والحب الأدنى وبين الحب الذي يؤدي إلى الجنة والحب الذي يؤدي إلى العذاب وإلى النار.



صفوة المراجع التي قرأتها أو استعملتها في هذه الرسالة هي:

القرآن الكريم

من كتب التفسير

١. البروسوي، الإمام العالم الفاضل مولانا ومولى الروم الشيخ إسماعيل حقي البروسوي، (توفي سنة ١١٣٧)، تفسير روح البيان، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات: ١٠).
٢. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، (توفي سنة ٥١٦هـ)، معالم التنزيل، (دار طيبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، الرياض، عدد المجلدات: ٨).
٣. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (توفي سنة ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، بيروت، عدد المجلدات: ٨).
٤. البيضاوي، الإمام القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله أبي عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، (توفي سنة ٧٩١هـ)، تفسير البيضاوي، (دار الفكر، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).
٥. التستري، الإمام أبو محمد سهل بن عبد الله التستري، (توفي سنة ٢٨٣هـ)، تفسير التستري، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، بيروت، عدد المجلدات: ١).
٦. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المالكي، (توفي

سنة ٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).

٧. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، (توفي سنة ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، بيروت، عدد المجلدات: ١٠).

٨. ابن جرير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (توفي سنة ٣١٠هـ)، تفسير الطبري، (دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١٢).

٩. ابن جزى الكلبي، الإمام الحافظ أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جزى الكلبي الغرناطي، (توفي سنة ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، بيروت، عدد المجلدات: ٢).

١٠. ابن الجوزي، الحافظ الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، (توفي سنة ٥٦٧هـ)، زاد المسير، (دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات: ٤).

١١. ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي، (توفي سنة ٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم، (دار الفكر، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ١٤).

١٢. الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر، (توفي سنة ٣٢٠هـ)، بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب، (عدد المجلدات: ١).

١٣. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، (توفي سنة ٧٥٤هـ)، البحر المحيط في التفسير، (دار الفكر، ١٤١٢هـ، ١٩٢٩م، بيروت، عدد المجلدات: ١١).

١٤. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، (توفي سنة ٧٥٤هـ)، تفسير النهر الماد، (دار الجنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، بيروت، عدد المجلدات: ٣).
١٥. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (توفي سنة ٥٣٨هـ)، تفسير الكشاف، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، بيروت، عدد المجلدات: ٤).
١٦. أبو السعود، القاضي أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، (توفي سنة ٩٢٨هـ)، تفسير أبي السعود، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، بيروت، عدد المجلدات: ٦).
١٧. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (توفي سنة ٣٧٥هـ)، بحر العلوم، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، بيروت، عدد المجلدات: ٣).
١٨. السيوطي، العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، والإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، (دار المعرفة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١).
١٩. السيوطي، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (توفي سنة ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير المأثور، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد المجلدات: ٧).
٢٠. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (توفي سنة ١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (دار المعرفة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).
٢١. الشيرازي، الشيخ أبو محمد صدر الدين روزبهان بن أبي نصر البقلي الشيرازي، (توفي سنة ٦٠٦هـ)، تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن، (مخطوطة).

٢٢. الصابوني، محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، (دار الصابوني، الطبعة التاسعة، القاهرة، عدد المجلدات: ٣).

٢٣. الصاوي، أحمد بن محمد الصاوي المصري الخلوتي المالكي، (توفي سنة ١٢٤١هـ)، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، (دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ٦).

٢٤. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، (توفي سنة ٣٦٠هـ)، التفسير الكبير للطبراني، (دار الكتاب الثقافي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، الأردن، إربد، عدد المجلدات: ٦).

٢٥. ابن عادل الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، (توفي سنة ٨٨٠هـ)، اللباب في علوم الكتاب، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، بيروت، عدد المجلدات: ٢٠).

٢٦. ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، معاصر، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد المجلدات: ٣٠).

٢٧. ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة، (توفي سنة ١٢٢٤هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، (١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، القاهرة، عدد المجلدات: ٦).

٢٨. ابن عربي، محيي الدين بن عربي، تفسير ابن عربي، (المكتبة التوفيقية، القاهرة، عدد المجلدات: ٢) (وكاتبه الحقيقي عبد الرزاق القاشاني).

٢٩. العز ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، (توفي سنة ٦٦٠هـ)، تفسير القرآن - اختصار النكت للماوردي، (دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٣٠. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي، (توفي سنة ٥٤١هـ)،

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (طُبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، أمير دولة قطر، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٧م، الدوحة، عدد المجلدات: ١٥).

٣١. الإمام الغزالي، الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، (توفي سنة ٥٠٥هـ)، جواهر القرآن، مكتبة الجندي، ١٩٦٤م، القاهرة، عدد المجلدات: ١).

٣٢. فخر الدين الرازي، الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين البكري الطبرستاني الرازي، (توفي سنة ٦٠٦هـ)، التفسير الكبير، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات: ١١).

٣٣. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، (توفي سنة ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، (دار السرور، عدد المجلدات: ٣).

٣٤. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (توفي سنة ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، القاهرة، عدد المجلدات: ٢٢).

٣٥. القشيري، الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي، (توفي سنة ٤٦٥هـ)، تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد المجلدات: ٣).

٣٦. ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (توفي سنة ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، (دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٣٧. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، (توفي سنة ٤٥٠هـ)، النكت والعيون، (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، عدد

المجلدات: ٦).

٣٨. مجاهد بن جبر، أبو الحجاج مجاهد بن جبر القرشي المخزومي، (توفي سنة ١٠٤هـ)، تفسير مجاهد، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٣٩. مقاتل بن سليمان، الإمام أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير، (توفي سنة ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ٣).

٤٠. النسفي، الإمام الجليل عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تفسير النسفي / مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٤١. الواحدي، الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (توفي سنة ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، (دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٤٢. الواحدي، الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (توفي سنة ٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (دار القلم، دمشق، والدار الشامية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، عدد المجلدات: ٢).

من كتب السنة

١. البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري، صحيح البخاري، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، بيروت، عدد المجلدات: ٨).

٢. الإمام البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (توفي سنة ٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، بيروت، عدد المجلدات: ١١).

٣. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (توفي سنة ٤٥٨هـ)، كتاب الزهد الكبير، (مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م، بيروت، عدد الأجزاء: ١).

٤. الإمام الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، (توفي سنة ٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح، (دار الكتب العلمية، بيروت، عدد المجلدات: ٥).

٥. الحاكم، الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، (توفي سنة ٤٠٥هـ)، المستدرک علی الصحيحین، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٦. ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، (توفي سنة ٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان، (مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، بيروت، عدد الأجزاء: ١٨).

٧. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (توفي ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، بيروت، عدد الأجزاء: ١٤).

٨. ابن حنبل، الإمام أحمد ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، عمان، عدد المجلدات: ٨).

٩. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، (توفي سنة ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، (دار الكتب العلمية، بيروت، عدد الأجزاء: ١٣).

١٠. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، (توفي سنة ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، (دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، بيروت، عدد المجلدات: ٢).

١١. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، (توفي سنة ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، (مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م، الموصل، عدد الأجزاء: ٢٠).

١٢. الطيالسي، ابو داود سليمان ابن داود الطيالسي، (توفي سنة ٢٠٤هـ)، مسند الطيالسي، (دار المعرفة، بيروت، عدد المجلدات: ١).
١٣. الكتاب الجامع لفضائل القرآن الكريم، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، (مطبعة الأمن العام، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، عمان، عدد المجلدات: ١).
١٤. الإمام مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (توفي سنة ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، (دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، بيروت، عدد المجلدات: ١).
١٥. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (توفي سنة ٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، (دار إحياء التراث، الطبعة الأولى، مصر، عدد المجلدات: ٢).
١٦. الإمام مالك، إمام دار الهجرة مالك بن أنس، (توفي سنة ١٧٩هـ)، الموطأ، (دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، بيروت، عدد المجلدات: ٢).
١٧. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار النسائي، (توفي سنة ٣٠٣هـ)، سنن النسائي، (مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، حلب، عدد المجلدات: ٥).

من كتب السيرة

١. ابن هشام، عبد الملك بن هشام، (توفي سنة ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، بيروت، عدد المجلدات: ٤).
٢. الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، (توفي سنة ٢٠٧هـ)، كتاب المغازي، (مطبعة جامعة أكسفورد، لندن، عدد المجلدات: ١).

من كتب علوم القرآن

١. الذهبي، الدكتور محمد حسين الذهبي، الأستاذ في كلية الشريعة بالأزهر الشريف، التفسير والمفسرون، (١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م، عدد المجلدات: ٣).
٢. الزركشي، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (توفي سنة ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، (دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، بيروت، عدد المجلدات: ٤).
٣. السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (توفي سنة ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، (دار ابن كثير، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، دمشق، عدد المجلدات: ٢).
٤. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (دار الفكر ودار المعرفة، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، بيروت، عدد المجلدات: ١).
٥. ابن النحاس، الإمام العلامة أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن النحاس، (توفي سنة ٣٣٨هـ)، إعراب القرآن، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).

من كتب المعاجم اللغوية

١. الأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، معاني القرآن، (عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، بيروت، عدد المجلدات: ٢).
٢. الرازي، محمد ابن أبي بكر ابن عبد الله الرازي، (توفي سنة ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، (دار البصائر، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، بيروت، عدد الأجزاء: ١).
٣. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (توفي سنة ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، (دار المعرفة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٤. الزبيدي، محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، تاج العروس من جواهر القاموس، (دار الفكر، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، بيروت، عدد المجلدات: ٢٠).
٥. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (توفي سنة ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ١).
٦. ابن منظور، الإمام العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، (توفي في سنة ٧١١هـ)، لسان العرب، (دار صادر، بيروت، عدد المجلدات: ١٥).

كتب أخرى لعلماء المسلمين

١. الأسكداري، محمود بن فضل الله الأسكداري، (توفي سنة ١٠٣٨هـ)، حبة المحبة، (مخطوطة).
٢. إمام الحرمين، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، (توفي سنة ٤٧٨هـ)، الإرشاد، (مطبعة السعادة، ١٣٦٩هـ، ١٩٥٠م، القاهرة، عدد الأجزاء: ١).
٣. التوحيد، أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، (توفي في حدود ٤٠٠هـ)، الإمتاع والمؤانسة، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، بيروت، عدد المجلدات: ١).
٤. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني، (توفي سنة ٧٢٨هـ)، النبوات، (دار القلم، بيروت، عدد الأجزاء: ١).
٥. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، (توفي سنة ٧٢٨هـ)، التحفة العراقية، (مكتبة المنار، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، الأردن-الزرقاء، عدد الأجزاء: ١).

٦. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (توفي سنة ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، (دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ٢).

٧. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري، (توفي سنة ٢٥٥هـ)، رسائل الجاحظ، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد الأجزاء: ٤).

٨. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، (توفي سنة ٥٩٧هـ)، ذم الهوى، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، بيروت، عدد الأجزاء: ١).

٩. الجيلي، عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، (توفي سنة ٥٠٨هـ)، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، (دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

١٠. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، (توفي سنة ٤٥٦هـ)، طوق الحمامة في الألفة والألف، (دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

١١. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، (توفي سنة ٦٠٦هـ)، لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، (المكتبة الأزهرية للتراث، طبعة جديدة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، القاهرة، عدد الأجزاء: ١).

١٢. ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، (توفي سنة ٤٢٨هـ)، رسالة في العشق، (دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، دمشق، عدد الأجزاء: ١).

١٣. ابن أبي شريف، كمال الدين محمد بن محمد بن أبي بكر بن أبي شريف المري المقدسي الشافعي، (توفي سنة ٩٠٥هـ)، المسامرة شرح المسامرة في العقائد المنجية من الآخرة، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ،

٢٠٠٢م، بيروت، عدد الأجزاء: (١).

١٤. شهاب الدين الحلبي، شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبي، (توفي سنة ٧٢٥هـ)، كتاب منازل الأحباب ومنازه الألباب، (دار صادر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد الأجزاء: (١).

١٥. أبو طالب المكي، الإمام أبي طالب محمد بن أبو الحسن علي بن عباس المكي، (توفي سنة ٣٨٦هـ)، قوت القلوب في معاملة المحبوب، (دار الفكر، بيروت، عدد المجلدات: (٢).

١٦. الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري الطحاوي الحنفي، صحيح شرح العقيدة الطحاوية بشرح حسن السقاف، (دار الإمام النووي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، بيروت، عدد المجلدات: (١).

١٧. عبد القاهر البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي، (توفي سنة ٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق، (دار المعرفة، بيروت، عدد الأجزاء: (١).

١٨. العجلوني، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، (توفي سنة ١١٦٢هـ)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس، (دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، بيروت، عدد الأجزاء: (٢).

١٩. ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، (توفي سنة ٦٣٨هـ)، الفتوحات المكية، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت، عدد المجلدات: (٤).

٢٠. ابن العريف، الشيخ أحمد بن محمد ابن العريف الصنهاجي، (توفي سنة ٥٣٦هـ)، كتاب النفائس ومحاسن المجالس، أخرجه نهاد خياطة، حلب، (مجلة المورد، بغداد، المجلد التاسع، ١٩٨٠م، ص ٦٨١-٧٠٦).

٢١. ابن عطاء الله السكندري، ابن عطاء الله السكندري أحمد بن محمد بن

عبد الكريم، (توفي سنة ٧٠٩هـ)، الحِكم العطائية/ شرح وتحليل، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، دمشق، عدد المجلدات: (٤).

٢٢. الغزالي، الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، (توفي سنة ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، (شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).

٢٣. الغزالي، الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، مقاصد الفلاسفة، (دار المعارف، ١٩٦١م، القاهرة، عدد المجلدات: ١).

٢٤. الغزالي، الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، (توفي سنة ٥٠٥هـ) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، (دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٢٥. القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، (توفي سنة ٤٦٥هـ)، الرسالة القشيرية في علم التصوف، (دار الخير، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، دمشق/ بيروت، عدد المجلدات: ١).

٢٦. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، (توفي سنة ٧٥١هـ)، الروح، (دار ابن كثير، الطبعة السابعة، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، دمشق/ بيروت، عدد المجلدات: ١).

٢٧. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، (توفي سنة ٧٥١هـ)، مدارج السالكين، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات: ٣).

٢٨. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، (توفي سنة ٧٥١هـ)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، (دار البيان العربي، مصر، عدد الأجزاء: ١).

٢٩. الكلاباذي، أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي (توفي سنة ٣٨٠هـ)، التعرف لمذهب أهل التصوف، (مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى،

١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، القاهرة، عدد الأجزاء: (١).

٣٠. مخلوف، مفتي الديار المصرية حسنين محمد مخلوف، معاصر، من وحي القرآن الكريم فيمن يجهم الله تعالى، وفيمن يكرههم الله تعالى من عباده، (مطبعة المدني، الطبعة الثالثة، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م، القاهرة، عدد الأجزاء: (١).

٣١. الثُّفري، محمد بن عبد الجبار بن الحسن الثُّفري، كتاب المواقف، (دار الكتب المصرية، ١٣٥٢هـ، ١٩٣٤م، القاهرة، عدد الأجزاء: (١).

٣٢. الهجويري، كشف المحجوب، (مخطوطة).

٣٣. الهروي، عبد الله الأنصاري الهروي، (توفي سنة ٤٨١هـ)، منازل السائرين، (دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، بيروت، عدد الأجزاء: (١).

مراجع أخرى

١. العجلوني، كامل محمد صالح العجلوني، الجنس في اليهودية والمسيحية والإسلام/ المرأة والرجل وعلاقتهما، (مطبعة الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧م، عمان، عدد المجلدات: (١).

٢. غازي بن محمد بن طلال، الحقيقة والمعرفة (كتاب الثقافة العامة للمرحلة الثانوية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، وزارة التربية والتعليم، الأردن).

٣. وداد ناصر لوتا، سرّي للغاية: المعاشرة الزوجية، أصول وعادات، ٢٠٠٩م، دبي.

٤. مجموعة من العلماء، الحب في القرآن الكريم، (طبع مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الأردن/عمان، عدد الأجزاء: (٢).

(A) PRIMARY SOURCES ON LOVE IN ENGLISH AND FRENCH:

(A) (i-ii) (Religious and Secular) Ancient Sources on Love in English and French:

Ficino, Marsilio, *Commentary on Plato's Symposium of Love*, trans. Sears Jayne (2nd ed.) (Dallas 1985)

Plato, *Phaedrus* and *The Seventh Letter*, trans. Walter Hamilton (London, 1973)

Plato, *Phaedo*, in *Five Dialogues*, trans. G.M.A.Grube (Indianapolis, 1984)

Plato, *The Republic*, trans. G.M.A.Grube (Indianapolis, 1984)

Plato, *The Symposium of Love*, trans. A.Nehemas and P.Woodruff (New York, 1989)

Plotinus, *The Enneads*, Intro. J.Dillon, trans. S.Mackenna (London, 1991)

Rumi, Jalaludin, *The Mathnawi*, Volumes I-VI, trans. Reynold Nicholson, (Reprinted Great Britain, 1960)

(A) (iii) (Religious) Modern Sources on Love in English and French:

Lewis, C.S., *The Allegory of Love*, (London, 1972)

Lewis, C.S., *The Four Loves*, (London, 1972)

Nasr, Seyyed Hossein, *The Garden of Truth, The Vision and Promise of Sufism, Islam's Mystical Tradition*, (New York, 2007)

(A) (iv) (Secular) Modern Sources on Love in English and French:

De Rougemont, Denis, *L'Amour et L'Occident*, (Paris, 1939)

Ghazi Ben Mohammed, *What is Falling in Love?*, (Cambridge University, U.K., Ph.D, 1993)

Stendhal, *De L'Amour*, (Paris 1965); Stendhal, *De L'Amour*, Intro. Jean Stewart, trans. Gilbert and Suzanne Sale (London, 1975)

**(B) SECONDARY SOURCES ON LOVE IN ENGLISH AND
FRENCH:**

(B) (i) (Religious) Ancient Sources on Love in English and French:

The Holy Bible, King James Translation (H.M. Printers, London)

Aquinas, St. Thomas, *Summa Theologia*, in *Great Books of the Western World*, Volume XIX and Volume XX, trans. W.O.Ross (Chicago, 1989)

Climacus, John, *The Ladder of Divine Ascent*, trans. Colm Luibheid and Norman Russell (The Classics of Western Spirituality, NJ, 1982)

St. Augustine, *Confessions*, trans. R.S.Pine-Coffin (Middlesex, U.K., 1985)

St. Bernard of Clairvaux, *On the Song of Songs*, in 4 Volumes, trans. K.Walsh and I.M.Edmunds (Kalamazoo, Michigan, 1979)

St. John of the Cross, *Dark Night of the Soul*, trans. E.Allison Peers (New York, 1990)

St. Julian of Norwich, *Showings*, trans. E.Colledge and J.Walsh (New York, 1978)

Maimonides, Moses, *The Guide of the Perplexed*, in 2 Volumes, trans. Shlomo Pines (Chicago, 1963)

Mechthild of Magdeburg, *The Flowing Light of the Godhead* (selected writings from), trans. Lucy Menzies in *German Mystical Writings* ed. Karen Campbell (New York, 1991)

St. Nicholas of Cusa, *The Vision of God*, trans. E.Gurney-Salter (London, 1928)

The Philokalia, (Writings from the Philokalia on the Prayer of the Heart) trans. E.Kadlouboudsky and G.E.H.Palmer (London, 1992)

Porphyry, *On the Cave of the Nymphs*, trans. Thomas Taylor, (Grand Rapids, Michigan, 1991)

Proclus, Diadochus, *Commentary on the First Alcibiades of Plato*, trans. L.G.Westernick (Amsterdam, 1954)

Pseudo-Dionysius Aeropogite, *The Divine Names and Mystical Theology*, trans. J.D.Jones (Milwaukee, 1980)

Rolle, Richard, *The Fire of Love*, trans. Clifton Walters (London, 1972)

St. Teresa of Avila, *The Life of St.Teresa of Avila by Herself*, trans. J.M.Cohen (London, 1957)

Theologia Germanica (selected writings from), trans. Bengt Hoffman in *German Mystical Writings* ed. Karen Campbell (New York, 1991)

The Zohar, Moses de Léon, attributed to Rabbi Simeon ben Yohai, trans. H.Sperling and M.Simon (London, 1949)

(B) (ii) (Secular) Ancient Sources on Love in English and French:

Aristotle, *Nicomachean Ethics*, in *Great Books of the Western World*, Volume IX, trans. W.O.Ross (Chicago, 1989)

Capellanus, Andreas, *The Art of Courtly Love*, trans. John Jay Parry, (New York, 1969)

Capellanus, Andreas, *On Love*, trans. P.G. Walsh, (U.K., 1982)

De Lorris, Guillaume, and De Meun, Jean, *The Romance of the Rose*, trans. Charles Dahlberg (Hanover, New Hampshire, 1983)

(B) (iii) (Religious) Modern Sources on Love in English and French:

Burckhardt, T., *Moorish Culture in Spain*, trans. Alisa Jaffa (New York, 1972)

Burckhardt, T., *Alchemy. Science of the Cosmos, Science of the Soul*, trans. William Stoddart (Dorset, U.K., 1986)

Chittick, William C., *The Sufi Path of Love: The Spiritual Teachings of Rumi*, (New York, 1983)

Coomaraswamy, A.K., *Traditional Art and Symbolism*, Volume I, ed. Roger Lipsey (Oxford, U.K., 1977)

Evola, Julius, *Eros and the Mysteries of Love*, (Rochester, Vermont, 1991)

Greeley, Andrew M. and Mary G. Durkin, *The Book of Love*, (New York, 2002)

Happold, F.C., *Mysticism: A Study and an Anthology*, (London, 1990)

Mahmutcehajic, Rusmir, *On Love in the Muslim Tradition*, (New York, 2007)

Schuon, Frithjof, *The Essential Writings of Frithjof Schuon*, ed. S.H.Nasr (New York, 1986)

Schuon, Frithjof, *Esoterism as Principle and Way*, (Kent, U.K., 1981)

Schuon, Frithjof, *Gnosis — Divine Wisdom*, (Middlesex, U.K., 1959)

Schuon, Frithjof, *Logic and Transcendence*, (London, 1975)

Schuon, Frithjof, *Roots of the Human Condition*, (Bloomington, Indiana, 1990)

Schuon, Frithjof, *Spiritual Perspectives and Human Facts*, (Middlesex, U.K., 1987)

Smith, Huston, *The World's Religions*, (New York, 1986)

Staveley, Lilian, *The Golden Fountain: On the Soul's Love for God*, (Bloomington, Indiana, 1982)

Underhill, Evelyn, *Mysticism*, (London, 1957)

Vaughn-Lee, Llewellyn, *The Paradoxes of Love*, (California, 1996)

Arthur Verslius, *The Mysteries of Love*, (Minn., USA, 1996)

Warren, Rick, *The Purpose Driven Life*, (Michigan, 2002)

The Way of a Pilgrim and The Pilgrim Continues his Way, trans. J.M.French (San Francisco, 1991)

(B) (iv) (Secular) Modern Sources on Love in English and French:

Bell, Joseph Norment, *Love Theory in Later Hanbalite Islam*, (New York, 1979)

Boase, Roger, *The Origin and Meaning of Courtly Love*, (Manchester, U.K., 1977)

Campbell, Joseph, *The Hero with a Thousand Faces*, (London, 1988)

D'Arcy, M.C., *The Mind and Heart of Love*, (London, 1954)

Dawkins, Richard, *The Selfish Gene*, (London, 1979)

Fisher, Helen E., *Anatomy of Love*, (New York, 1992)

Freud, Sigmund, *On Sexuality: Three Essays on the History of Sexuality and Other Works* trans. James Strachey (London, 1987)

Fromm, Erich, *The Art of Loving*, (New York, 1956)

Girard, René, *Deceit, Desire and the Novel*, trans. Yvonne Freccero (London, 1984)

Hazo, Robert G., *The Idea of Love* (New York, 1967)

Menocal, Maria Rosa, *The Arabic Role in Medieval Literary History*, (Philadelphia, 1990)

Morris, Desmond, *The Naked Ape*, (London, 1967)

Nygren, Anders, *Agape and Eros*, trans. P.S.Walton (London, 1953)

Parker, A.A., *The Philosophy of Love in Spanish Literature, 1480-1680*, (Edinburgh, 1985)

Peck, Scott M., *The Road Less Travelled: A New Psychology of Love, Traditional Values and Spiritual Growth* (New York, 1978)

Raglan, Lord Fitzroy, *The Hero*, (London, 1936)

Solovyev, Vladimir, *The Meaning of Love*, (London, 1945)

Singer, Irving, *The Nature of Love*, Volumes I-III, (Chicago, 1984)

Wolf, Naomi, *The Beauty Myth*, (New York, 1992)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَخِرَةِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾

وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

غازي بن محمد بن طلال

ملاحظات: